

تشاتشاجى

الماس الزائف

ترجمة : عبد الحى أحمد سالم

مراجعة : عبد الهادى حامد مرزوق

559

المشروع القومى للترجمة

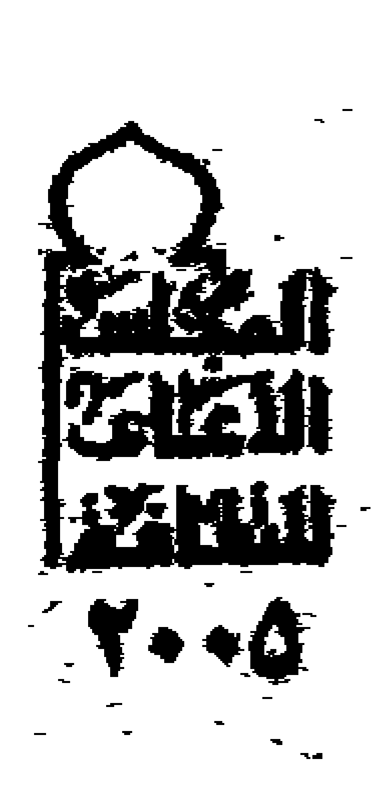
الماس الزائف

(رواية)

للكاتب التنزانى : تشاتشاجى

ترجمة : عبد الحى أحمد سالم

مراجعة : عبد الهادى حامد مرزوق



المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٥٩
- الماس الزائف
- تشاتشاجى
- عبد الحى أحمد سالم
- عبد الهادى حامد مرزوق
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م

Almasi Za Bandia

C.S.L. Chachage

1991

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El. Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.

Tel. : 7352396 Fax : 7358084

المحتويات

تصدير المترجم

شخصيات الرواية

تمثل الشخصيات أحد الأركان الثلاثة التى تقوم عليها الرواية بالإضافة إلى الزمان والمكان ، أما من ناحية الشخصيات فقد بنى الكاتب روايته على شخصيته المركزية التى قامت ببطولة العمل فاختار لها اسمًا موفقًا يدل على دور البطل فى الرواية، فقد أطلق اسم يقين على البطل الرئيسى فى روايته لما له من دور مهم فى البحث والتحرى والتيقن من كل ما يسمعه أو يواجهه من مواقف.

وقد تعددت الشخصيات فى الرواية حتى وصل عددها إلى أكثر من عشرين شخصية، منها الشخصيات المحورية مثل دان زامبى وزوجته أم صادق وتيريزا زوجة يقين وشخصية ميرتون مبويتو، فشخصية دان زامبى هى الشخصية الإيجابية التى تقف مع البطل فى السراء والضراء وهى شخصية معقدة لا تستقر على حال ، ولا تهدأ لها نار، ولا يستطيع المتلقى أن يعرف مسبقا ماذا سيئول إليه أمرها ؛ لأنها متغيرة الأحوال ، من السخرية إلى الجد، من الحانة إلى الوعظ، إنها الشخصية الشجاعة المغامرة، ولكن كل هذا مسخر لصالح الشخصية المركزية شخصية يقين،

أما شخصية ميرتون مبويتو فتتوفر فيها السمات السابقة نفسها، ولكنها مسخرة للوقوف ضد الشخصية المركزية وإيذائها بكل وسيلة وفى كل موقف، فهى الشخصية المناهضة للبطل، التى تتصف بالانتهازية وسوء *الخلق والفساد.*

أما شخصية الحاج ماجيكوندو الشيخ العجوز المجرب الناصح للشباب والمؤيد لهم فهى تمثل الشخصية الأفريقية الأصيلة التى تنتمى إلى هذه الأرض الطيبة التى خاضت الحروب بجانب المستعمر لحصول البلاد على الاستقلال منه بعد الحرب، وهو الشيخ الذى عانى من شظف العيش مع العمال والفلاحين وتعرض للظلم السياسى والسجن والتنكيل، وتشاركه فى ذلك شخصية فراج تشمجاموتو (كبير موظفى شركة تنمية المشروعات الزراعية التى يعمل بها يقين البطل) ، وجون سفارى (الذى أبعدته السلطات الإنجليزية قبل أن يتم دراسته لتأخره أسبوعًا واحدًا فى تجديد إقامته بالبلاد)، ثم جلوريا الفتاة الأفريقية التى صدمت فى أخلاق زوجها ميرتون وتعرضت لظلمه؛ مما جعلها تتعاطف مع يقين ضد زوجها، وشخصية الفتاة البرازيلية بتريسيا المغلوبة على أمرها ، التى اغتصبها ميرتون، أما شخصية عثمان تشاوييلى والضابط جورديون فهما من نوعية ميرتون ويمثلان الشخصية الأفريقية المستغلة للمنصب والوظيفة فى تحقيق المآرب الشخصية، وهما عضوان فى عصابة دولية لتهريب الماس من البلاد عن طريق استغلال المنصب الحكومى.

أما الشخصيات الثانوية فى الرواية.فقد تعددت من أحمد كياتو *التنزانى صديق الدراسة فى جلاسكو إلى أيوكا الشاب الأوغندى*

المطرود من بلاده ، وكلهم كانوا زملاء فى الدراسة بمدينة جلاسكو، ثم أندريا وكمباتشوما ، مبعوثان حكوميان إلى جلاسكو وهما يعملان فى وزارة المالية فى تنزانيا، إلى كويلو بمبى وبرايفت حسان ، (مخبرين سريين من شرطة دار السلام) ، *وجون جريجورى الإنجليزى ، وكانجير الهندى ، وهما ممثلان لعصابة تهريب الماس.*

وقد وزع الكاتب هذه الشخصيات على فصول الرواية ، حسب بداية ظهورها فى تسلسل أحداث الرواية ، وأهمية الأدوار التى تقدمها هذه الشخصيات، فاختار شخصية أو أكثر عنواناً لكل فصل من فصول الرواية، فاختار شخصية يقين بطل الرواية وعثمان تشاوبيلى عنواناً للفصل الأول ، وماجيكوندو وتيريزا للفصل الثانى، ودان زامبى للفصل الثالث، وجون سفارى للفصل الرابع، وبتريسيا توريز للفصل الخامس، والضابط جوردون وجلوريا للفصل السادس، وأخيراً شخصيات جون جريجورى وكانجير وميرتون للفصل السابع والأخير، وقد ذكر شخصية ميرتون فى عنوان الفصل الأخير على الرغم من أن هذه الشخصية من الشخصيات المحورية التى تمثل الشر فى هذه الرواية فى معظم المواقف والفصول إلا أن الكاتب ركز بهذا على نهايته وانتحاره فى الفصل الأخير.

مضمون الرواية:

بدأ الكاتب الفصل الأول بذكرى غير سارة حدثت عندما كان يقين (البطل) فى أوروبا، هذه الذكرى هى عملية اغتصاب ميرتون للفتاة

البرازيلية بتريسيا، ثم استأنف الكاتب حديثه عن رحلة يقين من تنزانيا إلى أمستردام ثم لندن وجلاسكو بصحبة عثمان تشاوبيلى.

رجع بنا الكاتب فى الفصل الثانى إلى تنزانيا، واستعرض لنا الحى الذى يعيش فيه يقين فى دار السلام ، وعمله فى شركة تنمية المشروعات الزراعية، واستدعاء يقين إلى قسم الشرطة، وقد وجهت له تهمة التآمر على ضرب ميرتون مبويتو ، والتحقيق معه، ثم الإفراج عنه بضمان مالى ووضعه تحت المراقبة.

أما فى الفصل الثالث فيرجعنا الكاتب إلى ما قبل ذلك، وهو كيفية لقاء يقين بزوجته تيريزا التى كانت تشاركه فى المظاهرات الطلابية فى الجامعة، وقد أنقذها من تحت أقدام المتظاهرين وجرى بها إلى أن التقيا بالشيخ ماجيكوندو ، الرجل الخبير المتمرس الذى كان ثائرا فى شبابه، الملم بأحوال البلد والمظاهرات وأهدافها ونتائجها، وقد استضافهما فى منزله إلى أن انفضت المظاهرات وتحركات الشرطة، ثم واصل الكاتب سرده عن الشركة التى يعمل بها يقين ، وعلاقته بفراج مراقب عام الشركة، وعتاب فراج له لعدم إبلاغ يقين له بما حدث فى قسم الشرطة ووقوف فراج بجانب يقين وزوجته قبل وبعد العمل فى الشركة.

أخذنا الكاتب مرة ثانية إلى مدينة جلاسكو بإنجلترا، حيث روى لنا على لسان البطل ما حدث فى أثناء إقامته فى هذه المدينة ، وتحدث عن نمط الحياة فيها المبنى على النمالة والعربدة ، والتفرقة العنصرية التى يلاقيها أصحاب البشرة السوداء في هذا البلد، والأحياء الفقيرة القذرة التى يقطن بها غير الأوروبيين.

واستهل الكاتب الفصل الرابع بما حدث بين جون سفارى وميرتون، حينما أبعدت السلطات الإنجليزية سفارى إلى تنزانيا لمجرد أنه نسى تجديد إقامته بعد انتهائها بأسبوع واحد، فرحلوه مباشرة من مكتب الهجرة فى أول طائرة عائدة إلى بلاده، وكان معه فى ذلك الوقت زميله ميرتون الذى تعهد أن يرسل له كل أمتعته ومستحقاته المادية، ولم يف ميرتون بوعده ، بل جمع نقوداً أخرى من باقى الأصدقاء بحجة تكاليف الشحن ، ثم استولى على جميع النقود وباع أمتعة صاحبه فى سوق "براس"، واسترسل الكاتب فى استعراض التصرفات السيئة التى يقوم بها ميرتون مع أصدقائه الأفارقة ، وبداية اختلافه مع يقين ودان زامبى لوقوفهما ضده فى هذه التصرفات السيئة.

رجع بنا الكاتب فى الفصل الخامس إلى دار السلام، وفى منزل زامبى، اجتمع يقين وزوجته تيريزا مع دان زامبى وزوجته أم صادق، أخذوا يفكرون فى مخرج من تهمة ضرب ميرتون التى وجهت إلى يقين وربما تُوجه إلى زامبى أيضا، بدءوا يفكرون فى الأسباب التى جعلت ميرتون يتهم يقيناً، روى لهم يقين واقعة اغتصاب ميرتون للفتاة البرازيلية بتريسيا على الرغم من وجود زوجته جلوريا معه فى جلاسكو، الواقعة التى بدأ بها الكاتب فصله الأول، كما تكلم عن الخلافات التى وقعت فى مدينة جلاسكو ، بين يقين وزامبى من جهة وميرتون من جهة أخرى، وحاولوا ربط الأحداث للخروج من هذا المأزق، وانتهى الفصل باستدعاء يقين مرة أخرى إلى قسم الشرطة لإعادة التحقيق معه على يد الضابط جوربيون، ابن عم ميرتون مبويتو.

بدأ الكاتب الفصل السادس بما حدث ليقين في قسم الشرطة ، على يد الضابط جوردين، حاول الضابط إجبار يقين على الاعتراف بتهم لم يرتكبها، استخدم في ذلك كل وسائل التهديد ، والتعذيب والضرب المبرح، لكنه لم يستطع أن يجبر يقيناً على تغيير أقواله التي أدلى بها في تحقيق المرة الأولى، أفرج عنه على وعد بلقاء أخر مهدداً بالويل والثبور وعظائم الأمور.

بعد ذلك التقى يقين وزامبى مع سفارى الذى روى لهما موجزاً عن حياة جلوريا زوجة ميرتون التى كانت تعمل معه في شركة الأحذية، وعن قصة لقائهما وزواجهما ، وتظاهر ميرتون بالعفة والطهارة ، واعتبار نفسه من علية القوم في الدولة، واتصالاته ومعارفه بأعضاء الحزب والحكومة، ثم اكتشفت بعد ذلك أفعاله القذرة، وخيانته لها مع الأخريات، والتجارة المحرمة التى يقوم بها مع ابن عمه الضابط جوردون وعثمان.

جاءت النهاية في الفصل السابع ، وانكشف المستور ، بدأ الفصل بزيارة قام بها يقين وزوجته مع زامبى وزوجته إلى الشيخ ماجيكوندو فى منزله، وعندما علم منهم بما حدث ليقين، قال لهم إن ميرتون وابن عمه من أكبر اللصوص، والأيام سوف تثبت لكم ذلك، انتهت زيارتهم ، فخرجوا مترجلين فى الطريق، قرروا السير للنزهة، وأثناء سيرهم شاهدوا حادثة سيارة، اقتربوا مع المارة ناحية السيارة فوجدوا شخصاً مدهوساً وقد فارق الحياة، ونظروا إلى السيارة فوجدوها سيارة الضابط جوردون ومعه عثمان تشاوبيلى وقد تعرضا للضرب المبرح من المارة، ووجدوا معهما الماس الذى يقوم هذا الضابط بتهريبه بالاتفاق مع

الإنجليزى جون جرونجورى والهندى كانجير، ولما اختلفا قام الإنجليزى والهندى بضرب ميرتون الذى اتهم فيه يقيناً، شاهد الأصدقاء ما حدث، فأسرعوا إلى المستشفى حيث يرقد ميرتون، وواجهوه بما شاهدوا، خر ميرتون معترفا بما حدث ، وكانت نهايته أن انتحر فى المستشفى ، وقد تم القبض على الضابط جوردون وعصابته، وسقطت التهمة عن يقين.

مقدمة

إن الأحداث والشخصيات التى وردت فى هذه الرواية جاءت من نسج الخيال، حتى وإن كانت هناك بعض الأسماء أو الأمور التاريخية لمجتمعاتنا التى لا يمكن أن نتجنبها.

وفى الغالب إن الأعمال الإبداعية يصور فيها المؤلف البيئة المحيطة به والتى يعيش فيها. وفى هذا العمل قد استخدمت أسماء بعض القرى التى أعرفها وتعلقت بها. وبعد فإن الشكر واجب لجميع أصدقائى خلال السنوات العشر السابقة لما قدموه من عون ونصائح حتى خرج هذا العمل إلى النور ولأنه من الصعب ذكرهم واحدا واحدا فالشكر للجميع.

تشاتشاجى

1987

القضايا

الفصل الأول

يقين وعثمان تشاوبيلى

يقين شاب تنزانى يبحث دائمًا عن الحقيقة، لم يصدق ما سمعه، نظر إلى بتريسيا، الفتاة ذات الأصل الهند- أمريكى، القادمة من البرازيل، نحيفة الجسم ذات الشعر الطويل المسترسل على كتفيها كمريم العذراء، نظر إليها ببؤس واستياء، بعد فترة سكون قاوم فيها يقين شيطانه، تناول كأسه المملوءة بالبيرة ورشفها مرة واحدة كالذى فاجأه الظمأ الشديد، بعد ذلك، طلب من بتريسيا - بصوت حادٍ - أن تعيد على مسامعه الكلمات التى قالتها من قبل قائلا : هل قلتِ إن ميرتون مبويتو قد اغتصبكِ قسراً ؟ نظرت بتريسيا إلى يقين وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهزت رأسها لتؤكد مقولتها.

هذا الكلام لم يدخل عقل يقين بسهولة، استدار ثم نظر حوله داخل الحانة، لكى يتأكد أنه ليس فى منام، ثم نظر من النافذة إلى الخارج، كل ما يحيط به كان حقيقة، أما الحانة فقد اكتظت بروادها من الأوروبيين والأفارقة، حيث كانوا جماعات مثنى وثلاث، ليس هناك ما يدل على أن

ما يراه هو أضغاث أحلام، فقد تأكد أنه جالس فى وسط حانة "وينشز" الواقعة فى مدينة جلاسكو باسكتلندا بشمال إنجلترا.

خارج هذه المدينة بستة أميال فقط، وُلِدَ الدكتور ديفد ليفنجستون ذلك المبشر الذى جاء إلى أفريقيا فى القرن الماضى تحت اسم يوحنا مباتيزاجى، وكان يمهد الطريق من أجل المستعمرين والتجار، بزعم نشر الحضارة والقضاء على التخلف، وقد أُقيمت له تماثيل فى أماكن كثيرة قد شُيدت كمنارات لهؤلاء الأبطال فى وطنهم: مثل جيمس وات الذى اخترع الآلة البخارية التى تعمل بقوة البخار، و آدم سميث الاقتصادى المعروف الذى ظهر فى القرنين الماضيين وغيرهم .

أخذ يقين يفكر ثم قال : لا لم أكن أحلم، من الواضح أن كل شىء واقعى، ربما تكون الأمور التى وقعت لى فى العامين السابقين قد أثرت فى أفكارى، وما حدث لبتريسيا لم يكن عجيباً، صمت يقين برهة قصيرة ثم قال لبتريسيا: من فضلك اشرحى لى كل ما حدث بالتفصيل!

وبعد تفكير عميق استمر لفترة طويلة ، بدأت بتريسيا فى الحديث فقالت:

– حقيقة أننى كلما تذكرت هذا الأمر شعرت بالغثيان.

– لقد ذهبت أول أمس إلى طبيبى الخاص ليفحصنى حتى يتضح لى إن كنتُ حاملاً أو لا ، وقد أكد لى الطبيب أننى لستُ حاملاً ، وعلى الرغم من ذلك لم يفارقنى هذا الشعور إلى الآن.

أخذت بتريسيا كأسها ورشفت ما به مرة واحدة كما فعل يقين من قبل، ثم تنهدت وهى فاقدة الأمل فى كل شىء.

كان يقين هادئا مستسلما كأنه واقع فى شرك، لا يدرى ماذا يقول، ثم سأل بتريسيا: هل أذهب لإحضار بعض البيرة؟

فأجابته: نعم من فضلك، لأنى أريد أن أقص عليك ما أصابنى، وهذا سوف يستغرق بعض الوقت، لكن حقيقةً وقبل كل شىء، لابد أن أعترف بأننى مازلتُ لا أعلم شيئًا عن نوعية هؤلاء البشر، تخيل ! نحن أصحاب البشرة السوداءِ منبوذون جميعًا فى هذه البلدة، وهذا ما جعلنا نتكاتف فى محاربة هذه العنصرية ، فضلا عن اضطهاد النساء، ثم يأتى شخص أسود من بيننا ويصيبنى فى أعز ما أملك بفعله الفاضح !

حينئذ يرد يقين قائلا: " إننى لن أندهش مرة أخرى من مثل هذا الكلام، فلقد سمعت الكثير منذ أن دخلت هذه البلد، فأنتِ مثلا يناديك الأوربيون بالسوداء مع أنكِ هندية، فلا غرو إذن أن يأتى الآخرون ويزعموا أنكم ليس لديكم مشاكل كتلك التى نعانيها نحن" – ثم يتجه يقين نحو صاحب الحانة ليدفع الحساب.

عندما رجع يقين من الحانة قضت بتريسيا وقتًا طويلاً وهى تقص عليه ما حدث، أخذ يقين يستجمع خيوط الواقعة من كل جوانبها، لكى يتعرف على الدوافع التى جعلت ميرتون مبويتو يرتكب مثل هذا الفعل القبيح، حاولت بتريسيا أن تدافع عن نفسها قائلة :

– لقد فشلت فى الاستغاثة بالآخرين لإنقاذى أو حتى استدعاء الشرطة، مما رأيته من التفرقة العنصرية التى تتبعها الشرطة فى مثل

هذه الأحداث، وعدم اهتمام بعضهم بمشاكل السود، كما خشيت من الفضيحة المترتبة على ذلك.

لكن ما قولك أيها القارئ الكريم ! لو ظننت أن هذه الواقعة هى بداية الكارثة، فهذا ليس صحيحاً ! لأن الواقعة التى حدثت لبتريسيا، ما هى إلا سوء حظ ، و هى أول ما تذكر يقين بعدما سمع أن ميرتون قد ضُرب ضربًا مبرحاً، وجُرح جروحاً خطيرة ، وقد حدث له ذلك بعد عودته إلى تنزانيا بستة أشهر تقريبًا، وكانت هذه الواقعة هى أول ما تذكر يقين لأنه عاصرها فى مدينة جلاسكو وبعدها شاهد ميرتون يغادر البلاد إلى تنزانيا وسمعه وهو يقسم بالله متوعداً يقينًا وبعض الحاضرين بالانتقام منهم بعد عودتهم من أوربا، أخذ يقين يتساءل :

- هل هناك علاقة ما بين ضرب ميرتون وهذا القسم ؟

هذا هو السؤال الذى سأله يقين لنفسه عندما سمع هذه الأخبار.

عامان مضيا ! ومازالت الأحداث عالقة بذهنه وكأنها وقعت بالأمس القريب ! أخذ يقين يستعرض ذكرياته منذ سفره للدراسة بالخارج حتى عودته إلى أرض الوطن، تذكر عندما وصل إلى مطار دار السلام الدولى مغادراً إلى إنجلترا، وكان فى وداعه إخوانه وأصحابه المقربون وقد أبدوا دهشتهم لسفره إلى بلاد الغربة شديدة البرودة، والحياة فيها بدون زوجته أو حتى صديق يؤنس وحدته، وفجأة سمع الإذاعة الداخلية للمطار تنادى اسمه ليتجه إلى بوابة الخروج بسبب تأخره عن اللحاق بالمسافرين الذين بدءوا يأخذون أماكنهم داخل الطائرة، ذهب يقين

مسرعًا إلى صالة وزن الأمتعة وحجز المقاعد، واستعرض موظف الجمارك أمتعته ليرى ما إذا كانت هناك أموال مهربة إلى الخارج أو لا، وكذلك للكشف عن أية أشياء تستحق دفع جمارك عليها.

كان هناك موظفان شابان فى صالة الجمارك، طلب أحدهما جواز سفر يقين، أخذ يفحصه بدقة وكأنه جواز غير قانونى، ثم سأل يقينًا بسخرية، وقد التوت شفتاه وهو يقول :

– أه ! بالطبع أنت ذاهب إلى "أمك" أليس كذلك ؟ طبعًا، فإن إنجلترا هى مقصدكم جميعًا ! وهناك أمكم تاتشر.

ثم همس بألفاظ جارحة :

– تذهبون إلى هناك وتقاطعون بلادكم، وإذا رجعتم لن يستطع أحد مصاحبتكم !

سكت قليلاً وأخذ يتصفح جواز السفر ومازالت شفتاه مقلوبتين، وقال بابتسامة صفراء:

– أنت الذى ينادون على اسمه فى الإذاعة الداخلية ؟ فدعنا ننه إجراءاتك بسرعة! هل لديك تصريح دخول إنجلترا ؟ ثم أردف مجيبًا على نفسه :

– نعم لديك، لذلك لابد أن تدفع رسوم المغادرة بالعملة الصعبة وليس بالعملة المحلية، أنت لن تقيم هنا مرة أخرى، فكذلك فعل كل أصدقائك الذين سبقوك إلى هناك، أسرع بالدفع حتى تلحق بالطائرة.

قال ذلك دون أن يُعير يقيناً أى اهتمام أو ينظر إليه.

ثار يقين وأجابه مضطرباً :

– ولكن لماذا تطالبني بدفع رسوم المغادرة بالعملة الصعبة ؟ سيدى ليس معى غير مائتى شلن، وهى كل ما تبقى معى .

رد عليه الموظف بجفاء قائلاً :

– لا يمكن ذلك ! وهذا شأنك، إما أن تدفع وإلا لن تسافر، ناد على من معك ليساعدوك فى الدفع، إذا كنت لا تريد إخراج ما معك من العملة الصعبة.

أصيب يقين بالذهول، حتى إنه لم يدر ماذا يفعل، كانت زوجته تراقب ما يحدث من الخارج، فطلبت الإذن بالدخول إلى زوجها، وعندما وصلت إلى يقين سألته عما يحدث، وبعد مشاورات بينهما اتجها إلى ذلك الموظف وسألاه ماذا يفعلان ؟ استدعى الموظف مساعده وتناجيا معاً، كان هذا المساعد أكبر سناً من صاحبه، له شارب كشارب سمكة القرموط، وقد بدأ شعره فى المشيب، وقف أمام يقين ثم قال:

– إذا لم تستطع الدفع بالعملة الصعبة فادفع خمسمائة شلن، ونحن سوف نبدلها فيما بعد.

رد يقين بصوت ملىء بالدهشة والألم :

– لكن القانون لا يلزمنى أن أدفع بالعملة الصعبة ! رد عليه المساعد ذو الشارب بجفاء وتكبر قائلاً:

– هذه قضيتك وهذا شأنك أنت، وتلك هى مشاكل الدارسين أمثالك، وليس للجوع أى قانون أو موانع، أتظن أننا وأطفالنا سوف نأكل ونشرب من الهواء؟ فأنتم أيها الدارسون تسافرون كل يوم إلى الخارج وتخربون اقتصاد الوطن، والآن تحدثنى فى النواحى القانونية، فلتذهب أنت وقوانينك إلى الجحيم ! فلن يمكنك القانون من السفر إلى أى مكان، و إذا لم تلحق بطائرتك فأنت المسئول عن ذلك، لأنك تجادلنا فى دفع الرسوم.

قالت تريزا – زوجة يقين – لزوجها:

– لا داعى للمعارضة !

و أخرجت خمسمائة شلن ودفعتها، أسرع يقين إلى بوابة الخروج، قال له الشيخ ذو الشوارب:

– نتمنى لك رحلة سعيدة، وكأنه لم يحدث بينهما أى شىء غير طبيعى، ومن حُسن حظ يقين أنه أدرك الطائرة قبل دقيقتين من أن تغلق أبوابها، جلس على مقعده وهو يلهث وقد بدت على وجهه الدهشة مما يدور حوله.

هكذا كانت بداية رحلة يقين إلى الخارج، وبينما هو جالس فى مقعده إذ رأى أحد المسافرين التنزانيين الذين عاشوا فى إنجلترا يجلس بجواره، ويدعى هذا المسافر عثمان تشاوبيلى، كان رجلاً طويلاً، نحيفاً، ذا صوت جهورى، أخبره يقين أنه مسافر للدراسة فى لندن، وتلك هى المرة الأولى التى يسافر فيها إلى خارج البلاد، فأخبره تشاوبيلى أنه

مسافر أيضاً إلى لندن لمدة ستة أشهر تقريبًا فى مهمة خاصة بناءً على دعوة من إحدى الشركات الدولية فى إنجلترا .

بعد فترة صمت قصيرة بدأ تشاوبيلى الحديث مع يقين قائلاً:

– نحن ذاهبان للحياة فى بلد عجيب، لن تجد هناك مكانًا هادئًا على الإطلاق، عندما كنت هناك فى العام الماضى، كانت هناك مصادمات بين السود والشرطة الإنجليزية فى مدينة لندن، كنت فى شرق لندن حيث وقعت المصادمات مع الشرطة، لو حالفك الحظ فلتذهب إلى هناك حيث يقيم الفقراء، ومعظمهم من أصحاب البشرة السوداء ممن ليس لهم أعمالُ دائمة، هؤلاء الناس فى شجار مستمر مع أعضاء الجبهة الوطنية، وهى حركة عنصرية تتبنى مبادئ التفرقة العنصرية، ستسمع مرة أن هنديًا قد طُعن فى ظهره بسكين، ومرة أخرى أن شخصًا أسود قد ضُرب، ولن ترى غير المصادمات بين الشرطة وسكان الحى من السود.

سكت تشاوبيلى قليلاً ثم أردف:

– ومن المضحك أن تُفاجأ باندلاع مظاهرات يتزعمها الإنجليز أصحاب البشرة البيضاء، يطالبون بوقف عمليات بيع الكلاب الإنجليزية إلى دولة مثل نيجيريا، بدعوى أن هذه الكلاب تُستخدم للحراسة، ولا تُعامل كحيوانات أليفة، لابد أن تُربى فى المنازل وتعامل بما تستحق من الحب والتكريم، ألم تقرأ أية أخبار عن الجمعية التى تُسمى جمعية "تحرير الحيوان من ظلم البشر" ؟

ولم ينتظر تشاوبيلى الإجابة واستمر قائلا:

– هـذه هى الجـمـعـيـة التى تـدافـع عن حـقـوق الحـيـوانات، وكثيراً ما يهاجم أعضاء تلك الجمعية معامل المعاهد العلمية التى تستخدم الحيوانات فى تجاربها، بدعوى أن استخدام أجسام الحيوانات فى التجارب العلمية عمل غير آدمى.

كان يقين يستمع بدهشة، فقد قرأ من قبل وسمع عن التفرقة العنصرية فى أوربا، ولكن الأوضاع التى صورها له تشاوبيلى قد أرعبته، فقد فكر فيما سيواجهه من هذه الحقائق، لأنه ذاهب إليها بقدميه، إلى بلاد يجهلها، وبنفس الدهشة، بدأ يتكلم وكأنه يحدث نفسه قائلا:

– إن للحيوانات قيمة تفوق قيمة الإنسان ! وإن للكلاب قيمة أغلى بكثير من قيمة الإنسان الأسود.

ظل يقين وتشاوبيلى يتحدثان، وبدأ تشاوبيلى يروى ليقين عن أخلاق الشعوب البيضاء عندما كانوا فى أفريقيا وكيف تتغير هذه الأخلاق عندما يرجعون إلى بلادهم ذاكراً له كثيراً من الأمثلة والوقائع وكأنه قد عاصر كل هذه الأحداث، وفى النهاية، سأله يقين:

– كيف علمت بكل هذه الأمور ؟

رد تشاوبيلى قائلا:

– آه ! هل تتخيل كيف يعيش البعض منا هنا ؟ ألست تنزانياً يا سيدى ؟ بدون أصدقاء أوربيين لن يستطع بعضنا السفر إلى الخارج، ولن يستطع الإعداد لإقامته فى هذه البلاد، وبعد ذلك، فالكثير من

المتعلمين مثلى، الذين أنهوا دراساتهم ونضجوا فكريا، وعادوا إلى أوطانهم، كانت نهاياتهم أن ألقوا فى البحر ليصبحوا وجبة شهية لأسماك القرش أو تطفو أجسادهم على شواطئ الصومال.

بعدما سمع يقين كل هذه الأهوال، شعر وكأنه فى كابوس فظيع، فقد درس حتى حصل على الشهادة الجامعية الأولى، ولكنه لم يقرأ عن مثل هذه الأحداث فى أى كتاب قرأه من قبل، وقال لتشاوبيلى:

– صحيح أن المعيشة صعبة، ولكن لا يمكن أن يرضى الإنسان على نفسه الذل، ويتصرف بهذا التصرف العجيب ويهرب من مواجهة الظلم ويرضى بالمذلة.

ضحك تشاوبيلى بمرارة، وقال موصياً يقيناً:

– لابد أن تبعد عن خيالك هذه الحياة الكريمة، فنحن نعيش فى عالم الغابة .

وأردف :

– معظمنا قد تعب ، ولا نصدق ما نسمعه فى وسائل الإعلام، إن الأفريقى لن يتقدم ولو ليوم واحد ! نحن شعوب حُكم عليها بالشقاء ! لدرجة أن العاملين منا لا يفتخرون بأعمالهم بقدر ما يتمنون إطعام أنفسهم وأهليهم من هذه الأعمال.

لم يدم حديثهما طويلاً بعد ذلك حيث اقتربا من مطار أمستردام الدولى ، حيث يجب أن يغيرا خط السير ويستقلا الطائرة المغادرة إلى لندن .

سأل تشاوبيلى يقينًا عما إذا كان هناك شخص ما ينتظره عندما يصل إلى لندن، رد يقينًا بأنه ليس هناك أحد ينتظره ولا يدرى ماذا يفعل، ثم قال:

- وكل ما أرجوه أن أجد طائرة متوجهة إلى جلاسكو فى نفس اليوم.

فأجابه تشاوبيلى:

- لا تقلق يا صديقى، فلن أتركك حتى تستقل طائرتك إلى جلاسكو.

بعدما تعبا من التجوال بين المتاجر الموجودة داخل المطار، جلس تشاوبيلى مع يقين فى مطار أمستردام لمدة ثلاث ساعات فى انتظار الطائرة المتجهة إلى لندن. قال تشاوبيلى ليقين:

- إن مدينة أمستردام معروفة بالبغاء وتجارة البانجو والمخدرات،

وبدءا يتحدثان مع أصدقائهم المسافرين وبخاصة الأفارقة ويسألونهم عن أحوالهم فى بلادهم، وظروف معيشتهم فى الخارج، ومعاملة الأوروبيين لهم، وبعدما أنهيا الحديث مع أربعة أفارقة، فوجئا بثلاثة من الجنود الأوروبيين، يرتدون الزى الرسمى ويتقلدون بنادقهم يلتفون حولهما، ويبرزون لهما بطاقاتهم العسكرية، فتبين لهما أنهم من الشرطة، أمرتهما الشرطة أن يحملا أمتعتهما ويتبعاهم، أُنزلا إلى الطابق الأسفل فى المطار، وأُدخل كل واحد منهما فى حجرة منفصلة، وفُحصا فحصًا ذاتيًا دقيقًا، لم يترك جزءًا من جسديهما حتى الأماكن الحساسة منها، وكذلك الأمتعة.

سأل الشرطي يقيناً:

– هل أستطيع رؤية جواز سفرك يا محترم ؟

أعطى يقين جواز سفره للشرطي ، وبعدما فحص الشرطي جواز السفر، سأل يقيناً قائلا:

– لماذا تذهب إلى إنجلترا ؟

رد يقين بتوتر شديد:

– ذاهب لعمل دراسات عليا.

قال الشرطي:

– نحن نراقبكما بالكاميرات التلفزيونية السرية، ورأيناكما تتسكعان هنا وهناك، وتتحدثان مع الناس، هل تعرفان منْ هؤلاء الأشخاص؟

رد يقين ببراءة:

– كنا نتحدث معهم للتعارف.

بعد التحقق من براءتهما سمحوا لهما بالعودة إلى الطابق العلوى، حيث تقابلا سوياً فى مكان الانتظار لإقلاع الطائرة.

كان يقين ثائراً، وقال لتشاوبيلى :

– إن هذه الرحلة مليئة بالمشاكل منذ بدايتها فى مطار دار السلام.

ضحك تشاوبيلى كثيراً عندما علم أن يقينًا قد أُرغم على دفع خمسمائة شلن رسوم مغادرة فى مطار دار السلام، ثم عقب قائلاً:

- نصبوا عليك يا صاحبى! لو أنك رفضت دفع هذه النقود ما استطاعوا فعل أى شىء معك، هل رأيت هؤلاء الأشخاص الذين جاءوا ليفحصونا، ولماذا فعلوا ذلك ؟

قال يقين:

- لا أدرى، والأسئلة التى سألوها لى كانت غريبة.

قال تشاوبيلى:

- كل الذين يُقبض عليهم هنا من الأفارقة، أتدرى لماذا ؟ لأنهم دائما يرتابون فى ذوى البشرة السوداء بأنهم يتاجرون فى البانجو والمخدرات ولا يتهمون أى أوربى مهما كان، وقد قلت لك من قبل إن مدينة أمستردام مشهورة بالبغاء، وغسل الأموال القذرة، وتجارة البانجو والمخدرات.

واستمر تشاوبيلى يروى ليقين كثيراً من الحوادث التى وقعت فى هذه المدينة.

وصلا إلى مطار هيثرو الدولى بلندن فى حوالى الساعة الخامسة مساءً، وبعدما أنهى يقين إجراءات الدخول من جمارك وجوازات وغير ذلك، أخذ يبحث عن تشاوبيلى حتى التقيا عند مسار خروج الحقائب من الطائرة، جمع أمتعته، ثم سأل تشاوبيلى عن المكان الذى يمكن أن

يستقل منه الطائرة إلى جلاسكو ، لأنه علم أن مطار هيثرو الدولى مترامى الأطراف، وينقسم إلى أربعة أقسام.

بدأ تشاوبيلى فى جمع حقائبه، وبدون أن ينظر إلى يقين، رد عليه عابساً:

– يمكنك أن تتبع هذه الخطوط، فهى متجهة إلى حيث تريد، وأردف وهو ينظر إلى ساعته:

– كنت قد وعدتك بأننى سوف أظل معك إلى أن تقلع طائرتك، ولكننى قد تأخرت، وهناك أحد معارفى ينتظرنى بالخارج، إلى اللقاء والله معك.

صُدم يقين من تصرف صاحبه، استأذنه وانصرف وهو لا يدرى ماذا يفعل، حتى إنه لم يعرف أن هناك بعض العربات الصغيرة التى يحمل عليها حقائبه، فحملها على كتفيه وبدأ يمشى متبعا هذه الخطوط الإرشادية، ظل يتابع هذه الخطوط فى داخل المطار كالمجنون، وكلما سأل أحد الأوربيين عن الاتجاه المؤدى إلى طائرة جلاسكو ، يرد عليه برد يتعارض مع سابقه، وأخيرا، وبعد عناء ومشقة وصل إلى حيث يريد، وكانت المفاجأة غير السارة، فقد وجد أن آخر طائرة متجهة إلى جلاسكو قد أقلعت.

الآن، أصبح يقين كالفأر الذى وقع فى المصيدة، لا يدرى ماذا يفعل، على الرغم من شدة البرد الذى كان يتغلغل فى العظام، إلا أنه كان يتساقط منه العرق كالمصاب بالملاريا التى لم ينفع معها أى دواء،

اتبع يقين الخطوط مرة أخرى متجها إلى خارج المطار حيث موقف السيارات والحافلات، وكانت المفاجأة ! أنه وجد تشاوبيلى يقف مستنداً إلى أحد أعمدة الإنارة، منتظراً ركوب الحافلة، سأله بمرارة قائلا:

- كيف لم يأت لك صاحبك حتى الآن ؟

رد تشاوبيلى بهدوء:

- أعتقد أننى قد خُدِعتُ

واصطنع ابتسامة على وجهه، وكأن شيئًا لم يحدث بينهما من قبل وقال:

- إذا كنت لم تَلحق بطائرتك، فيمكننا الذهاب إلى المدينة فإننى أعرف المكان الذى يمكن أن نستأجر فيه حجرة واحدة، تؤدى الغرض، لأنه ليس معى نقود كافية، ولأنك لابد أن تستيقظ مبكراً غداً لتعود إلى هنا، فليس لدينا وقت للتفكير فغداً صباحًا لابد أن تستأجر سيارة خاصة للعودة بها إلى المطار، وافق يقين بدون تردد، وبدأ يتساءل فى نفسه.

- ماذا يمكن أن أفعل ؟ ليس لدى أية خيارات، حتى أننى لا أعرف إلى أين أذهب ! ماذا يفعل شخص تائه مثلى ؟ فلم أمرر فى حياتى بأطول من هذه الأيام ! يا ه ! قدرى يقودنى، وكأن أرواح الأجداد تقف فى طريقى، خيراً على كل حال، فإن شيطاناً أعرفه أفضل من أشخاص أجهلهم.

جاءت الحافلة واستقلاها معًا، بدأت مشاعره تتوهج، فهو متجه إلى مدينة يقطنها عشرون مليونًا تقريبًا، أخذ يحدث نفسه:

- أصبح يقين فى إنجلترا، فقد كان حلمًا ثم صار واقعًا.

شعر بسرور داخلى على الرغم مما واجه من مشاكل، نسى كل ذلك، وقال:

- أصبح الخيال واقعا يلمسه يقين بيديه، يا للعجب !

الفصل الثانى

ماجيكوندو وتريزا

كان يقين يعود من العمل قبل زوجته تريزا دائمًا ، وكانت تريزا تصل بعده بساعتين . يستلقى يقين على الأريكة ، يتصفح الصحف الملقاة على المائدة فى خمول وكسل، لأن ما تكتبه الصحف من أخبار هى ذاتها التى يسمعها فى الإذاعة . ولكن - كعادة معظم الناس - يشترى يقين هذه الصحف لقضاء الوقت ، علاوة على بعض الأخبار التى يمكن أن تنفرد بها.

كانت درجة الحرارة شديدة جداً فى دار السلام ، فهذا هو موسم الحر. شعر يقين بشدة الحرارة ، بدأ العرق ينهمر من جسمه ، ارتدى قميصه ، وترك صدره عاريا ، وفتح باب المنزل ليسمح لهواء الشارع بالدخول ، نسى أن معدته فارغة، وجلس يتنسم الهواء ، ولكن لا تأتى الرياح بما تشتهى السفن ، لم يجد نسمة هواء نظيفة فى هذا الجزء من بلدته التى تُسمى سينزا ، فبدلاً من نسمة الهواء التى تمناها ، فوجئ بهواء ساخن يحمل رائحة مياه الصرف الصحى القذرة ، التى تمر فى

مجرى ضيق بجانب حائط منزله، نتيجة لانسداد الماسورة الرئيسية للصرف الصحى فى الحى.

ضجر يقين من هذا الوضع المقزز، وأخذ يمصمص شفتيه، ويلعن - فى نفسه - كل الذين يعملون بمجلس المدينة، وتمنى أن توقف لعبة القروض التى ثبت عدم جدواها، ولا يدرى أحد عنها شيئا.

فجأة، سمع يقين طرقًا على الباب، نهض واقفًا ليستطلع الأمر، فرأى شرطيين يقفان بثبات خارج الباب، ارتجف قلب يقين وزادت دقاته، لكنه تشجع وتقدم نحوهما مُرحبًا بهما، أخرج الشرطيان بطاقتى تحقيق الشخصية وقدما نفسيهما، الأول: قصير ممتلئ الجسم، اسمه كويلو بمبى والثانى اسمه : بريفت حسان، دخل كويلو أولاً ثم قدم صاحبه. رحب بهما يقين وطلب منهما أن يجلسا ، فقال له كويلو :

- نشكرك، ليس لدينا وقتٌ للجلوس، ولكن نريد منك إجابة على بعض الأسئلة، لذا نريدك أن تأتى معنا إلى نقطة الشرطة لتقدم لنا المساعدة فيما جئنا لك من أجله.

قال كويلو ذلك دون أن يهتز له رمش ، وقد بدت على وجهه علامات الصرامة والحدة .

لم ينطق يقين بكلمة واحدة، انتظر ما سيُلقى عليه من أسئلة وقد كاد قلبه أن يقفز من صدره كالحصان الجامح. بدأ كويلو يسأل يقيناً :

- أنت اسمك يقين ماسيزى ؟

هز يقين رأسه قائلاً : نعـم.

– أنت من مـواطني محـافظـة سـونجيا ومـن منطقة منجوني بالتحديد ؟

بعدما تمشى كوبلو يمينا ويسارا ، استرسل بسخرية قائلاً :

– يا إلهي ! مـعنى ذلك أنني أتحـدث مع جـارى ! فـأنا من منطقة نيـامويزي، وأنتم الذين أخضـعتـمونا لسـيطرة الزعـيم القبلي المعروف باسم ميلامبو.

– لنكمل ما بدأناه ، مـا هـي العلاقة التى تربطك بشـخصية مـعروفة مثل ميرتون مبويتو ؟ وكيف كانت هذه العلاقة ؟

خفق قلب يقين تغيرت دقاته، شردت أفكاره، ثم تذكر قسم ووعيد ميـرتون في بلدة وينشز عند عـودته من إنجلتـرا. شـعـر ببرودة شـديدة تتخلل قدمـيه، وقد عجزت قدماه عن حمله، فقد عـاودته الأخبـار التى سمعها عن ضرب ميـرتون مـبويتو. وقد توقع أن يحدث له هذا الموقف – الذى هو فيه – منذ أيام قلائل. أجاب بعد فترة صمت :

– نعم أعرفه، فقد تعارفنا للمرة الأولى عندما كنا طلابا فى جامعة دار السلام، وكنا معا أيضا فى أوروبا.

– حسنًا !

سجل ما قاله يقين في مفكرة صغيرة كانت فى جيبه، ثم استرسل سائلاً :

– هل تقابلتما منذ عودتكما من أوروبا ؟ وهل لديك علم بأنه قد ضُرب ضرباً مبرحاً منذ أسبوعين وجُرح جروحاً خطيرة ؟

– لم أتقابل معه منذ عودتنا من أوروبا، أما عن أخبار ضربه فأعلمها ، فقد أخبرتني بها إحدى السيدات اللاتي يعملن معه.

استدار كوبلو إلى صاحبه بريفيت حسان ثم عاد مرة أخرى وبحلق في يقين قائلاً :

– لذلك نرى أنه من الأفضل أن تذهب معنا إلى نقطة الشرطة حتى تساعدنا في الإجابة على بعض الأسئلة الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع، اترك رسالة لزوجتك تبلغها أنك في نقطة الشرطة، وإذا أمكن دعها تحضر لك شخصًا يضمنك، لأنك سوف توضع تحت المراقبة لفترة ما، لتقديم بعض المعلومات التي تفيد التحقيق، نحن لا نقول إنك سوف تُحجز، ولكن الدنيا غدارة، ومن حُسن الفطنة أن يحتاط الإنسان لنفسه.

فعل يقين ما أُمر به، ارتدى ملابسه ورافقهما إلى نقطة الشرطة، تأكد من أن جميع أبواب منزله موصدة جيداً، ركب سيارة الشرطة التي كانت مرابطة خارج المنزل ، أسرعت السيارة بمغادرة المكان وأعين الجيران تنظر وتراقب بدهشة و تتساءل ماذا حدث ؟ وبدأ بعض الجيران يتهامسون، ربما يكون متهما في قضية اقتصادية! وقال البعض :

– ربما قُبض عليه متلبسا بالسرقة ! وكل مجموعة أدلت بدلوها فيما رأت.

عاد يقين إلى منزله في نفس اليوم بعدما أمضى ثلاث ساعات كاملة في نقطة الشرطة، فقد وضع في الحجز، ولكن زوجته استطاعت أن تحضر له من يضمنه ويطلق سراحه، شرد بأفكاره وقال في نفسه : يا للحظ السيئ الذي يلازم الإنسان وهو في شدته، قضى ثلاث ساعات عصيبة وهم يسألونه:

– أين كنت يوم السبت في الأسبوع قبل الماضي، عندما ضُرب ميرتون مبويتو ؟ وسألوه أيضا عن بعض الأشخاص الذين يقيمون في الحي الذي يقطن فيه ميرتون، أجابهم بأنه لا يعلم عنهم شيئاً، ولا يدري إذا كان ميرتون نفسه يقيم في هذا الحي أو لا، وأخيراً قال له ضابط الشرطة الذي يتولى التحقيق معه، إن يقيناً من بين الأشخاص الذين يتهمهم ميرتون، وأوضح له أن ميرتون يقول إن يقيناً هو الذي استأجر الأشخاص الذين قاموا بضربه، وقد اندهش يقين مما سمع من ضابط الشرطة. ظل يقين مستلقيا على ظهره بجوار زوجته تريزا يفكر فيما حدث له في نقطة الشرطة حتى أصابه التعب، أدار وجهه تجاه زوجته النائمة بجواره، وجدها تغط في نوم عميق مما عانت منه طوال اليوم، فقد أمضيا يوماً طويلاً جرياً وراء التحقيقات، و على الرغم من شدة التعب، والمعاناة التي لحقت بيقين في ذلك اليوم إلا أن النوم لم يداعب جفونه، ولم تغمض عيناه طوال الليل.

لم يعلم يقين لماذا اتهمه ميرتون، أخذت الأفكار تدور في عقله، ومعظم هذه الأفكار تؤكد لديه فكرة انتصار الشر في هذا العالم، قال في نفسه :

– إن كثيرا من الناس يعتقدون فى ذلك ، فغالبًا ما تنتهى قضايا الظلم والخداع لصالح الظالمين والمخادعين لأنهم يحرفون الكلام، ولديهم المبررات المُعدة مسبقًا. وقد ماتت ضمائرهم، لا يضرهم إيذاء الغير.

إن الذى يؤلم يقينًا ويعذبه هو ضميره اليقظ، الحقيقة التى يسعى دائمًا وراءها – على الرغم من علمه بأن الحقيقة مؤلمة فى كثير من الأحيان. – كان يفكر دائمًا فى مخرج لنفسه من الحياة الصعبة التى يعيشها، وفى نفس الوقت كان ينظر لحياة ميرتون السهلة الميسورة. يشعر أن حياته مليئة بالمشاكل، وكل خطوة يخطوها يجد تحت قدميه أشواكًا منثورة بعناية وكأنها مخصصة لموضع أقدامه، كل المشاكل كأنها جُعلت له وحده، بينما يجد ميرتون يعيش حياته الميسورة بالنفاق والظلم والكذب.

رجع إلى نفسه موبخًا :

– من أنت حتى تحكم على الناس بهذه الأحكام ؟ ألم يُذكر فى الكتب المقدسة أن الإنسان لا يحكم على أخيه الإنسان ؟ أليس من الخطأ أن تتنكر الناس لفائدة الحقيقة ؟ ولكنه شعر بأنه لابد أن يتفكر فى كل هذه الأمور، ويتذكر ما ورد منها فى الكتب المقدسة، فكم تألم أيوب وتحمل وصبر على الابتلاء وكانت نهايته خيراً.

ردته هذه الأفكار إلى عقيدته الدينية وأخرجته من وساوس الشيطان؛ فقد كان قد ابتعد قليلاً عن تدينه لعدة سنوات مضت، وبعد

إيمانه اصطدم بالمشاكل التى كان يقرؤها فى الكتب التى تدعو للتمرد والاستقلال، وقد كان ذلك خلال دراسته فى الجامعة لأول مرة. كانت فترة عظيمة فى حياته، انتشرت الدعوة للاستقلال فى كل مكان ، فى المدارس والمصانع والحقول. لا تجد صحيفة تخلو من أخبار عن إضراب الطلاب وطردهم من المدارس، وعجز النظام القائم عن احتواء قلاقل الطلاب، وكانت أحداث العمال واحتجازهم لأصحاب رءوس الأموال والمديرين بالشركات والمصانع، وإضراب الفلاحين فى الحقول وامتناعهم عن تنفيذ مشروعات منطقة سونجيا كان لها صدى واسعٌ ومؤثرٌ فى بقية الشعب.

كل طلاب الجامعة قد تأثروا وتفاعلوا مع الأحداث، أُلقيت الخُطب والأشعار من المدرسين والطلاب فى المدارس ودور العرض السينمائية. البعض قال إن الطلاب قد خُدعوا وأُعطوا وجبات غذائية فاسدة ومليئة بالديدان، وقال البعض إنه يجب على الطلاب الصبر والتحمل لأن الدولة سوف تدفع تعويضات لهم، إن الذى يجب أن نتذكره هى حياة العمال والفلاحين أنفسهم التى أصبحت فى الحضيض، فهم لا يجدون حتى هذا الطعام الفاسد الممتلئ بالديدان، والبعض يقول إن مثل هذه الإضرابات التى يقوم بها العمال والفلاحون تُعطى فكرة سيئة عنهم، والآخرون يقولون إن هذه الإضرابات تسبب الاضطرابات والفوضى فى المجتمع. والجميع بدأ يدلى بدلوه ويصرح بما يعتقد.

وقف يقين يشهد حربًا ضروسًا بين العلم الذى يتبنى وجهة النظر المادية ويأخذ بالأسباب فى التجارب حتى يصل إلى اليقين، والدين

المفترى عليه بأنه يدعو إلى الاستضعاف ويحلل القهر ويبنى فرضياته على الظن، خشى يقين أن يدخل فى مثل هذه المهاترات. وكلما سمع هذه المناقشات المنتشرة فى كل مكان بالكلية شعر بالخوف من غضب الله على هؤلاء القوم، هذا الغضب الذى يمكن أن يتسبب فى انهيار المبنى على من بداخله. قال يقين فى نفسه:

– ألا يتذكر هؤلاء القوم اختلاف قوم نوح على نبيهم وقد تسبب هذا الاختلاف فى الفيضان الذى أغرقهم جميعا، ألا يتذكرون ما حدث لقوم لوط وهلاك مدينتهم، أو قوم هود وغيرهم ممن عصوا أنبياءهم، ألا يتذكرون النبى يونس حينما ذهب مغاضباً فابتلعه الحوت، ولولا رحمة من الله ما أنقذ من اليم.

لكن ، بمرور الوقت بدأ يقين يتأثر بهؤلاء الناس الذين نقدهم سابقًا، فقد أخذته موجة العصيان، فى الحقيقة أنه لم يجد أمامه مفراً من قراءة كتب ماركس ولينين وغيرهما، حبه الشديد للعلم جعله لا يخشى قراءة أية كتب مهما كانت، ظل يقرأ فى هذه الكتب وغيرها حتى جحظت عيناه.

مضى العام الأول فى الدراسة، ثم السنة الثانية، وجاءت السنة الثالثة وبدأت معها كل الأحداث التى وقعت ليقين. لم تمر فترة قصيرة قبل حلول امتحان شهر مارس ١٩٧٨، إلا وبدأت المصاعب والمشاكل فى الجامعة، فى أول الأمر كانت هذه المشاكل بسيطة لكنها بدأت تتضخم حتى تولد الانفجار الحقيقى، استأنف الطلاب إلقاء الخطب التى تُظهر

الحالة الاقتصادية المتردية فى البلاد، كانت قيادات الحزب والحكومة مجتمعة بمنطقة ويتى بمبا فى ذلك الوقت. كانوا يناقشون الأحوال العامة للدولة - علاوة على مصالحهم الخاصة - المتعلقة بمستقبلهم بعد الإحالة للمعاش، وكانت نتائج الاجتماعات المتتالية أن خرجوا لدعوة الشعب لربط الأحزمة، والتقشف لمحاولة التغلب على الظروف الاقتصادية التى تدفع البلاد إلى الهاوية .

كلما كان يفكر فى كيفية سير الأوضاع فى البلاد ، لا يستطع التوصل إلى صورة واضحة للسياسة العامة للدولة. وكل الذى استطاع أن يدركه ، أن هناك تياراً سياسيًا لا يمكن اعتراضه. تجمع الطلاب، وقرروا السير فى مظاهرة كبيرة والوصول بها إلى مقر جريدة الحزب الحاكم، ويعلنوا معارضتهم للمخصصات والامتيازات التى تمنحها قيادات الحزب لأنفسهم على الرغم من انهيار الأحوال الاقتصادية فى البلاد.

فى هذه الظروف كان أول لقاء بين يقين وميرتون، كان ميرتون ضمن مجموعة قليلة تعارض ما يقوم به الطلاب من مظاهرات، وكان دائمًا ما يغادر اجتماعات الطلاب فى بدايتها، لم يدرك يقين الأسباب التى كانت تحمل ميرتون على هذه التصرفات، قد أوضح بعض الطلاب ليقين أن ميرتون من الأتباع المخلصين للحزب الحاكم، وكيف يمكن لتابع مثله أن يعارض المطالب الشرعية للعمال والفلاحين، وحتى من هم على شاكلته قلائل ولا يستطعون منع أى شيء.

جاء يوم الأحد الخامس من مارس ١٩٧٨م ، ظهر الطلاب وهم فى طريقهم إلى المدينة، يحملون لافتات مليئة بالشعارات، وقد امتلأت قلوبهم بالحماس الثورى. خرج الناس إلى شوارع مدينة دار السلام ليروا ماذا يحدث، البعض منهم شعر بالسرور والبهجة وانضم إليهم وشاركهم حماسهم، بينما وقف البعض الآخر يراقب ما يحدث فى هذه الجولة، كانت اللافتات مليئة بالعبارات المناهضة للاستغلال وتؤيد الاشتراكية، وبعض الشعارات كانت تلعن قيادات الحزب الذين يستغلون موارد البلاد لمصالحهم الخاصة.

كان يقين فى وسط هذه الحملة، وفى المقدمة وقف أحد الرجال يهتف بالشعارات ويستنفر الشعب ويحث الناس للانضمام إليهم، كان يقين وأصحابه يهرولون هنا وهناك رافعين أيديهم وهم يشيرون بعلامات النصر، كانوا جميعاً متفائلين بالنصر.

فجأة ظهرت أمام يقين فتاة شابة، تحمل فى يديها لافتة، تعثرت قدماها فسقطت على الأرض، أسرع إليها وأحاط بها من أعلى، وأخذ يدفع عنها الناس الذين من خلفها كيلا يدوسوها بأقدامهم، واستطاع أن يرفعها من الأرض لكى تستعيد توازنها، حمل عنها اللافتة، واستدار نحوها ثم ابتسم لها، ردت له الابتسامة بابتسامة عريضة حتى ظهرت أسنانها المتباعدة عن بعضها بجاذبية ولمعان كالثلوج التى تكسو جبل كليمنجارو، كان الفراغ بين أسنانها لافتاً للنظر، لدرجة أنها جعلت يقيناً يتمنى لو أنها تستمر فى ابتسامتها.

تذكر أنه قد تقابل مع هذه الفتاة قبل ذلك فى مكان ما، وأن تجاوب الفتاة معه وابتسامتها قد أكدت ما ذهب إليه، ولكن لم يكن هذا هو وقت التفكير فى أمور كهذه ، فهو وقت الكفاح والمناداة بحقوق الشعب، وكان يشعر فى ذلك الوقت بعظمة الوحدة التى ربطت قوى الشعب العاملة، ويريد أن يتذوق حلاوة التحرر من سيطرة المستغلين لقوت هذا البلد.

اضطرب لفترة قصيرة، حتى إنه لم يدر كيف يتصرف؛ لأنه كان متحمسًا بشدة للمطالب التى من أجلها قامت هذه المظاهرات. وفجأة فُزع وصُدم عندما توقفت هذه النداءات، وهدأت الضوضاء، وبدأت بدلاً منها صرخات استغاثة مليئة بالمرارة والحزن. وبدأت ضوضاء من نوع آخر عندما بدأت هراوات الشرطة تضرب بشدة أجساد المتظاهرين.

شرد ذهنه من الدهشة وأخذ يحدث نفسه:

– شرطة ! شرطة ! أبناء الفلاحين من الشرطة يضربون بالهراوات أبناء الفلاحين الذين يدافعون عن مطالب الفلاحين ! شرطة ! أُف ! أُف !

فُزع فجأة عندما وجد نفسه أمام الشرطة وهم يرفعون أيديهم بالهراوات المدعمة بالكرابيج المصنوعة من جلد الخرتيت، وبحركة لا إرادية كان أول شيء فعله ، أن وجد نفسه ممسكًا بيد الفتاة التى سقطت أمامه من قبل، وجذبها بشدة لجانب الطريق حتى ينقذها من كرابيج الشرطة، فى نفس الوقت كانت الكرابيج تنزل متتابعة على كتفه

دون أن تضل طريقها إليه أو تفقد قوتها. شعر أن هذه الكرابيج مكلفة بمأمورية ولابد لها من إنجازها، وكأنه يسمعها وهى تقول له : "اجر ! اجر !،" جرى ويداه تقبضان بشدة على يدى تلك الفتاة.

انطلق بسرعة كبيرة وكأن هناك قوة عجيبة تدفعه إلى الأمام، وهو يسحب الفتاة من خلفه، دخلا فى الأزقة بين المبانى المرتفعة، ثم وقفا ليستريحا، فوجئا بأنهما واقفان بجوار جدران دورة مياه مصنوعة من الأقمشة الصوفية، تفوح منها رائحة كريهة جداً، بينما كانا يلهثان، ورئتاهما منتفختان من شدة التنفس بعد هذا الجرى السريع لذلك شعرا بالاختناق.

كانت ملابسهما متشربة بالعرق، وكأنهما خارجان من السباحة دون أن يخلعاها، وكان الجزء الأسفل من ملابس الفتاة محشوراً بين فخذيها الممتلئتين وكأنها ملتصقة بالغراء على جسمها، كتما أنفاسهما معًا وكأنهما شعرا بأحد الأشخاص يتتبعهما، كان المكان هادئاً. والأصوات التى يسمعونها ما هى إلا أصوات الأطفال الذين يلعبون بعيداً عن هذا المكان، وقد كانوا يدقون على علب الصفيح الفارغة ويستخدمونها كطبول فى ألعابهم.

وبينما هما كذلك إذ سمعا صوتًا يهمس من خلفهما :

- تعاليا هنا ادخلا!، الدار أمان.

استدارا إلى الخلف بسرعة مليئة بالخوف، وشعر بقلبه وكأنه قد انخلع من صدره من شدة الخوف، لم يألف الموقف، كيف يدعوهما

شخص هكذا وهو يعلم أن هناك حرباً بين الشرطة والطلاب، نظرا إلى هذا الشخص بعيون مليئة بالشك وعدم التصديق، وقد استعدت قدماهما للجرى هرباً مرة أخرى.

الشخص الذى ناداهما كان رجلاً يبلغ الخمسين من عمره كما تدل التجاعيد التى كانت موجودة فى وجهه على الرغم من أن أطرافه تدل على أنه رجل فى قمة شبابه، كان يرتدى رداءً مزركشاً ، وفوق رأسه عمامة خفيفة، و فى قدميه حذاءٌ جلدىٌ منقوشٌ. قال لهما بصوت هامس :

– أنا لست شرطيا ولا مخبراً سرياً، لن أضركما بشىء، أنا أعرف ما يحدث فى الشوارع الآن، تعاليا وادخلا دارى لتتواريا من أعين الشرطة.

قال ذلك وهو يشير لهما بإصبعه إلى كوخ مبنى بجذوع الأشجار ومسقوف بألواح خشبية مثبتة بالغراء.

اتبعاه حتى دخلا الكوخ الخاص به، كان المكان مظلماً من الداخل، استغرق هذا الأمر حوالى دقيقة واحدة حتى تأقلما على ظلمة الكوخ واكتفيا بشعاع صغير من الضوء الخافت داخل من خارج الكوخ. تناول هذا الشيخ بعض المقاعد المطوية وفردها لهما وأمرهما بالجلوس. جلسوا جميعا، ثم مرت عليهم فترة سكوت طويلة، انتهز يقين فترة الصمت وأخذ يتحسس كتفه الذى مازال يؤلمه.

نظر هذا الشيخ إلى يقين بشفقة، وقال له بصوت هادئ ملئ بالحنان وهو ينظر إليه:

– يبدو أنك تتألم من كتفك، يمكنك أن تخلع قميصك حتى نرى ما إذا كنت قد جُرحت جُرحًا عميقًا أو لا

كف يقين عن لمس كتفه ثم رد على هذا الشيخ قائلاً :

– ليس هناك ألمٌ وإننى لا أتوجع من شىء ، فما هى إلا بعض الدمامل، ولا أظن أنها يمكن أن تسبب لى أى ضرر.

هذا الكلام قد أنهى فترة الصمت الطويلة، واستأنف هذا الشيخ كلامه بنفس الصوت الهادئ قائلاً:

– لابد أن تظلا هنا حتى تهدأ الأمور، فإننى قد شهدت مثل هذه الأحوال والاضطرابات فى الأعوام السابقة، لم يتحقق الأمن مطلقًا إلا بعد أن تسيطر الشرطة على الطلاب وترسلهم إلى مساكنهم، ويعلنوا تقاريرهم فى وسائل الأعلام بأنه تمت السيطرة على الأمور، وستُتخذ الإجراءات القانونية ضد مثيرى الشغب، ولا تتوقع خيراً يمكن أن يأتى من ورائهم .

كان الشيخ يتحدث معهما مطرقًا ببصره نحو الأرض، وبدأ صوته وكلامه ينم عن معرفة عميقة بمعظم الأمور التى تحدث ولم يستطع يقين إدراكها والإلمام بها حتى الآن، شعر براحة نفسية تجاهِ هذا الشيخ وكلامه الواعى الذى بدأ يضعه على بداية فهم ما يدور حوله، نظر إلى

الشيخ الذى لا يزال مطرقًا، ولم يرفع رأسه بعد، وبدأت الفتاة تنظر أيضًا إلى هذا الشيخ، رفع الشيخ يده إلى أعلى وخلع عمامته الخفيفة وكأنه يريد أن يثبت لهذا الشاب وتلك الفتاة أن عمره المتقدم لا يسمح له بالمبالغة ، فكشف عن رأسه ليريهما أن رأسه قد اشتعل شيبا، تملكت يقينًا والفتاة دهشة بالغة عندما اكتشفا أن مظهر الشيخ لا يدل أبدًا على عمره ، إذ أنه يبدو متمتعًا بالشباب على الرغم من المشيب الذى تخفيه العمامة.

أمعن يقين النظر فى تلك الفتاة ، فهو لم يميزها منذ أن جذبها من تحت أرجل الناس أثناء المظاهرات ووصول الشرطة، ومحاولته الهروب بها بعيدًا عن الشرطة، اندهش عندما عرف أن الفتاة التى قابلها من قبل، هى نفسها تلك الفتاة التى أنقذها عندما سقطت تحت أرجل الناس فى المظاهرات. سأل نفسه كيف كان من الصعب عليه أن يميز هذه الفتاة منذ هروبهما معا من الشرطة وحتى الآن.

أخذ يفكر فى هذه الفتاة، تذكر أنها تدعى تريزا، وقد رآها أمس الأول وهى تؤدى واجبها وتدلى برأيها ونصائحها فى كيفية التحرك أثناء المظاهرات، صورة تيريزا وهى تتحدث بصوت قوى مملوء بالحماس والتمرد، كان له أثرٌ واضحٌ فى جموع الحاضرين.

انقطع حبل أفكاره فجأة حينما بدأ هذا الشيخ حديثه رافعًا وجهه لأعلى فى هذه المرة ، بصوت هادئ وصل إلى مسامع يقين قال الشيخ:

– ليس من المعقول ألا يعرف كل منا اسم أخيه، أنا معروف باسم الشيخ ماجيكوندو.

– أنا اسمي يقين ماسيزى ، وهذه الفتاة تدعى تيريزا .

ظل الجميع داخل هذا الكوخ طوال اليوم. قام الشيخ ماجيكوندو بطهى بعض الطعام ، وأكلوا ثم أعد لهم الشيخ مياهًا للاستحمام، ظل الشيخ ماجيكوندو ويقين يتحدثان طوال هذا اليوم دون أن تتدخل تيريزا فى الحديث، ظلت تيريزا فى صمت عميق، كان يقين ينظر إليها كل حين راجيًا أن تشترك معهما فى الحديث لكن دون جدوى، استدار الشيخ ماجيكوندو إلى تيريزا مخاطبًا:

– إن تيريزا لا تريد كراهية أحد لرقة قلبها.

أوضح يقين للشيخ الهدف من مظاهراتهم، وآمالهم المعقودة عليها. وأوضح له أيضا أنهم لا يعتبرون أنفسهم مخطئين فى القيام بمثل هذه الأحداث.

أنهى يقين حديثه عن المظاهرات بقوله للشيخ ماجيكوندو :

– لقد كان هدفنا أن نطالب بحقوق الفلاحين. ليست هذه المظاهرات كالتى شهدتها منذ زمن، فالمظاهرات التى شهدتها أنت فى الماضى كانت فى كل الحالات تطالب بحقوق الطلاب أنفسهم. ونحن نعتقد أن مظاهراتنا ما هى إلا تأييدٌ لسياسة الاشتراكية التى تنتهجها الدولة. وحتى الآن لا أعرف كيف تصير الأمور بعد تدخل الشرطة ومواجهتها للطلاب. وما كنا نأمل أن يحدث ذلك قط.

استمع الشيخ ماجيكوندو لقول يقين بهدوء وتبصر، وبعد ذلك أخذ يهز رأسه معرباً عن حزنه وألمه لما يحدث من مواجهات الشرطة للطلاب. نظر الشيخ إلى يقين بشفقة ونطق قائلاً:

– يا بنى ! ربما لو كنت أنا الآن فى مثل عمرك لكنت شاركتكم فى كل ما تقومون به، فقد سبق لى أن شاركت فى كثيرٍ من هذه الأعمال. وقد تعلمنا الكثير من الماضى، ونضج فكرنا بناءً على تجاربنا السابقة وأصبحت لى خبرة طويلة فى هذه الأمور؛ ومن هنا أستطيع القول بأنه على الرغم من شرعية مطالبكم وحقكم فى التعبير عن آرائكم وشجاعتكم فى ذلك إلا أن الحقيقة المرة التى من الصعب أن تقبلوها ، أنكم تضيعون وقتكم وصحتكم سدى دون أية فائدة، فهذه الأحداث قد عايشتها من قبلكم وإننى مشفق عليكما.

كلام الشيخ ماجيكوندو جعل يقينًا يفقد الأمل فى الإصلاح، ولهذا فقد تملكه شعور غريب حيث شعر وكأن دمه قد تجمد فى شرايينه وأصبح قلبه خفيفًا كالورقة، ومن ناحية أخرى ، مازال صوت الشيخ ماجيكوندو رقيقًا هادئًا جذابًا لم تتغير نبرته منذ بداية حديثه، فأخذ يخاطب نفسه :

– هذا الشيخ يتحدث بهذا الحديث من واقع حياته المنزوية بعيداً عن الناس ووجهة نظره الضيقة على الرغم من إدراكه الجيد للأمور وتجاربه المتنوعة. ليته كان قد نال قسطًا صغيرا من التعليم، إذن لكان قرأ كثيرا وتغيرت وجهة نظره الضيقة لمثل هذه الأمور.

استمر يقين فى تفكيره ، إن الأمور مختلطة فى عقل هذا الشيخ، فالحقيقة أن هذا الشيخ كان يساعد أشخاصًا كانوا يقومون بأعمال تمرد طبقًا لأفكار غير صحيحة، فحدث لهم ما حدث، بدون شك ربما يكون لديه عذره ، و من الممكن أن نعرف هذا العذر.

انتهى صمت تيريزا بعد موجز أنباء المساء، فقد أعلن مقدم موجز الأنباء أن أربعمائة طالب قد طُردوا من الجامعة وردوا إلى ديارهم لقيامهم بمظاهرات مناهضة لخطة الحكومة التى تعمل على إرسالهم إلى قراهم للعمل بعد انتهاء دراستهم الجامعية، وعندما سمعت تيريزا هذه الأخبار، أخذت تمط شفتيها تحسرا وتضجرا من الأخبار التى سمعتها، كانت كل هموم البشرية قاطبة تظهر على وجهها، وتمددت شرايين الدم فى وجهها، واضطربت أنفاسها، وقد حان الوقت لكى تلقى ما فى قلبها من أحمال.

وبصوت غاضب حاد كالشفرة قالت :

- نحن نعيش فى ظل أحكام حمقاء ! فى الحقيقة أننى لم أسمع افتراءات مثل هذه من قبل ! كل الناس الذين شاهدونا، القاصى منهم والداني ، يعرفون أين تكمن الحقيقة، ويعرفون الأسباب التى قامت من أجلها المظاهرات. آه ! مسكينة يا أمي ! ليس عجبًا أن تمتلئ نفسها اليوم بالوساوس، فقد كنت أنا أملها الوحيد، وقد حدث لى اليوم ما حدث، ربما تقدر ظروفى إذا شرحت لها الحقيقة كاملة.

أثارت تيريزا الشفقة فى قلب الشيخ ماجيكوندو، شعر الشيخ وكأن شيئًا ما قد تملك قلبه، تمنى أن تكون لديه المقدرة ليقدم لها ما يفرج عنها كربها، ربما إذا عرفت ما أصابه هو نفسه قبل ذلك بسبب هذه الأمور لخفف عنها هذا الإحساس القاسى .

انزعج يقين عندما سمع كلام تيريزا، شعر بحالة من الرعب قد سيطرت عليه كما شعر بنغز شديد فى قلبه، حتى أنه لم يستطع النطق بأية كلمة، وظل ينظر إليها بدهشة وذهول.

تكلم الشيخ ماجيكوندو بصوته الهادئ المملوء بالشفقة والحب : يا ابنتى، أنتِ لستِ أول إنسان فى الدنيا يحدث له مثل هذه الأحداث، لابد أن ترضىْ بما قسم الله لكِ ليهدأ قلبكِ. فإن الحسرة والأسف لا يأتى من ورائهما غير الألم. فلتنظرِى إلى حياتى التى أعيشها، لقد مررت فى حياتى بالكثير من الأحداث المريرة، بعض من هذه الأحداث المريرة كاد يقضى على حياتى وتذهب روحى إلى آبائى الأولين آدم وحواء. *لكن الحياة كانت تداعب رموشى وتستدعينى مرة أخرى، انظرِى ! منذ أن حضرتِ إلى هنا فى الصباح وأنت لا تجدين لى زوجة* ولا ولداً. أتعرفين لماذا ؟ أتعرفين لماذا أنا ناديتكما لتتواريا هنا بعيدا عن الأعين ؟ لأننى عندما رأيت المظاهرات قد اندلعت اتجهت بسرعة إلى هنا قبل وصول جنود الشرطة، وعندما وصلت إلى المنزل ، جلست هكذا ، وكلما سمعت أصوات ضوضاء وفوضى أدركت ماذا يحدث بدون أن أخرج أو أنظر إلى الخارج، ليس ذلك بسبب استطاعتى التنبؤ أو قراءة

الطالع، بل لأننى رأيت الكثير من هذه الأحداث وأصبح قلبى سريع الإدراك لهذه الأمور.

بدأ الشيخ ماجيكوندو يروى لهما الكثير عن حياته وما واجه فيها من مصاعب، بدأت هيئته فى ذلك الوقت تتغير وتأخذ شكلا جديدا، وبدأت عيناه تلمعان وينعكس منهما بريقٌ خاص كلما نظر إلى المصباح المثبت على المنضدة التى يلتفون حولها، مازال صوته هادئا لم يتغير منذ بدأ الحديث، إلا إنه قد بدأ يحمل حزنا عميقا وإحساسا مريرا.

نعم يا أبنائى، فى عام ١٩٤٦م، عندما كان الحاج ماجيكوندو شابا يافعا، رجع لأول مرة من بورما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، رجعت وقد امتلأ قلبى أنا ومن معى من الأفارقة بالكثير من الأمانى بتحسن الأحوال المعيشية التى نعانى منها تحت وطأة حكم الاستعمار. كان هؤلاء الأفارقة يقدمون أنفسهم فداءً للدفاع عن الحضارة، فى نفس الوقت يحاربون الفاشية التى كادت تدمر العالم كله، ذلك المذهب السياسى الذى كان يتعامل مع الناس حسب أصولهم و ألوانهم، حاولوا أن يلفتوا نظر المستعمر إلى الإنسان الأفريقى باعتباره إنسانًا متحضراً مثل الآخرين، فقد كانت الحرب مع المستعمر ضد الآخرين أملهم الوحيد فى الحصول على الاستقلال، فكانوا يحاربون جنبًا إلى جنب مع الأوروبيين وينقذ بعضهم بعضا، أكلوا، وخاضوا الأخطار سويًا كلما دخلوا مدينة ما، لم ينظر الأوروبيون إلى اللون ولم تكن هناك تفرقة بين

متحضر وغير متحضر، كانوا يغنون الأغاني في أسفارهم معًا كي ينزعوا عن أنفسهم العناء ويؤنس بعضهم بعضا بالغناء، أنشدوا سويا أغنية:

كان لي صديق

أحبه من قلبي

عندما تبدأ الحرب نسرع بالخطى معا

على صوت الطبول ، على صوت الطبول

تصيح المدافع

ينطلق الرصاص

إذا قتلوا صديقي يستلقي على صدري

ويودعني ، إلى اللقاء يا صديقي

وداعا يا صديقي ، وداعا يا صديقي

نعم كانت هناك تغيرات كبيرة نحو التحرر الفكري، لكن الأحوال المعيشية في الوطن كانت تتردى و تكاليف المعيشة تتضاعف، وقد وقعت أجزاء كثيرة من أرض الوطن تحت وطأة المجاعات، ليست دودوما أو موشي فقط ! فقد عم القحط البلاد.

تقلد معظمهم الأمور في البلاد ، وبعضهم تذكر الحاج ماجيكوندو وأصحابه الذين رجعوا بسلام من الحرب ، أعطونا أعمالا، عُينت

ملاحظًا فى ميناء دار السلام، كنت أحصل على دخل كبير جداً بالمقارنة بالمئات من الذين استأجروهم فى ذلك الوقت، ولكن لتواضع ما حصلت عليه من علم فى العامين الذين درست فيهما، كنت لا أعلم الكثير أمام الكاتب الذى أتعامل معه، فقد كان يفوقنى علمًا لأنه أكمل دراسته وواصل سنوات الدراسة، لكن الأمر الأشد مرارة بالنسبة للإنسان هو التفرقة العنصرية التى كانت ومازالت موجودة لم ولن تنتهى، واستمر الحال كما كان فى الماضى.

فى يوم من الأيام، واتت الشاب ماجيكوندو الفرصة ليصطحب نائبًا عن حزب العمال البريطانى الذى جاء إلى تنجانيقا ليتفقد أحوال العمال، ويقف على مدى مقدرة هؤلاء العمال فى تكوين حزبٍ للعمال ليمكنهم من التغلب على مشاكلهم ويقضى على مشاجراتهم، وعندما كانا يسيران فى ميناء دار السلام، تعمد ماجيكوندو أن يسأله سؤالاً أمام هؤلاء العمال الذين يعملون تحت ملاحظته قائلاً :

السيد النائب الهمام، لماذا تصرون على دفع أجورٍ بسيطة للأفارقة بينما يحصل الأوروبيون على أجور ضخمة بالإضافة إلى الحوافز الكثيرة ؟

رد الرجل الأوروبى نائب حزب العمل البريطانى على ماجيكوندو قائلاً :

– نعم أيها الشاب، لقد لاحظت الحياة الصعبة التي يعيشها الكثير منكم، ولكن كل شخص يحصل على أجره طبقا لخبرته في العمل، معظم العمال الأفارقة غير متعلمين، وليس لديهم كفاءة في العمل، والكسل هو طبعهم، فلا يمكن أن يكونوا كالأوروبيين.

– ولكن هناك الكثيرين من الأفارقة لديهم خبرات واسعة في العمل وأجورهم ضعيفة جداً.

– لا يمكن أن نجد أفريقياً لديه خبرة كما تقول. وهناك فرق كبير بين الأفارقة والأوروبيين. ألا تعلم أنت ذلك ؟

رد عليه ماجيكوندو بانفعال وهو يبدى عدم رضاه عن الإجابة التي قدمها النائب الأوروبي قائلا :

– لماذا لم يظهر هذا الفرق الذي تدعيه أثناء الحرب ؟ أنا أعلم جيداً أن هناك أفارقة يعملون بخبرة و مهارة تفوق الأوروبي. ألا يمكن أن توضح لنا لماذا لم يتغير إيمانكم بالتفرقة العنصرية حتى بعدما انتهت الحرب ؟

تغير وجه هذا الأوروبي، أصبح لونه كلون القرطاس الأبيض، وقد تمددت شرايينه من ضغط دمه حتى كادت أن تنفجر، تملك الغيظ منه، وتغيرت حالته وأخذت أفكاره تصول وتجول في عقله ولم يجد رداً على كلام الشاب ماجيكوندو فأخذ يسأل في نفسه:

– لماذا يضع هذا الشاب نفسه في المقدمة ويقول هذا الكلام اللاذع ؟ من هو وماذا يكون حتى يتحدث هكذا؟ أيريد أن يسخر من

الأوروبى أمام هؤلاء العمال الأغبياء؟ لا لا يمكن، لن يتحقق له نصرٌ سهلٌ بهذه الطريقة.

حدث هذا الأوروبى نفسه بهذا الكلام، ثم مَط شفتيه امتعاضاً حتى بدت أسنانه السوداء من أثر التدخين وتكلم بقسوة ساخراً من ماجيكوندو قائلاً :

– أيها الشاب ! من أين جئت بهذا المكر السيئ ؟ هل تقرأ كتباً روسية؟ أنا لن أعود إليكم مرة أخرى، وسوف أطلب من أصحاب الأعمال إبعادك من العمل.

غادر المكان يصحبه الكبرياء المعروف عن الأوروبيين فى هذه الفترة، دخل المكتب القريب منه مترنحاً لا يدرى بنفسه، هذا المكتب الذى كان يستخدمه المستخدمون الهنود.

وقوع هذه الحادثة بين الشاب ماجيكوندو و الرجل الأوروبى قد جعلت هذا الشاب يشعر برضاء نفسى، وكذلك قد انتشرت أخبار هذه المواجهة بين ماجيكوندو والرجل الأوروبى بين العمال انتشاراً سريعاً كانتشار النار فى أحراش الغابة. ولم تنته هذه الواقعة عند ذلك الحد، فبعد ثلاثة أيام، جاء رسول إلى ماجيكوندو ليخبره بأنه لابد من حضوره إلى مكتب مشرف العمال، وبداخل المكتب وجد كاتباً أفريقيا يعرفه منذ فترة عملهما سويا. كان يدعى هذا الكاتب بالسيد مبويتو ماجنجميو ، فقد كان معروفا بحب ارتداء القميص والسروال الأبيض الناصع، مشيراً

بذلك إلى كبريائه النابع من تفوقه فى الدراسة على أصحابه الأفارقة وبخله المتميز عنهم جميعا.

لم يرحب هذا الكاتب بالشاب ماجيكوندو ولم يأمره حتى بالجلوس، ظل واقفا أمام السيد مبويتو- الذى استمر فى تدوين بعض الأمور الخاصة بالعمل - ولم يعر الشخص الواقف أمامه أى اهتمام، بعد بضع دقائق رفع وجهه ونظر إلى ماجيكوندو نظرة فاحصة، ثم نطق بصوت الرجل المسئول قائلا:

- وصلتنى أخبارٌ تقول إنك قد تكلمت بأسلوب غير مهذب مع ضيفنا الأوروبى الذى جاء من إنجلترا وقد جرحت أحاسيسه بكلامك الفظ، لابد أن تعرف أنه قد حضر إلى هنا لمساعدة العمال ليتعلموا النظام الحضارى، ويتركوا هذه التصرفات الهمجية التى شهدها الوطن مرات عديدة وخاصة التى وقعت منذ عام ١٩٣٩م، لم تكن هذه الاضطرابات دليلاً حضارياً على الإطلاق، ولابد أن نعلم جميعا أن عدم تحضر الإنسان الأفريقى الذى يقرأ عنه معظمنا ، سببه ما نحن فيه الآن، ولن نستطيع بناء حضارتنا بهذا الأسلوب الهمجى. وقد استدعيتك اليوم لأحذرك من تكرار هذا التصرف الذى ظهر منك أول أمس؛ لأننا نعرف أنك عامل ماهر، وقد استدعيتك أيضا لأوضح لك جيدا، إذا كنت تقرأ كتبا روسية كما يفعل إريكافيا محرر جريدة كويتو ، فسيأتى عليك الوقت الذى تفقد فيه عقلك، ألا ترى إريكافيا، لم يحدث أن استقر فى عمل ما حتى الآن، كل يوم يدخل فى مشاجرات لا تستند إلى أى

أساس من أسس تحضر الإنسان الأفريقى، على الرغم من أنه هو الذى يقدم نفسه للدفاع عن هذه الحضارة، و إذا كنت لم تعرف، فإن الروس أنفسهم ينكرون وجود الله، وهذه هى الوثنية بعينها، وأيضا هم الذين يسلبون أموال الناس علاوة على النساء والأطفال، العلم السطحى لا يفيد على الإطلاق. أتظن أننا بدون هؤلاء الأوروبيين هل كنا نستطيع التحدث اليوم فيما يتعلق بحضارة الإنسان الأفريقى؟ إن الشيء الذى لا تعلمه أن الحكومة لديها خططاً طموحة للتنمية الشاملة فى الوطن بدءاً من هذا العام، تشمل هذه الخطط التوسع الصناعى كما تشمل تنمية القدرات العلمية لتواكب التطور التكنولوجى. وتلك هى الأمور التى يجب أن يفكر فيها كل أفريقى مخلص لوطنه، وهذه هى المبادئ التى ينادى بها ويدافع عنها أعضاء الجمعية الأفريقية بالوطن. اترك أمور السخرية التى تتبعها، وضع يدك فى أيدينا وانضم إلينا ! ولتكن هذه آخر مرة يصدر منك مثل هذه البذاءات، هيا امض لشأنك !

لم يُعط ماجيكوندو أية فرصة للدفاع عن نفسه وتوضيح ما يريد، وبسرعة انصرف عنه السيد مبويتو ونظر فى أوراقه وبدأ الكتابة مرة أخرى، خرج ماجيكوندو من المكتب مذهولاً، لم يكن من السهل عليه مجرد التفكير فيما قاله مبويتو. وأخيرا قال فى نفسه إن هناك لبساً ما، فقد يظن بعض الناس أننى أقرأ كتبًا روسية، فلم يحدث شيءٌ على الإطلاق مما ذكره السيد مبويتو؛ ذلك لأننى أعرف جيداً أن هؤلاء الروس لم يكونوا فى يوم ما على حق، أى تنزانى هذا الذى لا يعرف مثل هذه

الحقائق؟ فقد اكتسبت معظم هذه الأفكار من خلال لقائى مع الجنسيات الأخرى أثناء فترة الحروب التى تعودت الاشتراك فيها، فمن أين تأتينى هذه الأفكار الروسية التى يدعيها السيد مبويتو؟

استمر ماجيكوندو فى العمل، وقد تغير سلوكه قليلاً عما كان عليه، بدأ يعمل فى هدوء، وأصبح سريع الغضب من أى شىء، وكلما مرت الأيام ساءت أحواله، بدا يفكر فيما يدور من حوله، فالأحوال المعيشية تزداد سوءا يوما بعد يوم، بدأت البضائع تختفى من المدينة وتشتعل أسعارها، وانتشرت البطالة بين الناس بسرعة كبيرة، فقد الأطفال الفُتات التى كانوا يقتاتون بها؛ لأن مئات الألوف من العمال أصبحوا لا يحصلون على ما يكفيهم فى حياتهم اليومية، بدأ الأطفال يتسكعون بين مساكن العمال وهم يتألمون من الجوع. حقا ! كانت معيشتهم متدنية للغاية، لم يكن هناك فردٌ واحدٌ لم يتأثر بهذه الحياة القذرة المتدنية، وقد وصل الحال بالعمال إلى الحد الذى لا يمكن السكوت عليه، وقد طالب كل واحد منهم أصحاب الأعمال الرأسماليين بزيادة الأجور لكى يستطيعوا مواصلة حياتهم بما يتناسب مع إنسانيتهم.

وبنهاية عام ١٩٤٧م، بدأ عمال الميناء اللقاءات الجماعية فى مساكنهم، يتناقشون كل يوم حتى الساعات المتأخرة من الليل، وكان ماجيكوندو من بين الحاضرين فى هذه المناقشات، وكل يوم كان ينضم إليهم عمال آخرون، وكلما انضم إليهم بعض العمال شعروا بالقوة . وفى فجر أحد الأيام أرسلوا مطالبهم لأصحاب الأعمال وهددوهم أنه

فى حـالة عــدم الاستـجابة لـمطـالبـهم سيبدء ون إضـرابا شـامـلا لا تحمد عواقبه .

– نعم، هـكذا بدأت مـرحلة جـديدة فى حـيـاة الكثـيـر منا. أشـعلنا شـرارة العـصـيان والـتـمـرد التى بـدأت تـدمـر مـا حـولـهـا وتحـطم من يقف أمامها.

استـمـر الشيخ مـاجيكوندو فى سـرد هذه المواقف بصـوت غاضب مملوء بحماس شبابه فى الماضى ثم استأنف حديثه قائلاً :

– على الرغم من قبول أصـحاب الأعمال لمطالبنا، لكنهم مـاطلوا فى تلبيتها، لم نلبث قليلا إلا وبدأنا الإضراب العام، امتنعنا عن الذهاب إلى العمل، ثم اشتعل الموقف ! فجأة انضم إلينا عمال السكة الحديد والبريد وغيرهـم وسـاد الإضراب أمـاكن العمل، لا حـول ولا قـوة إلا بـالله ! سـاد الإضراب كل الأعمـال فى المدينة، وبدأ بعض الناس يمرون فى الأحـيـاء حـاملين فى أيديهم الـهـراوات، يبـحـثـون ويتـعـقـبـون الذين يرفـضـون الإضـراب، العـاملون فى خدمـة الأوربيين كـانوا يحـاولون الذهـاب إلى أعمالهم فى الخفاء ولكن دون جدوى، كان أصحاب الهراوات يتربصون بهم فى كل مكان، كانوا يضربون بالهراوات كل من يرفض الاشتـراك فى الإضراب، خرج الأوروبيون يقطعون الحطب ويجلبون الماء بأنفسهم، أخبر العمال الأفارقة أصحاب العمل الأوربيين : نريد أن نلقنكم درسا ونعلمكم الاعتماد على أنفسكم، حتى تقدروا أهمية ابن هذا الوطـن ومـن الأحـق بخيـرات هـذه البـلاد، لم ينضم إلينا العـمـال العـاملون فى الإدارات الحكومية، كانوا يقولون إن الذى نقوم به ما هو إلا تصرفات

همجية لا طائل منها، رفض المعلمون أيضًا الانضمام إلينا أو تأييدنا، بدأ الأوربيون يوجهون اللوم إلى الحكومة متهمين النظام الحاكم بعدم التدخل في فحوى المقررات الدراسية التي يدرسها الطلاب على أيدى إخوانهم المدرسين من الأفارقة، زعموا أنه لو كان الدارسون قد تعلموا أفكارنا وعملوا بها ما كان يحدث أى شيء من ذلك، انتشرت الإضرابات في جميع أركان الدولة، وبعدها تخطت حدود الدولة إلى زنجبار ثم إلى كينيا.

هدأ الشيخ ماجيكوندو قليلاً ليستجمع أفكاره ثم قال :

– اتركا هذا ! ما أردت أن أجهدكما بهذا الحديث الطويل. باختصار، إن ما حدث بعد ذلك أننا قد استطعنا تأسيس نقابة لنا، نقابة العمال التي قضت عليها الحكومة بعد ذلك بثلاث سنوات، وفي العام الذي أغلقت فيه الحكومة نقابتنا، نظمنا إضرابًا آخر، في هذه المرحلة كان هناك حربٌ شرسة بيننا وبين الشرطة، قُتل في هذه الجولة عشرة جنود من الشرطة في منطقة منازيموجا، كان من بينهم أوروبي واحد وهندى والباقون كانوا من إخواننا الأفارقة، قُبض علينا وسُجنتُ، وقد حدث لي ما لا أستطيع ذكره.

بدا على وجه الشيخ ماجيكوندو حزن وبؤس يُنبئان بعذاب عدة قرون سابقة، وقال بصوت خافت لا يكاد يُسمع:

– عندما رجعت من سجني، كنت قد فقدت رجولتي، ولم أشعر بها منذ ذلك الحين، ولم تأت لي رغبة في امرأة حتى الآن .

التحقيق فى القضايا

الفصل الثالث

دان زامبى

صباح يوم الأربعاء ، بعد ثلاثة أيام من استدعاء يقين إلى نقطة الشرطة، جاء السيد فراج شمجاموتو مراقب عام شركة تنمية المشروعات الزراعية التى يعمل بها يقين، دخل على يقين المكتب الذى يعمل به. لم يكن من عادته أن يمر على العمال مهما كانت أحوالهم ؛ فمعظم متابعاته كانت عن طريق التليفون أو الاستدعاء ، لم يكن يقين قد انتهى من كتابة تقريره اليومى لمتابعة العمال قبل دخول المراقب، بعدما تبادلا التحية، رحب يقين بالمراقب، فجأة، لمح يقين خطاباً فى يد السيد فراج مختوماً بخاتم الشرطة فملأ الشك قلبه، أخذ يؤنب نفسه لأنه لم يوضح لزملائه فى المكتب ما حدث له فى نقطة الشرطة منذ ثلاثة أيام.

جلس فراج على المقعد داخل المكتب، وحاله يدل على أنه مرتاب فى شيء ما، لم ينظر إلى وجه يقين، وبعد فترة صمت قصيرة، تحدث فراج بصوت هادئ قائلاً بنبرة حزينة:

– لِمَ لَمْ توضح لى أنه قد تم القبض عليك واقتادوك إلى نقطة الشرطة؟ فعلى الرغم من أننى رئيسك فى العمل فإننا نتعامل كالإخوة، تذكر فترة الدراسة فى الجامعة، كنا معًا فى الدراسة مثالاً للرجولة الناضجة، ولولا المساعدات التى كنت تقدمها لى أنت وبعض الزملاء ما كنت أنا فى هذا المكان الآن، فعندما أخرجونى من السجن بعد المظاهرات التى اندلعت فى الجامعة، كنت أنت وزملاؤك السند الوحيد لى حتى أنهيت دراستى بنجاح.

– كلنا كنا نكره ميرتون مبويتو، ولكن لم يفكر أحد منا فى الثأر منه كما فعلت أنت الآن، على الرغم من أنه قد خاننا جميعًا، فكيف تأتى الآن وتضع نفسك فى هذه المشاكل بعد مرور كل هذه الأعوام ؟

فكر يقين فى نفسه ثم قال: إذن هو قد حضر هنا بخصوص قضية ميرتون، ومع ذلك شعر بارتياح شديد لِما سمعه من فراج، واطمأن إلى أن العلاقة بينهما لا تزال علاقة أخوية قوية، وفى الحقيقة، عندما كان التلاميذ ـ زملاء يقين فى الدراسة ـ يسخرون من كبار السن الذين جاءوا للدراسة بعدما أمضوا سنوات طويلة فى العمل، لم يشترك معهم يقين بل كان يدافع عنهم ويحترمهم. كان فراج ويقين فى مستوى دراسى واحد وكانا يقيمان فى حجرة واحدة، على الرغم من سخرية زملائه منه بسبب معيشته مع فراج كبير السن الذى يدرس مع الصبية، ولم تمنعه إساءة التلاميذ له من التآخى مع فراج، وعلى الرغم من قوة العلاقة بين يقين و فراج لم يتخيلا مطلقًا أنهما سوف يعملان سويًا فى مكان واحد،

ولم تُبن علاقتهما على أسس واهية، بل كانت علاقة صداقة خالصة خالية من الأغراض، ولم تتوقف العلاقة بينهما على أيام الدراسة، بل استمرت بعد ذلك، وكان فراج سنداً ليقين بالجهد والمال عندما قرر الزواج من تيريزا.

كل هذه الذكريات مرت بسرعة فى خيال يقين خلال تفكيره فى الرد على كلام فراج، ابتسم ابتسامة خفيفة دون أن يشعر بنفسه، عندما مرت فى خياله ذكريات خطبته لتيريزا التى تمت بسرعة بعد تخرجهما فى الجامعة، وبعدما تسلم يقين عمله بفترة وجيزة تم زواجهما، مرت الخطبة والزواج كالرؤية فى المنام، أو كما يحدث فى القصص والروايات على حد قول أصدقائه الذين حضروا حفل الزواج.

رد يقين على فراج قائلاً:

- فى الحقيقة أننى قد ارتكبت خطأً عندما لم أبلغك بما حدث، ولا أظن أنه أمر ذو أهمية لتبليغك إياه، إلا أنه من سوء حظى لم تأت الفرصة للقائك فى هذا المكتب لأتحدث معك عنه، وذلك بسبب هذا التقرير الخاص بمشروع كيباها، الذى يجب أن أقدمه فى اجتماع يوم الاثنين القادم، فقد شغلنى هذا التقرير لدرجة أننى لم أستطع رؤيتك بعد العمل، ولذلك أنا أعترف لك بخطئى.

صمت فراج ولم يرد على يقين ليسمع منه المزيد، استرسل يقين موضحاً:

- إننى لم أرتكب هذا الحادث الذى يتهموننى به، وأضاف :

- إننى سمعت بحادثة ضرب ميرتون كأى شخص سمع عنها، لأن هذا الحادث يمكن أن يقوم به الكثيرون ممن آذاهم ميرتون، ولا أظن أننى الرجل الذى يمكن أن يقتص من شخص مثله، لأن هذا الأمر لن يفيد شيئًا، فالوطن به الكثير من أمثال ميرتون، فهل ميرتون شخص واحد؟ تذكر أنه بعد انتهاء المظاهرات ونحن طلبة رجع معظم الشباب وأنا معهم إلى دراستهم، ربما يكون الفاعل من بين الذين ذاقوا مرارة السجن وتجرعوا عذابه، وحرموا من استكمال الدراسة لمدة خمس سنوات، لا، أنا لم أفعل فعلاً مثل هذا، ربما أكون متهمًا فى قضية أخرى غير ذلك، وأكثر ظنى أن هذه القضية لها علاقة قوية بما حدث فى جلاسكو بإنجلترا، وقد رويت لك كل ما وقع هناك وأنت على دراية به، وحتى الآن، أنا نفسى مازلت أفكر فى لب هذه الواقعة، لأننى فى الحقيقة قد تأثرت بها جداً، و أُفكر فى ملابساتها من أول أمس .

بعد صمت قصير قال فراج : تحت يدى خطاب من الشرطة يوضح أنك قد أُفرج عنك بضمان محل الإقامة، وقد وضعوك تحت المراقبة لفترة ما، وقد طلبوا منك الحضور صباح كل يوم اثنين لتقدم تقريراً لنقطة الشرطة أسبوعيًا عن تحركاتك، وعادة - وكما تعرف - أن العامل فى مثل هذه الأحوال، يوقف عن العمل، ويُمنح نصف راتبه حتى نتأكد من براءته، ومن الصعب جداً على مثلى أن يفعل ذلك معك، كلنا هنا نقدر إخلاصك فى العمل، كما نقدر المساعدات التى تقدمها لأصدقائك العمال

فى مجال عملك، أنا لن أوقفك عن العمل، على الرغم من أن هذا يخالف القانون، والكل يعلم ذلك، لكننى أطلب منك شيئًا واحداً، وهو أن تبلغنى بما يحدث معك فى حينه، وكيف تصير الأمور معك، ومن الأفضل لك أن تبحث فى أصل هذه المشكلة، والأسباب التى جعلتهم يتهمونك بهذا الفعل .

رد يقين على فراج شاكراً:

– أنا سوف أجتهد فى البحث عن ذلك، وإننى أشكرك جداً على عطفك وتقديرك لى،

ورد مخاطباً نفسه:

– لو كان فى الدنيا الكثير من الرجال الطيبين مثل فراج، ما كانت هناك خصومة بين الناس؟

بعدما انصرف فراج إلى عمله، أجرى يقين مكالمة تليفونية مع تيريزا وأخبرها بما دار بينه وبين فراج، ردت عليه تيريزا وهى تلومه على تصرفه:

– ولماذا لم تخبره مبكراً ؟ وأضافت :

– ظننت أنك قد وضحت له الأمر من قبل، لكنك قد تعودت أن تأخذ بعض الأمور الهامة ببساطة، قد تكون بعض الأمور غير هامة من وجهة نظرك أنت، لكن، قد يكون لأصدقائنا المخلصين وجهة نظر أخرى فيها ويقدمون لنا النصيحة، إننى أراك لا تنظر إلى الأمام فى كثير من الأمور .

دافع يقين عن نفسه أمامها كما فعل أمام فراج، وأخيرا وافقته تيريزا ولكنها أظهرت له عدم اقتناعها بالمبررات التى ساقها لها.

استمرت المجادلات بينهما لفترة طويلة، ثم قال لها :

- لقد واتتنى فكرة، لقد قررت أن أقوم بالبحث الدقيق والمستمر فى هذا الموضوع حتى أعرف أين تكمن الحقيقة.

ردت عليه تيريزا بصوت يدل على عدم رضاها عما سيفعله يقين، وبعد صمت قصير قالت: مساءً سوف نتحدث فى هذه الأمور، فإننى أراك قد بدأت فى تصرفات غير محسوبة، المهم لا تتصرف حتى نلتقى!

فى هذا المساء، خرج يقين و تيريزا يمسك كل منهما يد الآخر وهما يسيران وكأنهما فى شهر العسل، اتجها سوياً إلى حانة الحى القريبة من منزلهما؛ وكان مبنى هذه الحانة قد بنى منذ عام واحد فقط، وهو مكون من طابق واحد، تبدو عليه الزخرفة الجميلة والنقوش المبهرة والفن الرفيع، نظر يقين إلى مبنى الحانة على روعته وجماله ثم قال:

- من ذا الذى يدعى عدم وعى وتحضر التنزانيين؟ فقد قام ببناء هذا المبنى البديع أحد التنزانيين المتقاعدين ، والآن كم بنى التجار الذين ظهروا هذه الأيام من هذه المبانى؟

منذ ثلاثة أعوام قبل سفر يقين إلى الغرب، لم تكن الأحوال مثل ما هى عليه الآن، قد لاحظ يقين هذا التغيير بوضوح.

عندما سافر إلى الخارج لم تكن البضائع متوفرة فى الأسواق بما يكفى مطالب الناس ، أما الآن فالبضائع متوفرة فى الأسواق

إلا أن استغلال بعض التجار يحرم المئات من الناس من الحصول على مطالبهم، وهذا الوضع يحقق لبعض الناس رواجًا اقتصادياً يدر عليهم أرباحًا طائلة ، كانت الحانة مليئة بروادها ، كانت تبدو وكأن بها احتفالاً كبيراً، بعدما وفرت فتاة الحانة لهما مائدة منفردة، جلسا وطلبا كأسين من البيرة ، طلبت منهما الفتاة مائتى شلن تنزانى ، ثم قالت لهما:

– إذا كنتما تريدان أية طلبات أخرى، اطلبوها الآن! لأن هناك نقصا فى البيرة هذه الليلة؛ فما وصلنا اليوم من البيرة إلا صناديق قليلة، وإن عمال المصنع يقولون إن هناك نقصا فى السدادات ناتجا عن نقص المواد الخام.

نظر كلاهما للآخر، ثم قرر يقين أن يطلب كأسين آخرين لكل منهما، نظرت تيريزا إلى يقين وأخذت توبخه لأنه طلب بيرة زائدة عن اللازم وقالت:

– ما هذا ! نطلب الكثير من البيرة اليوم وكأننا لن نجدها فى الغد ! وهذا السعر المرتفع جداً سوف يؤدى إلى إفلاسنا هذا العام ، ولا أدرى من أين يأتى هؤلاء المنغمسون فى الشرب بالمال الذى يدفعونه فى الحانة كل يوم، انظر إلى تلك الموائد المملوءة بكئوس البيرة !

نظر يقين حوله حيث أشارت له تيريزا ورأى ما تمتلئ به الموائد من كئوس البيرة ثم هز رأسه مندهشا لما رأى، وأخيراً رد على تيريزا وهو حانى الرأس على المائدة مستحوذاً على يديها بيديه قائلاً :

– إن العجائب لا تنتهى من الدنيا، فكلما سألت أحداً عن أمور حياته يقول "عايش والسلام" وشر البلية ما يضحك، نشكو من ضيق ذات اليد، ونشرب البيرة هكذا، فربما لا نجدها غداً.

ردت تيريزا:

– هذا غير صحيح على الإطلاق، فكم مرة خرجنا للشرب حتى الآن؟ فهل اختفت البيرة ؟ و كلما خرجت معك تمنيت أن أشرب بيرة وتتحقق أمنيتى .

فكر يقين قليلاً ثم قال :

– آه ! لا أدرى لو كان الأولاد يعيشون معنا فكيف كان يصير حالنا !

قالت تيريزا:

– دعنى أسألك أولاً، ألم تأتك أية خطابات من سونجيا ؟

– أبداً، وأغلب ظنى أن أبى يمكن أن يضيق صدراً بالأطفال.

– أنت كثير التفكير فى هذا الموضوع، أليسوا هم أول أحفاده ؟! نحن أخطأنا عندما تأخرنا فى إرسالهم فى أول مرة، فأنت تعلم أن كبار السن الذين يقيمون بعيداً عن أولادهم و أحفادهم يعيشون فى عزلة ويشعرون بالاكتئاب.

أحضرت الفتاة البيرة ، رشفت منها تيريزا رشفة واحدة لتتذوقها، ثم قالت:

– يقين! هل ما نقوله يخص والديك فقط ؟ أليست أمى تعيش فى عزلة أكثر من والديك ؟ هل تريد أن ماجيكوندو الصغير ينتمى لعشيرتك أنت فقط ؟

رد يقين ضاحكا:

– بدأت عمليات تحرير المرأة !

ثم تحول الحديث بينهما إلى غزل عفيف وكلام فى العشق. فقال لها :

– نعم يا حبيبة القلب ! ما تقولينه صحيحٌ، فإننى أرى أننا قد أخطأنا فى حق والدينا وأغضبناهم، فقد كان من الأفضل ألا نجعل الأمور تصير هكذا حتى لا نسبب لهم الضيق، كم كنت أتمنى وجود أطفالنا معنا.

– وهل كان فى استطاعتى أن أحضرهم معى إلى لندن ولم أفعل؟ كيف أحضرهم معى إلى أوروبا وأنا لم أكن أعرف لك طريق إقامة ؟ وكيف يعيشون معنا هناك تحت هذه الظروف القاسية لمدة عام كامل؟

فجأة، سمعا ضوضاء بالقرب من خزينة الحانة، عندما التفتا إلى الوراء ليتبينا ماذا يحدث، وجدا رجلين يتشاجران، وكانت فى وسط المشاجرة إحدى الفتيات العاملات فى الحانة، فجذبها أحد الرجال الذين يحاولون إنهاء الخصومة بين الطرفين بعيدا عن موقع الشجار، كان أحد طرفى الشجار يصرخ فى الحاضرين ويقول إنه هو الذى طلب البيرة

أولاً من هذه الفتاة، والرجل الآخر قد أمطر صاحبه بوابل من الكلمات كأمطار من الأحجار حتى أسقطه أرضًا، وهو يقول إن هذه الفتاة كانت صديقته لفترة طويلة، انتهت المشاجرة بعد فترة وجيزة، أُخرجا الرجلين من الحانة، واستدعى مراقب الحانة الفتاة إلى الداخل.

قالت تيريزا:

– أما زال الرجال يتشاجرون من أجل النساء فى الحانات ؟ ألا تخيفهم الإعلانات التى يرددها المذياع والتلفاز كل يوم؟ ألا تتذكر إعلان البارحة؟

وأخذت تقلد صوت الرجل وهى تقول :

– وقد ظهر أن مشكلة الإيدز – مرض نقص المناعة فى الجسم – لم تصبح مشكلة مدينة بوكويا فقط ، وإنما قد احتلت مدينة دار السلام المركز الثانى فى عدد المصابين به، فقد انتشر المرض هنا خاصة فى مانسيزى و أُبونجو، لذلك أنا أحذر هؤلاء الناس من استمرارهم فى هذه العلاقات القذرة،

ضحك الاثنان معا ثم واصلا رشفهما البيرة فى صمت لفترة قصيرة ، وفجأة قال يقين:

– ربما يكون ميرتون قد ضُرب بسبب هذه الأمور، ثم وجد أن هذا هو السبيل لاتهامى لأنه يشك فىّ أنا، وحتى لا يُفضح أمره ويعرف الناس أنه قد ضُرب من أجل امرأة،

بعض الحاضرين كانوا يرقصون سكارى فى وسط الحانة، كانوا يرقصون على أنغام الموسيقى التصويرية لأغنية المطرب مرجان رجب، المتعلقة بأحد جيرانه الذى كان يقاسم الناس أرزاقهم عنوة ، فأخذ يحذره من أفعاله السيئة وعواقبها قائلاً:

سطعت النجوم الطيبة

وأحوالى بدأت تتحسن

والحياة قد تغيرت

فإن بعد العسر يسراً

حتى هذه البيرة التى أخبرتهم الفتاة أنها قليلة ولن تكفى رواد الحانة لم تنضب بعد، ومن الواضح أن هذه الفتاة كانت فى منافسة مع الآخرين فى حجم المبيعات من البيرة، لذلك كانت تحفز الرواد أن يطلبوا كل ما يريدونه مرة واحدة حتى تكسب المنافسة، وتزداد أهميتها أمام صاحب الحانة.

قالت تيريزا وهى تذكر يقيناً:

– أنت تقول أنك سوف تبحث فى هذه القضية بنفسك، فهل تعرف لماذا أنت متهَمٌ ؟

– نعم، أعتقد أن بحثى فى القضية بنفسى سوف يفيدنى فى الدفاع عن نفسي، فكْرى أنت معى ! منذ أن رجعنا من أوربا، لم أر هذا الشخص مطلقًا ولم ألتق به حتى فى الطريق، وفجأة يأتى اليوم ويتهمنى أنا؟! بدون شك هناك أمر ما غامض لا نفهمه.

– لا أدرى يا سيدى! لكننى أرى أنك تضيع وقتك دون فائدة، ألم توضح للشرطة أنك طوال هذه الأيام كنت فى منطقة كيباها فى رحلة عمل؟

– نعم وضحت لهم هذا، وأنت تعلمين ذلك، لكن ، ليست قضيتى هى المكان الذى كنت فيه أثناء الحادث، إنما القضية تتمثل فى تهمة استئجار الجُناة الذين ضربوه، وهذا يعنى أننى يمكن أن أستأجرهم قبل وقوع الحادثة، لكن السؤال الذى أريد أن أسأله: هل قال لماذا استأجرتُ الآخرين لضربه؟ ولماذا فشل فى ذكر أسماء الجُناة أو حتى التعرف عليهم، ثم يدعى أننى أنا الذى استأجرتهم لهذا العمل؟

– آه ، ألا تعرف حقا؟ هذا أمر سهل للغاية، ولكن أنت تريد أن تقوم بالبحث والتدقيق فى أمور بديهية لا تستحق الاهتمام والبحث فيها، ألا تعرف ماذا كان يقول عندما كنا سويًا فى أوروبا؟ ألا تتذكر؟ لأنك عذبته بالغيرة منك، وشوهت اسمه الذى كان معروفًا به لدى كبار المسئولين ألا تتذكر؟ وعندما كان يتوعدك أنت والأصدقاء بالانتقام عندما تعودون إلى الوطن، ألا تعلم ماذا كان يقصد؟ ربما تكون قضيتك هذه بداية لتنفيذ تهديداته، أنا قد أخبرتك منذ كنا فى أوروبا أنك لست بحاجة إلى التدخل فى شئونه ومضايقته، وأن تظهر له حقيقة نفسه التى يعلمها هو جيداً، فرجل مثله يعلم جيداً أن كذبه وخداعه ونفاقه هم وسيلته فى كسب العيش والتسلق إلى المسئولين منذ أن كان طالبا فى الجامعة حتى الآن، ألا تتذكر أنه قال لكم إنه سوف يبلغ فيكم السلطات بتهمة كراهية

الوطن؟ ألم يقل إنه سوف يبلغ عنكم السلطات فى الوطن بتهمة القيام بمهام سرية ضد الوطن أثناء دراستكم بالخارج؟ والآن ، ما الأمور التى تستحق منك البحث فيها؟ الأمر الجدير بالتفكير الآن هو الذهاب إلى محامٍ وتعرض عليه القضية، لتعرف ما إذا كنت معرضًا للدخول فى قفص الاتهام أو لا، على الرغم من أننى أستبعد دخولك قفص الاتهام، لأنهم لا يملكون أية أدلة ضدك ولا يوجد أى شهود إثبات تؤيد اتهامهم لك.

بدا على وجهها الحزم والجدية كما كانت أثناء مناقشة عمليات المظاهرات التى كان يقوم بها الطلاب فى الجامعة وتشاركهم فيها، أخذ يقين يفكر فى كلام تيريزا ثم قال بصوت خفيض:

- أنا أريد أن أفهم السبب الأساسى فى ضربه، لأن الأمور لن تنتهى عند هذا الحد.

- فما هو عمل الشرطة إذا ؟ أعرف أنك ستخبرنى أنك مؤمن بقضيتك، وأنا متفقة معك، لكن متى ستبدأ فى التحريات؟ أنا ليس عندى أية فكرة عن مثل هذه الأمور، ربما تكون أنت أكثر منى معرفة بهذه القضية.

قال يقين : إن فراجًا ـ بعد المحادثة التى دارت بينا اليوم ـ يؤيدنى فى عملية البحث والتحرى ووضع النقاط فوق الحروف، ولابد للمرء من الاستعداد للأمور قبل وقوعها، وأن الوقاية خير من العلاج .

ضحكت تيريزا ضحكات مازحة ونظرت إلى يقين بعيون يملؤها الضحك وقالت له:

– لذلك أنت تريد أن تتقمص شخصية السيد مسا في رواية " أرواح الأجداد" أو شخصية شارلوك هولمز رجل المخابرات الإنجليزية الذى رأينا فيلمه فى التلفاز عندما كنا فى أوروبا؟ لنر من سيكون النجم ؟

رد يقين مداعبًا : كفى يا سيدتي! كفى يا سيدتي! سوف أتقمص شخصية السيد مسا، هذا صحيح، أتعلمين ماذا كان يقول السيد مسا؟ كان يقول إنه ليس مخبراً سرياً وإنما هو باحث عن الحقيقة، وأنا سوف أبحث عن الحقيقة لأنقذ نفسي، أنسيتِ أن الذى يتهمني يركز فى بحثه عن الذين كانوا موجودين فى أوروبا ؟

أخذ يقين وتيريزا يضحكان سوياً ويتذكران بعض الذكريات التى كانت تحدث لهما فى أوروبا، وكانا فى ضحكاتهما كطفلين بريئين، ويبدو أن هذه البيرة التى هى من نوع سفارى قد بدأت تلعب برأسيهما، وهكذا استمرا فى احتسائها وكأنهما لن يستيقظا مبكريْن للعمل صباحًا، وبدأ يطلبان المزيد من هذه البيرة .

* * *

جلاسكو، مدينة المبانى السوداء بسبب أدخنة المصانع الواقعة بها، كان مجلس المدينة قد بدأ فى تنظيف بعض هذه المبانى لكن يبدو أن الأمر كان مكلفًا؛ فقد كانت هذه المدينة من أوائل المدن التى شهدت

الثورة الصناعية التى قامت فى إنجلترا، وقد اشتهرت قبل ذلك ببناء السفن، وكانت أيضًا من المدن التى شهدت معظم الحركات العمالية التى وقعت منذ بداية هذا القرن حتى عام ١٩٤٠م. وهناك روايات تقول إن فترة الثلاثينات شهدت ركوداً اقتصادياً شديداً، مما نتجت عنه مشاكل اقتصادية أثرت على العالم كله، وقد ساد الفقر القاسى هذه المدينة وانتشرت السرقات الجماعية، وكثر الصدام بين جماعات اللصوص فى كل أنحاء المدينة، بشكل عام، فقد أصبحت مدينة للعمال الفقراء وانتشر الفقر فى ربوعها، وكان يمر اليوم واليومان ولم يستطع معظم سكانها الحصول على بنس واحد لقضاء متطلباتهم الأساسية، وأصبح معظم السكان فى المدينة العامل منهم وغير العامل لا يستطيع دفع إيجار السكن الذى يقطن فيه، إن السمة الغالبة فى أهل هذه المدينة السكر والعربدة وتصنيع الويسكى الاسكوتلاندى المعروف الآن على مستوى العالم، فمن هناك يصدر هذا الويسكى، وهى أيضا المدينة المحوطة بالعديد من المفاعلات النووية، مما جعل بيئتها تحتوى على تلوث نووى بنسبة أكثر من المسموح بها عالميًا مما يجعلها خطيرة على الصحة العامة لقاطنى المدينة. ولكن، أصبحت المدينة الآن نظيفة، وأُزيلت منها معظم المصانع القديمة، بدعوى أنها أصبحت مدينة سياحية هامة، ومن الأفضل انتشار المطاعم والحانات لخدمة المترددين عليها، وإزالة هذه المصانع المتهالكة يساعد على نظافة البيئة والمحافظة على الصحة العامة للسكان.

نُقلت كل هذه المصانع ووزعت كمنح أو معونات لدول العالم الثالث، الذى يحتاج الآن إلى التنمية الاقتصادية، وقد قبلت دول العلم الثالث هذه المنح والمعونات بدون التفكير فى عواقبها السيئة على البيئة والصحة العامة للمواطنين.

كان يقين قد تعب من نظام الحياة المتبع فى هذه المدينة بمجرد مرور ثلاثة أسابيع من وصوله إليها، فكلما مر فى مكان لم يجد غير الأوروبيين، وكانوا ينظرون إليه وكأنه حشرة كريهة تمر أمامهم، وكلما دخل حانة، كثيراً ما يسأله روادها من الأوروبيين: من أين جاء ، وهل حقا تسيرون فى شوارع بلادكم حفاة عراة ؟ وهل تعيشون فى غابات وتعيش الثعابين بين السكان فى المدن؟ وهل حقا أن أصحاب البشرة السوداء ليس لديهم عمل غير ممارسة الجنس والرقص على دقات الطبول؟ قد أُرهق حقا فى الإجابة على مثل هذه الأسئلة.

حقيقة أنه قد تقابل مع بعض الأفارقة، وكان بعضهم من أصحاب المساكن، ظن فى بداية الأمر أن هناك أخوة تربط بين السود وبعضهم، ولكن بعدما التقى فى أحد الأيام مع أحد الأفارقة من غرب أفريقيا فقد إيمانه بهذه الأخوة، بمجرد أن شرعا فى التعارف، بدأ هذا الأفريقى يمجد فى نفسه أمام يقين، فيقول إنه ابن أحد الزعماء القبليين فى أفريقيا، و أن والده مقيم فى أمريكا، وأنه قد أحضر معه سيارتين وقد جاء للدراسة هنا على نفقته الخاصة. وأخيرا تذكر هذا الشخص أنه لم يتعرف على يقين، وعندما سمع من يقين أنه قادم من تنزانيا، أخذ

يروى ليـقين عن مـدى الأسف الذى يشـعـر به عندمـا يرى أهل الشـرق الأفريقى بدون حضارة خاصـة تميزهم عن غيرهم، مـثلما يتميـز أهل الغـرب الأفريقى، فـقـد وضح ليقين أن أهل شرق أفـريقيـا قد افـتقدوا أصـولهم، وخلعـوا رداءهم الأصلى وارتدوا رداء غيـرهـم، حتى الطعـام الأصلى قد تركوه وتناولوا طعام الآخرين.

على أية حال، فقد كان شخصا مغرورا للغاية، كان يقين قد أرهق من كل هذه الأمور، فقرر البقاء فى السكن حتى فى أيام الإجازات التى تتوقف فيها الدراسة.

جاء يوم السبت، الإجازة الأسبوعية من الدراسة، لم يخرج فى هذا اليوم على الرغم من احتياجه إلى شراء بعض الأشياء، أولا - لأن البرد كان قارسًا فى الخارج والثلوج تتساقط باستمرار حتى غطت الشوارع، ثانيا - كان قد ذهب إلى المدينة فى الأسبوع الماضى فقط، وكان يومًا صـعـبًا بالنسـبـة له؛ فـقـد كـانت هـناك مـبـاراة كـرة قـدم بين فـريقين مشـهورين فريق سيلتك و رانجرز ، وكان مـعظم مشجعى فريق سيلتك من الكاثوليك، وكـان مـشـجـعـو رانجـرز من البـروتسـتـانت، وأثناء مـرور مشجعى فريق سيلتك التقوا بمشجعى فريق رانجرز فى إحدى محطات مترو الأنفاق، تركـوا جميعًا الصياح وبدءوا ينادون على أحد الأفارقة الموجـود بالمحطة مـرتديا الزى الأفـريقى ، ينادونه بلقب (نوج نوج)، وهو لقب للسـخرية من تأليف الأوروبيين ليسبوا به أى رجل أسود يلتقون به، وأخذوا يصيحون :

– يا أسود يا ابن الحرام ! عد إلى بلدك يا ابن الحرام !

غضب يقين جداً من هذا الموقف، لكنه لم يستطع عمل أى شىء .

تعب يقين من المذاكرة فى الشئون الاقتصادية، ذلك التخصص الذى حضر إلى أوروبا لدراسته، لذلك عزم على البقاء فى حجرته، وأشعل مدفأة الغاز ليتقى شر البرد القارس فى الحجرة، ثم بدأ يقرأ فى رواية، وفجأة دق جرس الباب، ذهب ليفتح الباب للطارق، وجد على الباب ثلاثة أصدقاء يقطنون معه فى نفس المنطقة: دان زامبى، أحمد كياتو وجون سفارى، و كان قد التقى بهم فى خارج المنزل منذ أيام قليلة، وكان معهم أحد الأشخاص الذى كان على ما يبدو ضيفاً، على الرغم من أن وجهه لم يكن غريبا على يقين. دخلوا جميعًا حجرة يقين، وعندما تعارفوا وعلم أن الضيف يدعى ميرتون مبويتو تذكره فى الحال.

سبق أحمد كياتو إلى الجلوس ثم قال:

– كيف حالك يا سيد يقين ؟ كيف تعزل نفسك داخل حجرتك كاليتيم؟ لماذا تفعل ذلك ولديك الكثير من الأصحاب هنا؟

جلس الجميع، بعضهم على المقاعد والبعض الآخر على السرير، ذهب يقين إلى المطبخ لإعداد الشاى لمن يريد الشاى والقهوة لمن طلبها، أسئلة كثيرة أخذت تتدافع فى رأسه كالرياح المتعارضة، متى وصل ميرتون إلى هنا؟ هل جاء للدراسة أو لغرض آخر؟ وهل اصطحبوه إلى هنا ليعرفونى به أم ماذا؟

عندما رجع إلى حجرته وقدم الشاى والقهوة لضيوفه، قال:

– ليس هناك مشروبٌ للتدفئة مثل الشاى والقهوة فى مثل هذا الموسم البارد.

قاطعه دان زامبى الذى كان جالساً بجوار ميرتون قائلا:

– كفى يا سيدى ! ألم تعرف بعد أن مشروب أهل اسكتلندا المفضل هو الويسكى؟ فالويسكى والبيرة هما الدواء الحقيقى الذى يقضى على البرد نهائيا، والبرد مازال مصاحبا لنا، إلى أن تأتى الأعاصير الثلجية قبل أعياد الميلاد فى ديسمبر، وحينئذ سوف تتذكر أولادك وأم أولادك وخاصة أم الأولاد !

ضحك الجميع، فيما عدا زامبى نفسه الذى يروى لهم ذلك، ثم استمر زامبى فى الكلام، مبينًا لهم أنه يتحدث فى أمور حقيقية ذات معنى فقال:

– أنتم اليوم تضحكون وغدا سوف تبكون! وأنت يا يقين، انتظر عندما يأتى البرد الحقيقى وعندئذ افتح المذياع أو التلفاز لسماع نشرات الأخبار، سوف تسمع كل يوم أن العجوز فلانًا قد توفى من شدة البرد ، لأنه لم يستطع تشغيل المدفأة لعدم مقدرته على تحمل نفقات تشغيلها، وسوف تجد من بين ركاب الحافلات عددا كبيرا من العجزة الذين يستخدمون الحافلات بأجرة مخفضة، يركبون الحافلات للتدفئة وحماية أنفسهم من البرد القارس فى حجراتهم، لأنهم لا يستطيعون دفع نفقات

تشغيل المدفأة فيها، كفى يا سيدى ! فإننى أخبركم جميعا أن البرد عندما يزداد، سوف نتذكر زوجاتنا جميعا؛ فهن الدفء الحقيقى لنا !

تحول زامبى من الجد ودخل فى المزاح مع أصحابه، لكن ما قاله عن كبار السن، جعل يقينًا مندهشًا للغاية من حقيقة هذا المجتمع، فهذا المجتمع على ما يبدو لا يعير اهتمامًا بكبار السن، فبعدما يكبر الأطفال ينصرفون عن آبائهم ونويهم، حتى إذا تقدم بهم العمر يتركونهم فريسة للبرد القارس، أو للموت من العزلة القاتلة، أو يُقتلون بدون أسباب واضحة، كما تعلن ذلك وسائل الإعلام كل أسبوع.

استأنف زامبى مزاحه مع يقين قائلاً:

– ولكنك يا سيد يقين قد أضحكتنا حقا، نحن ضيوفك، نأتى عندك للمرة الأولى، والبعض منا تراه للمرة الأولى اليوم، وبدلاً من تقديم كئوس البيرة لنا أو إحضار زجاجة مثلجة من الويسكى لإكرامنا، تقدم لنا الشاى والقهوة، فإذا شربنا نحن الشاى والقهوة هنا فماذا بالله عليك يشرب أطفالنا هناك؟

استلقوا جميعًا من الضحك، استعجب زامبى من أمرهم، وأخذ يهمس : إنكم تضحكون بينما أتحدث أنا فى أمور هامة، زادهم هذا الكلام ضحكًا، شارك يقين فى المزاح قائلاً:

– اخرج من هنا بمزاحك هذا، ليس هناك من يدفع تأمينات لمن يموت ضحكًا،

قال زامبى:

– حقا سوف أخرج، أتسمعنى؟ وسوف تبحث عنى ولن ترانى، إلا إذا....

تكلم زامبى هذا الكلام بصوت منخفض وكأنه يريد أن يقول سراً عظيماً ولا يريد لأحد أن يطلع عليه، واسترسل قائلاً:

– إذا افتقدتمونى فسوف تجدوننى هناك فى أعلى هذه الحانة "حانة الغرب" أبحث عن الدفء، وأنت يا يقين ، إن هذا الحى الذى تقيم فيه سيئ للغاية، ولكن يوجد أمامك هنا مسجدٌ، ومن حسن الحظ ليست هناك ضوضاء من حولك، ألم تشعر بذلك ! ولكن الذى أخافه عليك هنا، هذه الحانة التى تُدعى "حانة الحب" اذهب إلى هناك وكأنك تبحث عن غطاء يحميك من البرد، أو تبحث عن شخص ما . سوف تجد هناك نساء بدينات ! هؤلاء النسوة، قد أوذين من نويهن بسبب تنزههن مع الرجال أصحاب البشرة السوداء. والأمر المؤسف من أولئك السود أنهم لا يحسنون اختيارهم لهؤلاء النسوة! انتظر قليلا وسوف ترى ما يحدث، يمكن أن تتقابل مع بعض السود فى يوم ما، ثم تفاجأ بعدها بقليل أنه قد توفى بسبب مرض الإيدز؟

ضحكوا جميعا، وبدون تشاور خرج الجميع متوجهين إلى "حانة الغرب"، طوال هذه الفترة منذ أن حضروا إلى يقين، وميرتون مبويتو ومعه جون سفارى جالسان فى هدوء عميق، كانا يشاركان فى الضحك الملىء بالسخرية، دون التدخل فى الحديث، وفى الطريق ، كان الأوروبيون

ينظرون إليهم بسخرية واشمئزاز ، وكأنهم يتساءلون فيما بينهم: ماذا يفعل هؤلاء ؟ وأية لغة يتحدثون؟ وعلام يضحكون هكذا وكأنهم قد أصابهم الجنون؟

نسى يقين فى ذلك الوقت كل الهموم التى كانت تكتم على أنفاسه، تحسنت نفسيته واتسع صدره مما جعله يشعر بالدفء والسرور. لم يعرف قبل اليوم أن زامبى شخصية مرحة وضاحكة بهذه الدرجة.

اختاروا مائدة خالية وجلسوا عليها جميعًا، ذهب أحمد كياتو من تلقاء نفسه وطلب مشروبهم من البيرة، وصلت البيرة، احتسوها جميعا وهم صامتون، بينما كانت أجهزة التسجيل تبث المقطوعات الموسيقية بصوت صاخب يكاد يصم الأذان. ولابد لهم الآن من الحديث بصوت مرتفع، ربما ذلك الصوت الصاخب هو الذى جعلهم يجلسون فى صمت لفترة طويلة، كانوا يشاورن أنفسهم في كيفية الحديث تحت هذه الظروف، فجأة، دخلت إحدى السيدات الأوروبيات وفى صحبتها كلب صغير جداً لكنه حاد الطبع، اتجهت إلى الخزينة وطلبت ويسكى وبيرة، وجلست على إحدى الموائد وشربت مشروبيها مرة واحدة، لفت زامبى نظر أصدقائه، إلى لافتة إعلانات معلقة فى مدخل الحانة مكتوبة بالخط العريض وقال لهم:

– أترون هذه اللافتة المعلقة هناك؟ إنها تقول ممنوع اصطحاب الكلاب إلى الداخل، لكنه لم يحدث مطلقًا أن رفض أى مسئول فى الحانة

دخول الكلاب! لقد سألت إحدى السيدات في الجامعة بالأمس: كم عدد أفراد أسرتك؟ أتعلمون بم أجابتني؟ لم أصدق أنني فيما سمعته! لوت أنفها وأخذت تقلد نبرات الصوت الأسكتلندية وقالت:

– أنا ، و زوجي، وكلب واحد ، وقطة واحدة "ياه" ! لقد كدت أسقط على الأرض من شدة الدهشة، وبصعوبة منعت نفسي من الضحك، فهل يعدون الكلاب والقطط من أفراد الأسرة ؟ فإذا كان الأمر كذلك وقمنا نحن أهل قبيلة ايرانجي، بحساب كل ما يملك المرء منا من الأبقار، والماعز، والدجاج، والكباش، والبط ألخ، أتعتقد ماذا يكون تعداد تلك الأسرة ؟ ولا أدري الآن ما إذا كانوا يدخلون الكلاب والقطط في التعداد العام الخاص بالدولة ؟

على أي حال، كان هذا وقتًا للضحك، وكان زامبي يقدم لهم بعض الأشخاص كلٍ بسماته الشخصية، كان يقين ينظر إلى زامبي باستعجاب، ويقول في نفسه :

– رجل مثل هذا لابد أن يكون مدرسا وليس موظفًا في شركة.

ونظر في نفس الوقت إلى جون سفاري الذي يعمل مدرسًا، ولم يدرك يقين السبب وراء عدم اشتراك سفاري في الحديث الذي دار بين مجموعة الأصحاب.

تدخل أحمد كياتو في الحديث، وبدأ يدلي بدلوه في المزاح الذي يدور بينهم قائلاً:

– لقد استحوذتما على الحديث طوال الوقت، ولم تدعا المجال لأى أحد للتحدث، هل طلبنا منكما ذلك أو أمرناكما به ؟ فمنذ أن وصلنا إلى يقين لم نسمع السيد ميرتون مبويتو أو الأخ سفارى، آه ، معذرة يا شيخ سفارى، فمنذ أن وصلا هو وميرتون لم ينطق أحدهما بأية كلمة، ونحن الآن كلنا آذان صاغية لسماعهما، فنحن نريد السماع منهما.

وأخيراً، بدأ يقين فى اختراق حاجز الصمت الذى أحاط به ميرتون نفسه قائلا:

– كيف حالك يا سيد ميرتون ؟ ما أخبار المنزل ؟ أين كنت يا صديقنا طوال السنوات الماضية ، منذ أن انتهينا من الدراسة فى الجامعة ؟

بابتسامة عريضة أظهرت نواجذه رد ميرتون على يقين :

– ألا تدرى حقا ؟ و إذا كنت لا تدرى عنى شيئًا ؛ فكيف علمتُ أنك هنا قبل حضورى إلى إنجلترا ؟ فأنا أعلم جيداً أننى سوف ألتقى بك هنا بالتحديد، أعلم تخصصك الذى بُعثت من أجله، أنا يا سيد يقين أعمل فى الحكومة علاوة على استمرار نشاطى بالحزب، وبالتحديد فى إدارة إعداد المشروعات الزراعية، لذلك علمت أين سافرت ولماذا، والفرق بينى وبينك أنك تعمل فى شركات القطاع العام وأنا أعمل فى الحكومة، فنحن الذين نضع لكم الخطط، ونصدر القرارات التى تسيرون عليها وتنفذونها فى الشركة التى تعمل بها، وبدوننا تتوقف مشروعاتكم ولا تتقدم الزراعة خطوة واحدة إلى الأمام.

واستمر فى حديثه ليشرح لهم أنه قد جاء لنفس المهمة العلمية التى جاء لها يقين، ولكن الفرق بينهما يكمن فى المنصب الوظيفى الذى يشغله. بدأت المحادثات بينهم تتناول قضية التنمية الاقتصادية فى الوطن، وأخذ ميرتون يوضح لهم أن المشاكل الاقتصادية فى البلاد تتمثل فى قلة المعروض من متطلبات الحياة الأساسية، وذلك بسبب الكسل المسيطر على الفلاحين، والأسعار العالمية. واستمر ميرتون فى نصائحه قائلاً:

– لابد لأى أفريقى ألا يردد ما تنشره وسائل الأعلام الأوروبية التى تدعى أن المشكلة الاقتصادية فى بلادنا ترجع إلى السياسة الحكومية غير المستقرة فى البلاد، فهذا غير صحيح على الإطلاق. فإذا كانوا يدعون أننا قد أصبحنا رأسماليين، فمن أين جاءت لنا الرأسمالية ؟ فنحن فى الأساس اشتراكيون ولا يوجد فى بلادنا رأسماليون على الإطلاق، إلا إذا كان هناك من يعتمد على الدول الكبرى، وهؤلاء رأسماليون متسلطون يجب محاربتهم، فإن وطننا لا يظل غير العمال والفلاحين.

أبدى زامبى إحساسه بالضيق والملل، فلا يمكن أن يجلس فى مكان للترفيه عن النفس ويتكلم فى مثل هذه الأمور، ومن هنا بدأ موضوع الحديث يتغير قليلاً، فبدأ الحديث يتجه إلى أصحاب المناصب العليا فى الحكومة والحزب، الأمر الذى جعل جون سفارى يبدو مسروراً لسماعه أخبار علية القوم فى وطنه، بدأ ميرتون الحديث فيما يدور بين أصحاب

المناصب العليا فى الحزب والحكومة الذين يعرفهم ميرتون جيداً، تحدث عن كيفية حصولهم على رحلات السفر المتكررة للخارج، وأنواع المشروبات التى يحتسونها وكيفية الحصول عليها، وقد فاجأهم جميعا عندما قال لهم أن سفره هو شخصيًا إلى أوروبا قد ناله لأهميته فى الحزب ومنصبه فى الحكومة.

تغير وجه زامبى فجأة وقال:

- إذا كنتم ستواصلون الحديث عن هذا وذاك، ومن يعرف من، والتحدث عن الآخرين، فلنحتس ما لدينا من مشروبات وننصرف ، فهذا أفضل لنا، فمن منا لا يعرف هؤلاء الأشخاص؟ فجميعنا يعرف سيرتهم عن طريق وسائل الإعلام، والسياسة تحتاج إلى عقلية ناضجة ولسان مداهن يجيد المراوغة، وضحكات صفراء كضحكات الضباع؛ فهى النفاق بعينه، فلماذا لا نتحدث عن المشاكل العادية والأمور الاجتماعية بشكل عام بدلاً من السخرية من هذا أو ذاك؟ نحن هنا نريد الترويح عن أنفسنا، فالبعض منا يريد نسيان همومه، أما ما تتحدثون عنه فيمكن لكل منا أن يقرأ عنه فى الصحف أو يرجع إلى غرفته ليشاهد وقائعه فى التلفاز أو يستمع إليه فى المذياع.

انتهت المحادثات بكلام زامبى، وأكملوا سهرتهم بالرقص فى صالة إحدى الحانات المسماة بـ (فينُس) المنتشرة فى معظم أحياء المدينة، وتقدم بعض الأغانى الأفريقية يوم السبت من كل أسبوع، هذا اليوم

معروف للأفارقة وكذلك للسيدات اللائى يعشقن التنزه مع أصحاب البشرة السوداء، ومعظمهن كن بدينات كما كان يروى لهم زامبى ؛ فهن بدينات حقا ويعشقن احتساء البيرة والويسكى حتى الثمالة.

كان من حظ يقين أن رقص مع إحداهن، ومجرد أن بدأ يقين فى الرقص معها، سألته عما إذا كان يدخن البانجو أو لا ، وعما إذا كان لديه شىء منه، فهى تريد تدخين البانجو بصحبته.

وعندما قال لها يقين أنه لا يدخن البانجو وليس معه شىء منه، ردت عليه بسخرية: أى أفريقى هذا الذى لا يدخن البانجو؟ معنى ذلك أنك ليس لديك مقدرة جنسية مثل أصحابك الأفارقة ؟ شعر يقين بالضيق منها، وأيقن أنها تهزأ به، لم يتحدث معها حتى انتهت الرقصة، وبدأت إحدى الأغانى الأفريقية للمغنى بوب مارلى، ولكن لم يكن ليقين الرغبة فى مواصلة الرقص أو الاستماع إلى الموسيقى. رجع إلى المائدة، وبدأ يحتسى البيرة بشراهة، حتى إنه لم يكن يريد النظر إلى أصدقائه وهم يرقصون.

رجع زامبى إلى المائدة حيث يجلس يقين، مغموراً فى العرق من كثرة الرقص، ارتشف قليلا من البيرة، ثم بدأ يمزح مع يقين قائلا: ماذا حدث يا شيخ ! فالخيار هنا ليس لك، فلابد من مداعبة أية سيدة من القريبات لمجلسك والرقص معها.

واستدار زامبى إلى الذين يرقصون وقال:

– إننى أرى السيد ميرتون قد وصل إلى بغيته اليوم، فهو لا يضيع وقته، ولا يدع الفرصة تفوته ! فقد واتته الفرصة منذ اليوم الأول فى

الغربة ولم يدعها تمر دون استفادة، كان يقين يضحك من قول زامبى عن ميرتون، بينما زامبى جالسٌ يهز كتفيه متابعًا دقات الطبول، مواصلا الحديث مع يقين بالمزاح والضحك المتواصل. لا ! إن السواحيليين فى أوروبا يعرفون كيف يتجمعون سويا ! هل رأيت هؤلاء الناس الجالسين هناك ؟ إنهم من دولة ملاوى، أما أولئك النسوة الطويلات البدينات فلا أدرى من أين جئن ؟ وعما قريب سوف يبتلعهن الرجال ! أو ربما إذا صاحبن الرجال استأسدن عليهم ! وقمن بإخضاع الرجال لأوامرهن ! فعندما توقع المرأة بالرجل تكشر عن أنيابها، وتأمره فيطيع! وتقول له: اجر إلى محل الخمور وأحضر لى زجاجة ويسكى! وبدون أن تدفع له شيئا، يهرول الرجل مسرعًا إلى حيث الويسكى، يجر ذيله وراءه ويلهث كالكلب، ليلبى طلبات الهانم ! انس يا سيدى ! هذه هي أوروبا ! آه ، لو علم الناس فى بلادنا ماذا نفعل هنا، لافتضح أمرنا وكان عيبًا علينا كبيراً ! وواصل زامبى ضحكاته الساخرة التى لم تنقطع.

ظل يقين يضحك على ضحكات زامبى حتى انتفخت وجنتاه، وعندما سكتا قليلا أخذ يلوم زامبى قائلاً:

– دعك يا سيدى من هذه السخرية والمزاح ! كفى ذلك يا سيد زامبى !

بدأ الحديث الجاد بين زامبى ويقين، فقال زامبى له :

– نعم ! كما تريد يا سيدى، سوف أصمت ! لكننى كنت أخبرك فقط بحقيقة الأمور هنا، أمس الأول – قبل أن تأتى إلى هنا – قد ضُرب أحد الشباب القادم من ملاوى حتى كُسرت أسنانه بسبب شجاره مع السيدات.

بدأ يقين يفكر في شخصية زامبي، ويتساءل فيما بين نفسه: عجباً لأمر هذا الرجل! إن لديه المقدرة على تغيير موضوع الحديث فجأة وبدون غموض. يدخل مرة في المزاح والسخرية، ومرة أخرى يتحدث في موضوعات جادة تدل على إدراكه الجيد للأمور، فإنني أشعر أن هذا الرجل ليس عادياً، فهو رجل من نوع خاص ! رجل شديد الذكاء، لماح، ماكر، مثقف ومتواضع أيضا. يعلم بواطن الأمور، وله القدرة على تحليلها، وفي جعبته الكثير. ربما يكون قلبه مليئًا بالأحاسيس الفياضة، فإن عينيه تدلان على ما في قلبه، ويظهر ذلك عندما يتحدث بجدية في أي موضوع، ولم يُظهر الكبرياء مطلقا في حديثه،

كان زامبي يختلف عن كل الرجال الذين تقابل معهم يقين منذ بداية رحلته إلى أوروبا، على الرغم من أن يقيناً لم يستطع كشف شخصيته بسهولة، ومن هنا بدأ يقين ينظر لزامبي باحترام وإجلال لما لمح فيه من تواضع وعلم وذكاء، ومقدرة في تقييم الأوضاع، وتحليل ما حوله من أمور.

نظر زامبي إلى يقين وابتسم ابتسامة تدل على معنى خفي ثم قال :

– هل تعلم أنني قد آذيت ميرتون عندما قاطعته في حديثه ؟ ذلك لأننا منذ أن خرجنا في الطريق إليك وهو يروى لنا نفس هذا الكلام، لذلك قد مللت الحديث في هذه الأمور في الوقت الذي نروح فيه عن أنفسنا، والذي ضايقني أكثر في حديثه، أنه يحاول أن يقنعنا بصحة موقف الحكومة على الرغم مما نعانيه في حياتنا اليومية في بلادنا.

قال يقين مؤكدا على كلام زامبي:

– أعرفه منذ أن كان طالبًا في الجامعة، كانت يده دائمًا مرفوعة بالأذى، ولسانه سليطًا على الآخرين، هل يريد أن يهددنا هنا أيضا ؟ إنه شخص كاذب ! مخادع ! عندما كنا سويًا في الجامعة كان يتحدث عن أخ له في الشرطة، وكان يهدد به زملاءه الطلاب وغيرهم، وكان هؤلاء الناس يخشون تهديده بأخيه الذي يعمل في الشرطة، فالخوف من سمات الفقراء يا سيدي !

اقترب زامبي من أذن يقين وبدأ يهمس بقوله:

– لكنه يدعي أنه هو الذي خطط لسفرك إلى أوروبا، بإرساله ملفك إلى الإدارة الحكومية ، ومن هنا يدعي أنه هو الذي بعثك إلى أوروبا.

استلقى يقين من الضحك، لدرجة أن زامبي سأله عن سبب هذا الضحك المتواصل ، فصمت قليلاً ثم قال:

– ليس هذا غريبا عليه، فأنت نفسك يمكن أن تسمع من غيرك أنه هو الذي عمل على إرسالك إلى أوروبا أيضا ! وليس من المستبعد أن تسمع ذلك وأكثر، فكثيراً ما كان يخرج للتعرف على الآخرين، وبعد أن يتعرف عليهم ويعلم أن أحدهم مسافرٌ إلى دولة ما أو إلى جهة ما ، كان يقول للمسافر لا تنس أن تقابل أخي الموجود هناك !

انتهى الرقص الساعة التاسعة تمامًا، اتجه الجميع للعودة إلى منازلهم، إلا ميرتون الذي اصطحب إحدى السيدات، وقبل أن ينصرف

بها ذهب ليودع أصدقاءه، ويقدم لهم هذه السيدة البدينة ممتلئة الصدر كضرع البقرة الحلوب، وهناك اختلى بأصدقائه طالبًا منهم أن يؤكدوا لهذه السيدة أنه من علية القوم في بلاده، وأنه لم يأت هنا للدراسة فقط، بل جاء لمهام وظيفية مكلف بها من حكومة بلده، كما أراد منهم أن يؤكدوا لها أنه صاحب منصب مرموق في بلاده.

وقفت السيدة تضحك ضحكات هستيرية، ثم طلبت من أصدقاء ميرتون أن ينصرفوا بسرعة لرعاية أمورهم.

رجع يقين وباقي أصحابه إلى المنزل وهم يضحكون بصوت مرتفع، واستمر زامبي في إضحاكهم بمزاحه وتعليقاته المرحة، وساعده في ذلك يقين و أحمد كياتو.

تقابلوا في الطريق ببعض الأوروبيين الذين يتمايلون من الثمالة، بعضهم كان يتقيأ والبعض كان يغني، والبعض الآخر كانوا يأكلون البطاطس المحمرة، كانت حياة هؤلاء الأوروبيين تمضي على هذا المنوال، تمر ببطء ، ليس لهم هدف يعملون من أجله، تجدهم على هذه الحالة من العربدة والثمالة ليلاً، بينما تتقابل مع بعضهم صباحًا وهم يتسولون سنتًا أو أكثر ليشربوا به فنجانًا من الشاي، أو ليدفعوه ثمنًا لتذكرة الحافلة التي تقلهم إلى أماكنهم.

استمرت الحياة هكذا بين يقين وزامبي، زاد التقارب بينهما يومًا بعد يوم، وبمرور الأيام أصبحا صديقين حميمين لا يمكنهما الاستغناء

عن بعضهما، توثقت عروة الصداقة بينهما حتى صارا لا يفترقان عن بعضهما صباحًا أو مساءً، فهما يقيمان معًا في الحي الغربي في هذه المدينة ، هذا الحي الذي يسكنه أغلبية الفقراء من الأفارقة والهنود، معظم مباني هذا الحي قديمة قدمًا يفوق كل أحياء المدينة، ومعظم مبانيها قابلة للانهيار في أية لحظة.

معظم أصحاب هذه المباني من الهنود، وقليلون منهم من غرب أفريقيا، والجميع يسعون إلى الثراء السريع، وجمع المال بأية وسيلة، كانوا لا يتورعون من زيادة أجرة المساكن كل شهر تقريبًا، وقد حدث ذلك ليقين في الأمس القريب، وقد روى لزامبي هذه الواقعة.

كان ذلك في يوم من أيام الأحد، كان يومًا شديد البرودة، مما جعل البخار الكثيف يخرج من فمي يقين وزامبي أثناء الكلام وعندما يتنفسان، لم تكن المعاطف التي يلبسانها تدرأ عنهما البرد والصقيع من شدتهما، خرجا سويا متجهين إلى سوق الأحد، المعروف في المدينة باسم براس، هذا السوق الذي لا ينعقد غير يوم الأحد من كل أسبوع، يمتلئ هذا السوق بأشياء كثيرة ومتنوعة، تباع هذه الأشياء بأسعار مناسبة، يمتلئ بالأشياء القديمة والجديدة، المسروق منها والحلال، لكنها مناسبة جداً لمعظم قاطني المدينة، فأسعارها في متناول الجميع، لأن معظم السكان من الفقراء الذين ليس لديهم عملٌ أو دخلٌ ثابتٌ.

روى يقين لزامبي ما حدث له بالأمس، قال إن صاحب المنزل السيد جوى أشانتي استدعاه، وأخذ يحذره من كثرة تردد الضيوف عليه، وقال له صاحب المنزل :

- إن من الضيوف من يستحق الاستقبال فى المنزل ومنهم من لا يستحق.

وتناولت التحذيرات ، نظافة الحمام والمطبخ وغير ذلك. ثم أوصى يقين أن يبحث له عن سكان من أصحابه فى الدراسة ليستأجروا ما بقى شاغراً من الحجرات بالمنزل، بحيث يلتزمون بنفس شروط الإيجار المتبعة بين سكان المنزل، ثم طلب من يقين أن يبقى معه ليشاهدا سويا فيلمًا فى التلفاز، ثم يواصلا الحديث بعد ذلك.

بدأ السيد أشانتى فى تشغيل جهاز الفيديو الخاص به، بدأ الجهاز يعرض فيلمًا جنسيًا مليئًا بالغرائز الحيوانية، وكان السيد أشانتى يفتخر بعرض هذا الفيلم الساقط، وأخذ يروى ليقين قصة هذا الفيلم ، فقد صوره هو شخصيًا مع بعض الفتيات الأوربيات اللائى عاشرهن فى أوقات مختلفة وأماكن متنوعة، وبعد انتهاء الفيلم طلب من يقين ألا يبلغ أحداً من أصدقائه، لأن مثل هذه الأفلام ممنوع عرضها.

وبعد انتهاء عرض هذا الفيلم، ذكر السيد أشانتى أسماء الفتيات اللاتى عاشرهن، وقال إنه لا يريد الاستمرار معهن، أوضح ليقين أنه على الرغم من أنه قد جاء من غرب أفريقيا، إلا أنه كان لا يثق فى الأفارقة، وخاصة فى الأمور المتعلقة بالنساء، وأخذ يمدح فى الأوروبيين ويقول أن هذا البلد الذى نعيش فيه ليس به تفرقة عنصرية كما يدعى البعض، وعلى الأفارقة ترك طبيعة عدم الثقة فى الأوربيين، وأخذ السيد أشانتى يركز على هذا الموضوع فى معظم حديثه مع يقين، وبعد انتهاء

الحديث بينهما طلب من يقين الموافقة على رفع قيمة الإيجار الشهرى المستحق على حجرته التى يقيم بها؛ وذلك بسبب التحسينات والتعديلات التى يدخلها على المنزل، وادعى أن هذه التعديلات تتطلب نفقات كثيرة لا قبل له بها، كما طلب من يقين أن يدفع الإيجار نقداً وليس عن طريق الحوالة البنكية.

كان زامبى يستمع إلى يقين وهو يبتسم، وعندما انتهى يقين من حديثه، قال له زامبى: " لقد سمعت أن هذا الأشانتى قد جاء إلى هنا كلاجئ سياسى، وعمل فى البداية راقصاً وطبالاً فى أحد الملاهى الليلية، فى الوقت الذى كان أصحابه يبحثون عن أية فرصة للدراسة، بعد ذلك بدأ فى مصاحبة إحدى السيدات التى كانت زوجة لأحد زعماء غرب أفريقيا المخلوعين، وهى التى اشترت له هذا المنزل مكافأة له على ما قام به من أعمال معها.

رد يقين ساخراً ومشيراً إلى المعنى الخاص الذى تدل عليه هذه الأعمال:

– أية أعمال تلك التى قام بها ؟

– ويحك ! ألا تعرف ما هو عملنا هنا نحن الأفارقة كما يقول الأوروبيون ؟ ألم تسمع قولهم إن عملنا الأساسى هنا هو التنزه مع السيدات، وإننا لدينا اللياقة البدنية الفتاكة فى هذا المجال، ألسنا مهرة فى هذا المجال ؟

– إذاً ، لماذا لا يريدنى أن أدفع الإيجار عن طريق الحوالة البنكية ؟

- ألا تعرف أنك سوف تقيم فترة طويلة هنا، وهو يقصد عدم التعامل مع البنوك، فهو يخشى أن يُعرف دخله، أليس من الغريب ألا يدع نقوده فى البنك ؟

ظل الحديث مستمراً بين يقين وزامبى، وتناولا قضايا كثيرة ومتنوعة، ومرت بهما أثناء الحديث إحدى الفرق الموسيقية التى تعزف فى الشوارع، يزعمون أنهم يجمعون تبرعات مادية لمساعدة مرضى العيون، وقد كان من العادة أن تمر مثل هذه الفرق الموسيقية بالآلات الموسيقية المتنوعة كالجيتار والمزمار وغيرها، فى أحياء هذه المدينة، ولم يكن همهم إلا التسول وجمع الأموال، كل هذه الفرق لم تلفت نظر يقين وزامبى إليهم، إلا إحدى الفرق الموسيقية المكونة من الرجال، كانوا يرتدون الزى الرسمى لهذا البلد، هذا الزى المسمى الكلتية، وهى تنورا ذات ثنيات طولية، تشبه الجزء الأسفل من رداء المرأة، يرتديها الرجال فى اسكتلندا وأفراد الفرق الاسكتلندية فى الجيش البريطانى، منقوشة على شكل مربعات ومثبت عليها أقفال صغيرة من الأمام، كما يرتدون كوفيات طويلة على الرأس، منقوشاً عليها نفس المربعات، كانت تعزف هذه الفرقة بالمزمار، وكان صوت مجموعة المزامير يخرج وكأنه مزمار واحد، وكان يقين يشاهد هذه الفرقة لأول مرة منذ وصوله اسكتلندا.

تحرك يقين وزامبى إلى مكان هذه الفرقة، وهما مستمران فى الحديث باللغة السواحيلية، فوجئا بأحد الشباب الأفارقة يقف بجوارهما فى نفس المكان، تبادلوا التحية فيما بينهم، وبعد التحية والتعارف،

سألهما هذا الشاب من أين جاءا ؟ وعندما عرف أنهما قد جاءا من تنزانيا، ضحك هذا الشاب بسخرية ثم قال باللغة السواحيلية:

- آه ، إذن أنتما ثوريان منفيان ؟ سأله يقين : لماذا تدعونا بهذا الاسم يا سيدى ؟

قال الشاب:

- هكذا نناديكم فى أوغندا ، فأنتم حضرتم إلى هناك وطردتم عيدى أمين، وحررتمونا بكل غالٍ ونفيس، بالمال والأحباب، فقد ساعدتمونا فى طرد هذا السفاح الكبير.

- واسترسل قائلا: ونحن مسروورون جداً لأنكم قد ساعدتمونا فى القضاء على هذا السفاح الكبير، لكن هناك بعض المشاكل الكبرى التى ترتبت على ذلك فى أوغندا ، إذا تحدث أحد باللغة السواحيلية فى أوغندا هذه الأيام، فإما أن يكون جنديًا أو ثوريًا ، والاثنان غير محبوبين هناك.

سار الجميع فى نفس الطريق متجهين إلى سوق براس، أخذوا يتحدثون عن المشاكل الأفريقية المختلفة بصفة خاصة ومشاكل العالم بصفة عامة، مشكلة المجاعة فى إثيوبيا والسودان وتشاد وما إلى ذلك. وعندما اقتربوا من الملهى عرفهم الشاب باسمه، إنه يدعى أيوكا ، وسألهما هل يعرفان ميرتون مبويتو أم لا ؟

عندما قالا له إنهما يعرفانه، بدأ أيوكا يتحدث عن ميرتون قائلا :

– إن ميرتون شخصية هامة، له اتصالات كثيرة، فعندما علم أنني لا أستطيع العودة إلى بلادى بسبب المشاكل السياسية، وأنني أخاف أن أذبح كالشاة إذا رجعت إلى بلادى، أخبرنى أنه يمكن أن يساعدنى فى الالتحاق بالدراسة فى جامعة دار السلام، فهو له صديق ذو منصب مرموق هناك فى جامعة دار السلام، ويمكن عن طريقه الالتحاق بالدراسة فى الجامعة وحضور المحاضرات لأساتذة الجامعة. ياه ! لقد أسعدنى ميرتون بهذا الكلام، ولكننى قد شعرت أنه يمكن أن يكون له مصلحة من وراء ذلك، وليست مساعدة أخوية، وهذا هو الشيء السيئ فى الموضوع، فقد طلب منى مساعدته ببعض الأموال.

نظر يقين وزامبى كل منهما إلى الآخر بدهشة، فهما يعلمان أن ما قاله ميرتون لأيوكا ليس له أساس من الصحة على الإطلاق، فهذا نصب واحتيال وتضليل، ولكنهما لم يريدا إبلاغ أيوكا بهذا النصب والاحتيال قبل مقابلتهما لميرتون.

كان ميرتون يحصل على راتب مثل أصدقائه، بالإضافة إلى ما تدفعه له الشركة الإنجليزية، فكيف يدعى لأيوكا أنه فى انتظار راتبه ؟ هذا أمر غير مفهوم على الإطلاق.

وصلا إلى سوق "براس"، كان السوق مزدحما بالناس، تذكر يقين الكلام المضحك الذى سمعه من أحد أعضاء مجلس الأمة الأسكتلندى، عندما كانوا يناقشون بعض الموضوعات المتعلقة بأفريقيا، كان هذا العضو يقول إن أفريقيا لا تعنى أى شيء بالنسبة لأوروبا، لأن بضائعها مجتمعة لا يمكن أن تملأ سوقًا مثل سوق براس.

أخذوا ينظرون إلى سوق براس، ليس هناك ما يباع فيه أو يشترى، لكنه محوط بالفرق الموسيقية التي كانت تخرج من هذا السوق متجهة إلى باقي الأحياء، كان هناك بعض الطهاة يبيعون الأطعمة الجاهزة، وعازفو الموسيقى الذين يتسولون النقود، كما كان هناك بعض المنجمين من عينة الشيخ يحيى حسين، كان زامبى يصف لصاحبيه كل شيء يرونه كلما مروا بأى جزء من أجزاء المدينة.

رجعوا إلى مساكنهم فى هذا المساء سيرا على الأقدام، لم يريدوا ركوب الحافلة لرغبتهم الاستمرار فى الحديث معا، بدأ الظلام يغطى المدينة على الرغم من أن الساعة لم تصل العاشرة (الرابعة عصراً بتوقيت القاهرة)، فى رحلة العودة، مر زامبى مع صاحبيه بمنطقة أندرسون الواقعة بالقرب من محطة الحافلات.

لم يكدوا يتقدمون بضع خطوات إلا وثلاث سيدات أوروبيات كاسيات عاريات ـ على الرغم من شدة البرد – يقطعن عليهم الطريق، وسألنهم عما إذا كانوا يريدون بيع أو شراء أى شيء، ثم عرضن عليهم خدماتهن، وقلن لهم إنهن يقدمن خدمات راقية، بأسعار بسيطة، وعرضن عليهم خدماتهن، إذا أرادوا معاشرتهن فى الأماكن الخفية فى الحى سيكون السعر اقتصاديًا ومناسباً، وإذا أرادوا الذهاب بهن إلى المنزل فالسعر سوف يزداد قليلاً، وشرحن لهم أنهن سيقدمن لهم خدمات ممتازة فى المعاشرة الجنسية.

اندهش يقين لما سمعه منهن، وكذلك صديقه الأوغندى أيوكا، ولم يستطيعا الرد عليهن بكلمة واحدة، فلم يعرفا ماذا يقولان،

وبينما هما فى دهشتهما، رد زامبى على أولئك النسوة بأنهم لا يريدون فعل شيء من هذا القبيل، حاولت العاهرات مداهنتهم وملاطفتهم، وعرضن عليهم تخفيض الأسعار بالقدر الذى يرضونه لكن دون جدوى، فقد رفض الجميع مسايرة أولئك الغانيات.

وأخيراً، أخذ زامبى يشرح لصاحبيه أحوال هذه البلد بالنسبة للدعارة قائلاً :

- إن الدعارة فى هذه البلد ممنوعة، وإن السيدات يلجأن لهذه الحيل فى عرض أنفسهن فى الخفاء ولكن بدون إجبار لأحد، وعلى الرغم من أن العاطلين عن العمل هنا يمنحون راتبا شهرياً من الحكومة إلا إن الحياة فى هذه البلد صعبة جداً، فهناك أشياء غريبة جداً تقع وتنتشر الأفعال غير اللائقة، فسوف ترون الكثير من العجائب، وستقابل الكثيرات من النساء اللائى يقلن لك إنهن على استعداد أن يفعلن لك كل ما تطلبه من المتعة الجنسية فى مقابل المال، عجبًا لهؤلاء القوم ! هل من أحد قد سمع بمثل هذه الأمور فى أفريقيا ؟ ثم يدعون أن هذه الأفعال الحيوانية التى كانت السبب الرئيسى فى مرض الإيدز قد جاءت إليهم من أفريقيا.

كان زامبى يقول ذلك وكأن وجهه لم يعرف المزاح إطلاقًا، فهو يتحدث بجدية ويأخذ الأمور مأخذ الجد الذى لا يحتمل مزاحًا، ويضع النقاط على الحروف، فمن طبيعة الأوروبيين أن يتهموا أفريقيا بكل ما يحدث لهم من أمراض وغيرها، وينسبون لها كل النقائص، بينما ظهر مرض الكوليرا - أول ما ظهر - فى هذه البلاد فى القرن الماضى، نتيجة للأحوال الصحية السيئة الناتجة عن الثورة الصناعية لديهم،

وحينئذ اتهم الأوروبيون الهنود بأنهم السبب فى جلب هذا المرض، وكذلك عندما ظهر مرض السيلان ببلادهم منذ أربعة قرون تقريباً نسبوه إلى الهنود الحمر، فالضعف والتسليم لهؤلاء الناس شيء سيء للغاية ويعتبر عيباً فى حقنا.

تلك هى شخصية زامبى، شخصية بشوشة ضاحكة، خفيف الظل، له القدرة على التحول فجأة من المزاح والضحك إلى مناقشة الأمور الجادة وتحليلها تحليلاً منطقياً.

استدار زامبى فجأة إلى أيوكا وغير مجرى الحديث، وتحدث معه فى هذه المرة باللغة الإنجليزية قائلاً :

– إننى أعدك يا شيخ أيوكا ! إذا وفر لك ميرتون فرصة العمل التى وعدك بها، سوف نكون معك فى تنزانيا هذا العام،

رد عليه أيوكا باللغة الإنجليزية :

– نعم ، أعتقد أنه سوف يفى بوعده، فقد أخبرنى أن أكتب خطاباً، أشرح فيه سبب احتياجى للعمل فى تنزانيا، وسوف يقوم بإرساله للجهات المسئولة فى تنزانيا، مع توصية منه تزكينى لهذا العمل، وقد أخبرنى أيضا أننى إذا أردت أن أشحن أمتعتى إلى تنزانيا مباشرة فيمكن أن أرسلها إلى عنوانه الشخصى فى تنزانيا.

سأل يقين أيوكا :

– ما نوع العمل الذى وعدك به ميرتون فى تنزانيا ؟ وأين ستعمل هناك؟

رد أيوكا على يقين متحمساً ومؤكدا :

– هل أنت لا تعرف حقا ؟ أم تحاول أن تختبرني ؟ أنت تعلم جيداً أن ميرتون يشغل منصباً هاماً في الحكومة، فقد أخبرني أنه لم يأت هنا للدراسة فقط، وإنما جاء في مهمة عمل خاصة بالحكومة التنزانية، فقد جاء للتحقيق في أسباب الاضطرابات التي تقع في بلادكم هذه الأيام، وقد جاء ليحقق في بعض الأمور المتعلقة بالرعايا التنزانيين الذين تزوجوا من أجنبيات هنا، وكذلك الذين يعارضون سياسة الحكومة التنزانية.

قبل أن يرد عليه يقين بادره زامبي بقوله :

– لو سمحت لي بالكلام يا أيوكا، هل أنت طفل صغير تصدق كل ما يقال لك بدون تفكير ! هل سمعت أو رأيت حتى في وسائل الإعلام أن طفلاً رفض مساعدةً قدمت له من أي شخص حتى لو كان لا يعرفه ؟ لأن الطفل برىء يصدق كل ما يسمعه، وهذه البراءة تسبب له المتاعب في كثير من الأحيان، فكم سمعت في معظم نشرات الأخبار أن طفلاً قد قُتل، أو طفلاً قد تاه من والديه، وآخر قد اغتصب، كل ذلك بسبب براءة الأطفال وتصديقهم لإغراءات الآخرين ، ثم أشار زامبي ببنانه إلى إحدى الحانات القريبة منهم وقال:

– هيا نذهب إلى هناك ونناقش هذه الأمور بهدوء وأكثر عمقًا لكي تفهمها جيداً.

دخلوا الحانة وطلبوا بيرة، بدأ زامبي في الحديث مشيرا بيديه إلى أعلى كإنسان فاقد الأمل من شيء ما ثم قال :

– اسمع يا أيوكا ! سوف أحدثك بصراحة، إن ميرتون شخصية هامة فى مكان عمله فقط، وليس له أية سلطة فى الجامعة أو غيرها، حتى لو كان يعرف شخصًا ما هناك، فليس معنى ذلك أن هذه الأمور يمكن أن تصير هكذا، نحن نعرف من هو ميرتون، ونفهمه جيداً، وما قاله لك مجرد كلام فقط، ولا يمكن أن ينفذ شيئًا مما قاله لك.

استمر زامبى فى الحديث مع أيوكا، وقال إن ميرتون يدفع مصاريف دراسته عن طريق شركة إنجليزية كما يفعل الطلاب الآخرون، وهو يدعى أن سفر يقين إلى أوربا تم بناءً على تزكيته ليقين لدى المسئولين، تدخل أحد الشبان الإنجليز بينهم فانقطع حديثهم، جاء هذا الإنجليزى وجلس بجوارهم، ألقى عليهم التحية، كان يناديهم جميعًا باسم جيمى كعادة أهل اسكتلندا، سألهم من أين جاءوا ؟ أجابوه بما يريد، وبعد فترة صمت قصيرة، واصل زامبى وصاحباه الحديث باللغة السواحلية تدخل الشاب الأوروبى فى المحادثة قائلا :

– اسمحوا لى بالكلام من فضلكم ! واستمعوا لما أقول جيداً ، أنا أحب جدا أصحاب البشرة السوداء، ولا أعرف أبداً تفرقة عنصرية، بينما يتمسك بها أصحابى الأوروبيون، وإنى سائلكم سؤالاً: لماذا أنتم تحتسون البيرة هنا بينما يموت أصحابكم جوعًا فى أفريقيا ؟ ولماذا لم تذهبوا إلى الحانة الخاصة بأصحاب البشرة السوداء بدلاً من مجيئكم هنا ؟

بحلق زامبى فى هذا الشاب لفترة، ثم ابتسم بسخرية و قال له :

– هل تدرى لماذا يموت الناس جوعاً فى أفريقيا ؟

رد الشاب الأوروبى قائلاً :

– أنا لست مطلعا جيدا على مثل هذه الأمور، ولا أدرى شيئًا عن الأمور الداخلية فى أفريقيا، لكننى أعرف أنهم يموتون جوعًا بسبب فشلهم فى حكم أنفسهم، بسبب المشاكل الناتجة عن سياسة رفض الديمقراطية الغربية، انظر إلى إثيوبيا مثلاً ! أو زيمبابوى ! قد انهارتا تماما نتيجة للسياسة الداخلية والمحلية، وجنوب أفريقيا الآن بها اضطرابات كبيرة، يطالبون بالحرية، بينما إذا حصلوا عليها سيواجهون المجاعات مثل غيرهم، إننى لا أشجع التصرفات التى يقوم بها الحكام البيض هناك، وفي نفس الوقت أرى أنه ليس من مصلحة الأفارقة أن يحكموا أنفسهم؛ لأن الأمور ستزداد تعقيدا ، وسوف تستفحل المشاكل فى كل مجال بل وفى كل مكان.

ظل زامبى وصاحباه ينظرون إلى ذلك الشاب دون أن ينطقوا أية كلمة، وبعد فترة صمت قصيرة استأنف ذلك الشاب كلامه قائلاً :

– إن هذه الحانة لا تناسبكم، ومن الأفضل لكم مغادرتها إلى أخرى تتناسب معكم.

لم يمكثوا طويلاً فى هذه الحانة، انصرفوا بمجرد احتسائهم البيرة التى طلبوها، وفى الطريق، ضحك زامبى ويقين كثيراً على هذا الشاب الأوروبى، وعلى أمور أخرى كثيرة.

أخذ زامبى ويقين يفكران فيما يدور حولهما، وقالا إن هناك بعض الناس الذين يعارضون فكرة التفرقة العنصرية فى هذا البلد، فكبار السن فقط هم الذين يرفضون هذه الفكرة، فهم ليسوا كالشباب الذين لا يدرون شيئا عن التاريخ وحياة الشعوب، فكل ما يعرفه الشباب عنا نحن الأفارقة، أننا جئنا إلى هذه البلد لمزاحمتهم فى فرص العمل أو لمعاشرة أخواتهم، أو لنعيش على أموال الضرائب التي يدفعونها.

الفصل الرابع

جون سفارى

بعد العودة من أوروبا، حرص يقينٌ على الحفاظ على صداقته مع زامبى واللقاء معه كلما سمحت له الفرصة لذلك، كان زامبى يعمل فى شركة لصناعة الأسمنت، وكانت هذه الشركة تقع خارج المدينة بقليل، كان زامبى يقيم بجوار مقر الشركة.

ذات يوم، أراد يقينٌ أن يتقابل مع زامبى لمناقشة بعض الأمور معه، قال فى نفسه :

– ربما يكون زامبى لديه ما يشغله فى عمله أو بيته عن الاتصال بى وعن التفكير فى رؤيتى.

أخذت الأفكار تدور فى عقله، وبينما هو فى المساء يجهز نفسه للخروج إلى العمل أخذ يفكر فى أحوال زامبى وما يمكن أن يحيط به، قال فى نفسه :

– ربما لا يكون زامبى قد أحيط علما بهذه المصيبة التى وقعت لى، ومن غير المعقول أن يكون زامبى خارج نطاق الشكوى التى قدمها

ميرتون للشرطة عن حادثة ضربه، فمن الواضح أن زامبي كان غير راضٍ عن أحوال وتصرفات ميرتون في أوروبا، اتصل يقينٌ من العمل بزوجته تيريزا، وطلب منها أن تنتظره في المنزل بعد خروجها من العمل ليذهبا سويا إلى زامبي حتى يطمئنا عليه ويعرفا أحواله.

ذهبا معاً إلى زامبي، وجداه في منزله مع ابنه صادق ، يعلمه كيف يصنع طائرة من الورق، استقبلهما زامبي بسعادة بالغة، وبدأ مزاحه الشيق وضحكاته الساخرة :

– يا مرحبا ! اليوم فقط يتذكر أهل المدينة الريف وحقوله ! تفضلا ! ففي الأرياف تجدان أشهى الطعام ! فهنا لا يأت الطعام من سوق كيرياكو !

ضحك الجميع بينما استمر زامبي في مزاحه :

– إنني أعرف أن سكان منطقة كيسراوي يحصلون على طعامهم من كيرياكو ، على الرغم من إقامتهم وسط الحقول ! آه ، وما أدراك ما كيرياكو !

جاءت زوجة زامبي من المطبخ لترحب بالضيوف، كان الأهل والجيران ينادونها بأم صادق، لم تجلس معهم طويلاً، بل عادت بسرعة إلى المطبخ لتعد لهم الشاي، استمر زامبي في مزاحه المعهود :

– حضوركما اليوم قد أسعدني أنا وأم الأولاد !

ضحك يقين ثم قال : وهل هناك سعادة من وراء الضيوف هذه الأيام ! بل قل حضوركما سيجعل الأطفال تنام جوعاً !

رد زامبى :

- أطفال ! أطفال ! ذكرتنى ! أين أطفالك ؟ لماذا لم يأتوا معكما ؟ أم نسمع عنهم دون أن نراهم ! ليست رؤية صورهم كرؤيتهم فى الحقيقة، هل لديكما أطفال حقًا أم تضحكان علينا ؟! فأنا عندما أقول عندى أطفال فلابد أن أقدمهم إليكما، هل رأيت ابنى صادقًا ؟ فهو هناك يقف بالخارج، إنه من الآن فى راحة إلى آخر اليوم، يردد الغناء مع المذياع، تخيل يا يقينُ أن كلمة زامبى فى لغة اللنجالا تعنى آلهة ! وهناك أغنية بلغة اللنجالا بهذا المعنى، وهو يغنيها لى ويناديني بالآلهة ! لابد لهذا الفتى أن يتثقف دينيًا ، ليعرف أكثر عن معنى كلمة الآلهة.

وصل الشاى إلى المائدة، أخذ يقينٌ يذكر زامبيًا بمقولته عن شرب الشاى فى أوروبا، إنه إذا شرب الشاى فماذا يشرب ابنه صادق ؟ ضحك الجميع وبدءوا استرجاع ذكرياتهم فى أوروبا وكيف كانت تسير حياتهم هناك.

غير يقين مجرى الكلام فجأة وقال :

- فلنترك الكلام عن أوروبا ولندخل فيما جئنا لك من أجله على غير ميعاد، استمر فى مزاحه مع يقينٍ قائلا :

- هات ما عندك ! كفاك مبالغة للأمور البسيطة يا سيدى ! فهل أنت قادم لتزيد همومى ! فإذا كنت تريد نقوداً، فأنت تضيع وقتك سُدى، فالبنوك هذه الأيام رفضت إقراضى أية نقود، وقد رفضت التعامل معها منذ فترة طويلة.

ضحك يقينٌ وقال :

- كفاك مزاحًا يا سيد زامبى ! ودعنى أخبرك عن بعض الأمور الخطيرة التى جئنا من أجلها !

استمر زامبى فى المزاح وقال :

- خلاص يا سيدى ! طالما تريد أن تخبرنى بشىء هام، فكلى آذان صاغية، وليكن ما تريد ! ضع فمك فى أذنى وقل ما تريد يا بنى ! انتهيتُ ! وأقسم لك بكل الأيمان إننى لن أضحك مرة أخرى ! والآن قد سمحتُ لك بالتحدث !

بهدوء شديد وتفكير عميق بدأ يقينٌ الحديث قائلا :

- لا أدرى إذا كنت أنت متهمًا مثلى أو لا، لكننى أمس الأول قد أُخذت إلى نقطة الشرطة، ووجهوا لى تهمة استئجار بعض قطاع الطرق لضرب ميرتون مبويتو.

صرخ زامبى قائلاً :

- من ؟ هل تقول أن ميرتون قد ضُرب ؟

- نعم، سمعت أن ميرتون قد ضُرب ضربا مبرحًا، وقد جُرح، ياه ! كأنك لم تعلم بعد ؟ المهم أننى من بين المتهمين بضربه وقد أبلغونى ذلك فى نقطة الشرطة.

- إنه يستحق الضرب أكثر من مرة، فهو ومن على شاكلته لا يستحقون الحياة فى هذه الدنيا.

سكت يقين قليلاً ثم استأنف الحديث قائلاً :

– ما تقوله يعبر عن وجهة نظرك أنت شخصيًا، وأنا لا أرى ذلك، لكن ما يهمنى أنا الآن هو اتهامى شخصياً.

– أنا لست مستغربًا إطلاقًا أن يتهمك ميرتون أو يتهم أى شخص غيرك بهذه التهمة؛ فهذا الشخص يمكن أن يفعل أى شيء وكل شيء اللزج بخصومه فى أية مصيبة، فلا عجب إطلاقا من تصرفاته، هل تعلم أننى منذ أربعة أسابيع قد تقابلت مع جون سفارى، ياه ! ما أكثر الشرور فى هذه الدنيا ! فقد انتهت الصداقة الحميمة التى كانت بينه وبين ميرتون، وأصبحا معا كالقط والفأر، لدرجة أن سفارى يتمنى أن يزهق روح ميرتون.

– ماذا حدث ؟

– تخيل أن الأمتعة التى تركها سفارى مع ميرتون لشحنها إليه بعد سفره لم تصل ! حتى النقود التى تبرعنا بها لشحن هذه الأمتعة استولى عليها ميرتون !

– حقًا ما تقول، أم تمزح كالعادة ؟

قال زامبى مؤكداً :

– نعم هذا صحيح ، وإننى أقسم بالله على صدق هذا الكلام،

قال يقين مندهشاً :

– إن بقرة الفقير لا تلد ! لم يحصل سفارى على شهادته، وعلاوة على ذلك ، يفقد كل أمتعته التى اشتراها لنفسه وأولاده.

قال زامبى موضحاً :

– لكن لا تنس أن سفارى لم يكن موفقًا فى تصرفاته، فقد فَقَد أمتعته ونقوده بسبب إهماله، من الذى يمكن أن يثق فى شخص مثل ميرتون ؟ إن الذى يثق فى ميرتون إما أن يكون قد أصابه جنون من نوع خاص، وإما أن يكون به من السذاجة ما يفوق الوصف، فربما يكون سفارى قد فعل ذلك بميرتون انتقامًا منه على ما فعل به ! وإذا كان الأمر كذلك، فلا أرى سبباً يجعلك مهمومًا هكذا، وتتحمل ما لا تطيقه، فحقارة ميرتون لا تسلبك الراحة وتطرد النوم من عينيك.

تدخلت تيريزا فى الحديث بقولها :

– عظه ! علمه كيف يفكر جيداً ! فقد أخبرته ذلك بالأمس لكنه لم يسمعنى، إنه يريد أن يتقمص شخصية السيد "مسا" المخبر السرى، يريد أن يبحث عن الحقيقة وراء هذه الأمور، ويعرف من الذين قاموا بضرب ميرتون، وقد أخبرته ألا يضيع وقته سدى.

واستدارت إلى يقينٍ قائلة :

– أ رأيت الآن ؟ إن الأمور أسهل مما تتصور ! سفارى هو الذى ضرب ميرتون، فلنطو هذه القضية !

بدأ الجميع يضحكون من قول تيريزا النهائى فى القضية، أبدت زوجة زامبى سعادتها من موقف تيريزا، فقد قالت ما لم يقله الرجال الذين لا يجدون سوى السخرية من نسائهم.

قال يقين :

– أنا مازلت معارضًا اتهام سفارى بهذا العمل، ولا أعتقد أن سفارى وراء هذا الحادث، فلو كان سفارى وراء هذه الحادث لعلم به ميرتون جيداً ولأثبتها عليه، لأنه يعلم أنه لا يستطيع إثبات التهمة الموجهة ضدى، بدون شك إن هناك شيئًا ما لا نعرفه جميعًا، ومازلنا عاجزين عن معرفة السبب الذى اتهمنى به ميرتون.

بعد فترة صمت قصيرة قال زامبى بصوت هامس :

– كل شيء ممكن ، هل تقصد أننا لابد أن نتتبع ما حدث بيننا وبينه فى أوروبا حتى نكتشف سبب هذه التهمة ؟

قال يقين : ما رأيك أنت ، وما تفسيرك لهذا الأمر ؟

رد زامبى : انتظر لحظة حتى أرتدى ملابسى ونخرج سويًا لنتمشى فى الحقول ونفكر فى هذا الأمر !

قالت أم صادق : وماذا عنا نحن الاثنتين ؟ ثم ردت على نفسها : نحن قادمتان معكما.

فى النهاية، خرجوا جميعًا فى طريقهم إلى الحقول، وصلوا إلى بعض التلال القريبة التى تطل على المحيط الهندى، ومن هناك استطاعوا رؤية المحيط، كان ماؤه يميل إلى اللون الأرجوانى، لأن الشمس كانت فى حالة الغروب والظلام بدأ يغطى مياه المحيط لترامى أشعة الغروب عليها، نظرت تيريزا إلى الحشائش تحت قدميها، ثم قالت فى دهشة :

– لا ! جفاف على الساحل حول المحيط ! أمس الأول كانت الأمطار تنهمر بغزارة ، ومازالت الحشائش يابسة حتى الآن بهذا الشكل ! لو كنا نحن في بيتنا الآن لرأينا الحشائش الخضراء وقد انتشرت في كل مكان، فعندما كنت صغيرة كان المرحوم والدي يصحبني إلى الحقول في وقت الفراغ، وكنت أجده يجمع بعض الأوراق ويقول هذه الأوراق دواء للمعدة، وهذا دواء مضاد لسم الثعبان، وتلك للتخلص من داء النسيان، وكنت أسأله كل يوم عن كيفية معرفته لهذه الأوراق وفوائدها، وقد أجابني بجواب عجيب مازلت أفكر فيه حتى الآن، قال :

– إن المحاصيل نفسها تتكلم وكذلك الحيوانات، وبالعلاقة القوية بيننا وبين البيئة يمكننا التنبؤ مسبقا بوجود الأمطار أو عدم وجودها، كما يمكننا التنبؤ بالبلاء قبل وقوعه ومن كثرة تعلقنا بمزارعنا تعلمنا منها الكثير.

وأردفت : لا أدري إذا كان أهل الساحل يعرفون هذه الأمور أو لا.

هذا الحديث الذي روته تيريزا كان حديثًا شيقًا ذا معنى، جعل الجميع يفكرون فيه بعمق، وقد ظهر ذلك على وجوههم جميعاً، لدرجة أنهم استمروا في التفكير فيه حتى أنساهم الحديث الأصلي الذي جاءوا إلى الساحل من أجله، وظلوا في صمت لفترة طويلة.

وأخيراً، خرق زامبي حاجز الصمت قائلاً :

– هذه بالطبع هي المعرفة التي عاش معها أجدادنا طوال قرون عديدة، واستفادوا منها في حياتهم اليومية، وقد اقتبسناها نحن في هذه

الأيام بسبب الحداثة التى سيطرت على كل شيء لدرجة أنها أنستنا ميراثنا الثقافى، لكن دعونا من ذلك ولنعد نتحدث فى الأمر الذى وقع للأخ يقين هذه الأيام.

ما حدث بين ميرتون و سفارى بدأ بعد وصول يقين إلى أوروبا بستة أشهر، عندما نسى جون سفارى أن يتقدم بطلب مد إقامته فى إنجلترا بعد انتهاء فترة الإقامة الأولى التى حددت بستة أشهر، بعد مرور أسبوع واحد على انتهاء الإقامة ، تذكر سفارى أنه لابد من الحصول على تصريح بتجديد إقامته من إدارة الهجرة البريطانية، ذهب هو وصديقه الحميم ميرتون، عندما دخلا إدارة الهجرة وقدم سفارى نفسه لهم، أبلغوه أنه بهذا التأخير قد خالف قوانين الهجرة فى البلاد، وهو الآن يقيم فى البلاد بصورة غير قانونية ولابد من ترحيله على أقرب طائرة مغادرة إلى تنزانيا، حاول سفارى أن يقنع موظفى إدارة الهجرة أنه لا يقصد مخالفة القانون وأن هذه هى أول مرة يقع فى هذه المخالفة لكنهم رفضوا كل توسلاته وأصروا على ترحيله على أول طائرة تغادر بريطانيا إلى بلاده.

قدم ميرتون نفسه لموظفى الهجرة على أنه رجل هام فى الحكومة التنزانية ويمكنه أن يضمن سفارى إلى أن يأتى مندوب السفارة لمناقشة هذه المشكلة، رفض الموظفون طلب ميرتون وتمسكوا بموقفهم.

قال الموظفون إنهم لا يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم، فليسوا هم الذين وضعوا قانون البلاد، فالإنجليز هم الذين وضعوا قانون بلادهم ، وما نحن إلا منفذون لما ينص عليه القانون ولا يمكن مخالفته من أجل

هذا أو ذاك؛ فقوانين الدولة لا يجوز مخالفتها فهى حقوق واجبة التنفيذ بدون استثناء، وقد قدموا اعتذارهم لما سيترتب على هذه المخالفة من ترك سفارى لدراسته وترحيله دون إتمام دراسته، بدون استطاعتهم تقديم أية مساعدة له فى هذا الشأن، واقترحوا على ميرتون أن يساعد صاحبه فى شحن أمتعته إلى تنزانيا.

اتفق ميرتون وسفارى على هذا الأمر، أعطى سفارى عنوانه فى تنزانيا لميرتون، ثم أعطاه خطابًا لمدير البنك الذى تعامل معه ورقم حسابه بهذا البنك، وطلب سفارى فيه من مدير البنك أن يصرف لميرتون باقى حسابه بالبنك ليتمكن من شحن أمتعته، حدث ذلك كله وكأن سفارى يعيش كابوسًا أو فى حلم مزعج، لكن هذه هى أوروبا، قال سفارى لميرتون إن هؤلاء الناس يتصرفون هكذا حتى ولو كانوا مع أمهاتهم، ودارت فى عقله أسئلة كثيرة ليس لها إجابة.

ودع ميرتون سفارى وهو يعاهده أنه سوف يشحن أمتعته بأقصى سرعة ممكنة، وعاهد سفارى أنه سوف يكتب خطابًا للمسئولين فى الحكومة ليتخذوا موقفًا صارمًا حيال هذا التصرف غير المسئول من إدارة الهجرة البريطانية، وسيطلب من الحكومة التنزانية أن تغير وجهة طلابنا إلى أية دولة أخرى غير هذه الدولة، شكر سفارى ميرتون قائلاً :

– لن أنسى لك هذا الموقف وحسن صنيعك معى ومساعدتى فى هذه المحنة.

انصرف ميرتون، لم يتصرف هؤلاء الموظفون إلا بما تمليه عليهم اللوائح والقوانين، لأنهم يؤدون واجبهم نحو وظيفتهم، فالقانون يحكمهم

كما يحكم غيرهم، لم يحجز سفارى إلا فترة قصيرة ثم رحلوه إلى تنزانيا على أول طائرة.

مساء ذلك اليوم أخذ ميرتون يبحث عن يقين وزامبى وأصدقاء آخرين، وقص عليهم ما حدث، وقال لهم إن هؤلاء الموظفين لم يكن عندهم أية رحمة فى تطبيق القانون، وطلب من جميع الأصدقاء أن يتعاونوا معه فى شحن أمتعة سفارى بأقصى سرعة، كما يجب أن يتعاونوا فى دفع ما عليه من ديون مثل فواتير الكهرباء والمياه والغاز والتليفون علاوة على ما عليه من إيجار لمسكنه، ثم ختم كلامه بقوله أن سفارى قد كلفه هو بإنجاز هذه المهمة وشحن أمتعته، لكن من سوء الحظ ليس معى ما يكفى للشحن، من هنا طلبت منكم جميعاً المساهمة فى هذا الخير لأن التعاون من سمات الأفارقة.

بعد مناقشات طويلة وتقدير ما ستكلفه شحن أمتعة سفارى شارك الجميع فى إنجاز هذه المأمورية، فمن كان معه نقودٌ فى ذلك الوقت دفع ما عليه، ومن لم يكن معه عاهد ميرتون أن يعطيه ما عليه من النقود فى اليوم التالى، تعهد ميرتون بأنه سوف يذهب إلى شركات الشحن ويتفق معهم على شحن جميع الأمتعة.

وكان آخر شىء فعلوه فى هذه الليلة نقل أمتعة سفارى من حجرته إلى حجرة ميرتون، كان عملا شاقا؛ فقد كان لدى سفارى مجموعة من الأجهزة الكهربائية، تشتمل على ثلاجتين، ومطبخ كهربائى، وتلفاز وجهاز فيديو ومجموعة أشياء صغيرة ومتنوعة، ولم يجدوا عند سفارى غير كتابين اثنين، وهما كل ما وجدوه فى المكتبة الخاصة به، اندهش الجميع

من عدم وجود أية كتب أخرى، حتى إن البعض قد ارتاب فى سفارى، هل جاء للدراسة أم لغرض آخر !

التقى يقين وزامبى مع ميرتون بعد ترحيل سفارى بأسبوعين، التقيا معه فى إحدى محطات مترو الأنفاق، عندما كان الجميع متجهين إلى المدينة لشراء بعض لوازمهم، كان ميرتون يبدو مرحًا فى ذلك اليوم، بعد التحيات والسؤال عن أحوالهم قال ميرتون :

– لقد كانت المهمة التى قمت بها صعبة للغاية، فأمتعة سفارى كانت ثقيلة، ولكن أصحاب شركة الشحن تفضلوا بمساعدتى فى ذلك حتى تمت المهمة على خير، وقد أخبرنى عمال الشحن أن الأمتعة سوف تغادر بريطانيا خلال هذا الأسبوع ويمكن لسفارى استلامها بعد شهر واحد تقريبًا.

وصل القطار إلى المحطة، وعندما وصلوا المدينة تجولوا فى المحلات التجارية معًا، وفى النهاية طلب ميرتون من صاحبيه اختيار إحدى الآلات الموسيقية لشرائها، وأخبرهم أنه فى سبيل استقبال زوجته القادمة بعد أسبوعين، وقال لهما إنه يريد أن تعيش هنا دون شعور بالملل أو التعب، وإذا كان ليس لديها عمل تقوم به فيمكنها مشاهدة التلفاز أو الفيديو أو تخلد لسماع الموسيقى، ولن تشعر بالملل لأننى قد اتفقت مع أحد كبار الموظفين هنا أنه بمجرد وصولها إلى هنا سوف يستعين بها كموظفة آلة كاتبة فى مكتبه الخاص، هذه الشخصية الهامة كان يعمل مدير شركة فى بلادنا قبل الاستقلال بعام واحد.

وجه كلامه إلى يقين قائلاً :

– يا يقين ! سمعت أن زوجتك سوف تحضر هنا قريبًا، هذه مناسبة طيبة فربما تتعرف على زوجتى وتكونان صديقتين حميمتين، لكن هناك أمراً هامًا أرجو أن ألفت نظرك إليه؛ لا تسمح لزوجتك عندما تأتى هنا بالعمل فى غسل الأطباق عند الهنود، فزوجتك على درجة علمية كبيرة، إننى أعرف ذلك منذ أن كنا فى الجامعة.

ظل الحديث مستمراً بين الثلاثة، ميرتون يتكلم ويثرثر بأسلوبه المغرور، أما يقين وزامبى فينصتان وهما يضمران سؤالاً، علام هذا الغرور؟

لقد روى ميرتون أن صديقه الأوروبى عندما كان فى تنجانيقا – بعد انتخابات عام ١٩٥٨م والتى مكنت الأفارقة من الاشتراك فى الحكومة – اشترك فى المواجهات التى وقعت لقمع القبائل التى تمردت فى سكوما، ووالد ميرتون الذى ترك عمله فى ميناء موانزا قد اشترك مع مثقفى هذه المنطقة فى المساعدة على تهدئة الأوضاع وإنهاء التمرد، من هنا تعرف هذا الأوروبى على والد ميرتون منذ هذه الواقعة وأضاف قائلاً :

لقد قدر الحزب والحكومة مواقف أبى وخاصة فى فترة التمرد الذى اتهم فيها المتمردون أعضاء الحزب بالخيانة كان والده يدافع عن هؤلاء الأعضاء، وقد استمر والدى فى عضوية الحزب حتى صار أكبر وأقدم عضو فى الحزب نائبا عن هذه المنطقة، وقد كان أهل سكوما يقولون إن شيخنا قد أوضح أن التحضر الأفريقى يتعارض مع الفوضى

والاضطرابات التى يمكن أن تكون سببًا فى تعطيل الحرية التى نطلبها، لقد أُعجب هذا الأوروبى بموقف أبى وقدره أيما تقدير، صديقى الأوروبى الذى يدعى ماك برون قد أدرك جيداً أنه كان يتعامل مع حكماء من أهل تنجانيقا ، وقبل هذه الفترة كانت إضرابات العمال متكررة، لعدم تدخل المثقفين لتهدئتها وكانت الشرطة تقوم بفض هذه الإضرابات مما ترتب عليه قتل أكثر من خمسة عشر عاملاً على أيدى الشرطة.

ظل ميرتون يروى لهما تاريخ والده إلى أن دخلوا محل بيع الأدوات الموسيقية ليشتروا الآلة الموسيقية التى يريدها ميرتون ، بدأ ميرتون يسخر من بعض الأشخاص الذين يبحثون عن نوع من الآلات الموسيقية الرخيصة بدلاً من تلك الآلات الغالية ذات الحجم الكبير والتى تزعج من يستمع إليها موضحًا :

– لابد للمرء أن يظهر بمظهر لائق به بعد ما جاء إلى أوروبا.

بعد كل هذا اقترض ميرتون أجرة السيارة التى استقلها إلى المنزل، وبعد أن أوصل هذه الآلة الموسيقية إلى المنزل دعا صديقيه أن يذهبا معه إلى الحانة ليحتفلوا سويًا بشراء هذه الآلة الموسيقية، ترك يقين وزامبى أمتعتهما فى منزل ميرتون وتبعاه إلى الحانة.

جلسوا يحتسون بعض البيرة فى حانة "الغرب" التى تقع قريبة من دار ميرتون الذى خاطبهم قائلاً :

– يجب علىَّ أن أتوقف عن معاشرة أولئك النسوة الأوروبيات قبل وصول زوجتى إلى إنجلترا مع أن معاشرة الأفريقى الأوروبيات تعتبر

ترويحًا عن النفس، فكروا فى الأمر جيداً ! أشخاص حكمونا فى بلادنا كل هذه السنين، والآن نحن نجعلهم يتجردون من ملابسهم من أجلنا، حتى التفرقة التى يتحدث عنها الناس أنا لم أجدها فيهن، ولا فى هذه المدينة، إننى أظن أن هذه التفرقة موجودة فى خيال بعض الأشخاص وليس لها واقع ملموس.

نظر يقين وزامبى كل منهما للآخر، ثم ضحكا، وضحكاتهما جعلت ميرتون نفسه يضحك من الفرح، لأنه ظن أنهما يضحكان سروراً من هذا الحديث، أيده يقين فى إحساسه هذا، ثم قال له معقباً :

- حق ما تقول يا سيد ميرتون ، إنه تحرر كبير بالنسبة لمعظمنا هنا، وهذا التحرر يتمثل فى احتقار الأوروبيين لنا، وعدم اعترافهم بآدميتنا كأفارقة، و نحن بالنسبة للأوروبيات جسدٌ للمتعة فقط، ومن هنا فنصيحتك لنا ذات قيمة كبرى.

ضحك زامبى كثيراً من قول يقين، ضحك ميرتون أيضًا، لأنه ظن أنهما معجبان بوجهة نظره التى أبداها، وهو على صواب فيما يقول، غمز يقين بعينه لزامبى خفية واسترسل قائلا :

- أتظن أنه لولا اعتراف الأوروبيين بآدميتنا هل كنا وصلنا إلى هنا؟ وما كنا حصلنا على الاستقلال والحرية إطلاقًا !

تخيل يقين صورة الشيخ ماجيكوندو فى هذه اللحظة، وقد أدرك زامبى ذلك، لأن يقيناً كان قد قص عليه مقابلته مع الشيخ ماجيكوندو، شعر يقين بشىء ما يمزق فى صدره من شدة ما كظم من غيظ، تمنى يقين أن يجهز على ميرتون، لكنه بدأ يسخر منه قائلاً :

– ما حدثتنا به حقيقي، فقد سمعت عن المعروف الذي قدمه والدك ، وذلك منذ أن كان يعمل في ميناء دار السلام.

سأله ميرتون :

– معقول ! هل تعرف أن والدي كان يعمل في ميناء دار السلام؟

رد يقين مخادعًا :

– نعم، علمت ذلك من أحد العمال الذين كانوا يعملون مع والدك في نفس المكتب، وقد أُحيل هذا العامل إلى المعاش، فقد سمعت أن السيد مبويتو كان شخصية معروفة جداً بين المثقفين، قالوا عنه إنه هو الذي يدرك جيداً فلسفة تحضر الأفريقي، وقد نتج عن ذلك أن الأوروبيين قد اكتشفوا هذه الفلسفة وأن الشيخ مبويتو من بين الرجال الذين يرون أهمية هذه الفلسفة، نعم، فإن هذه الفلسفة هي الأساس الحقيقي لحكمة وبصيرة الشعوب الأفريقية، لكن الشيء الهام أن الأوروبيين أنفسهم قد أدركوا أننا اكتشفنا حقيقة أنفسنا التي تتساوى بجدارة مع الأوروبيين، إن الشيخ مبويتو كان مشهوراً جداً، فقد لقب بشيخ العمال للدفاع عن حقوقهم بعد الاستقلال، عندما قام العمال في بعض القطاعات كالبريد والسكة الحديد ومصانع الكتان بإضراب مطالبين برفع أجورهم التي باتت لا تسد رمق العمال وأسرهم، وعندما عارض العمال بعض الإجراءات التي حالت بينهم وبين وحدتهم التي تساهم في تقدمهم، قبض على بعض العمال في ذلك الوقت، وقد سمعت أن الشيخ مبويتو طلب من العمال الابتعاد عن هذه العادات السيئة المتمثلة في مطالبتهم بزيادة

الأجور فى الوقت الذى يعيش فيه الملايين من إخوانهم من الفلاحين فى معيشة ضنك، يعانون من المرض والجهل والفقر، وقد عرفهم أن الدولة كانت فى حالة حرب، وأن مثل هذه الإضرابات من شأنها أن تمنع الدول الأجنبية من الاستثمار فى بلادنا.

تسلل زامبى إلى محاسب الحانة لشراء بعض البيرة وليحاول إخفاء ضحكه من كلام يقين الساخر، تبسم يقين عندما شعر أن ميرتون معجب بحديثه عن والده، فقد كان من الواضح أن ميرتون لم يدرك مغزى حديث يقين الذى يسخر به من والده.

رد ميرتون وقد راقه ما سمعه :

– نعم، فإن والدى كان شخصية مشهورة للغاية.

احتسى زامبى كأس البيرة ووضعه على المائدة ثم قال ضاحكًا :

– ياه !لا تحرمونى من لذة التمتع بالبيرة ! فيمَ كنتما تتحدثان؟

استرسل ميرتون قائلاً :

– نعم هو الذى ربانى حتى أصبحت هكذا، وبسبب والدى استطعت التعرف على أشخاص كثيرين من أصحاب المناصب العليا فى الحزب والحكومة، فقبل أن يتوفى منذ خمس سنوات مضت أوصانى بوصيتين اثنتين : الأولى – احترام القيادات الحكومية واتباع أوامرهم وتبنى أفكارهم. والثانية – التمسك بالدين. هناك تعاليم كثيرة تركها والدى للوطن، لكن العمال والفلاحين لم يتعلموا منها شيئًا، وهذا بالطبع الذى سبب الفوضى فى محاولاتهم أخذ المصانع عام ١٩٧٠م، فيمن

يعتقدون أنه يمكن أن يسمح بذلك؟ لم تحدث مثل هذه الأمور فى أى بلد فى العالم، حتى فى روسيا والصين القيادات هى التى تسيطر على كل الأمور ؛ فالحكومة بالطبع هى الحكومة مهما حدث، وهى التى تضع لهم الخطط التى يسيرون عليها فى أعمالهم، بدون شك أن بلدنا كان يمكن أن يضل طريقه نحو التنمية لولا وجود أشخاص لديهم الحكمة مثل والدى، فلولا حكمة هؤلاء لظهر بعض الناس الجهلاء لتخريب مشروعات التنمية الاقتصادية فى بلادنا، هذا السلوك المدمر الذى جعل الأوروبيين يسخرون منا.

بعد انتهاء ميرتون من شرح فلسفة والده الهُمام ، تحدث زامبى وهو يضغط على يد يقين المختفية تحت المائدة قائلاً :

– ياه ! إن وفاة والدك خسارة كبرى للبلاد ! فإن الأمة قد فقدت أحد رجالها المهمين، لكن عزاءنا أنه ترك لنا ميراثا عظيمًا يتمثل فى شخصك أنت، فبدون شك أنت سوف تنفذ وصايا والدك بإتقان، فتنفيذ الوصايا أمر هام للغاية، فوصايا الوالد تأتى فى المرتبة الثانية بعد وصايا الله.

وقد أعطاه قول زامبى ثقة كبيرة فى نفسه ، لم يتردد ميرتون فى الاستزادة من احتساء البيرة، واسترسل فى الحديث عن نفسه، فأخذ يحكى بأنهم فى مكتبه بالحكومة يضعون خططًا قوية ومدروسة جيداً ساعدت فى تنمية الاقتصاد الوطنى الذى يعود على الفلاحين بالرخاء، وأبدى أسفه على الوضع المتردى الذى يعيش فيه الفلاحون فمعظمهم مصابون بدائَى الجهل والمرض، فهم حتى الآن لا يميزون بين ما يضرهم

وما ينفعهم فى حياتهم، هذا الجهل ظهر واضحاً فترة الاستعمار عندما كانوا يرفضون كل الوسائل العلمية التى يقدمها الأوروبيون لهم فى مجال الزراعة، مما جعل وطننا يعجز عن توفير الغذاء الكافى لشعبنا من أراضينا الخصبة، فقد حاول الأوروبيون فى كثير من المرات تنمية المشروعات الزراعية فى بلادنا ولكن الفلاحين كانوا يتمردون عليهم، مما وضع البلاد فى حالة الفقر فى ذلك الوقت.

أثناء عودتهم إلى المنزل كان ميرتون مبتهجاً للغاية من كثرة ما احتسى من البيرة، فكان يدخن بشراهة ويغنى بدون إدراك، فكان ينشد أغانى غير معروفة، كان يقول فى أغنيته : إن النساء العاهرات لابد أنْ يرحلن إلى كليمبيرا، وذكرهم بأن هذه الأغنية كانت تنشد بعد نيل الاستقلال، عندما كان الناس يشجعون الاعتماد على النفس فى بناء الاقتصاد الوطنى.

مر يقين وزامبى على منزل ميرتون ليأخذا أمتعتهما التى تركاها عنده، وعندما خرجا إلى الشارع انفجرا ضحكاً وظلا يسخران من حكايات السيد ميرتون.

بعد انتهاء الضحك قال زامبى ليقين :

– أيها الخال ! أرى اليوم أنك تفوقت فى السخرية والخداع ! لقد عجبت من أسلوبك فى تحويل كلام السيد ماجيكوندو الذى رواه لك.

فرد يقين لائماً :

– أولا أنا لا أدرى لماذا اتبعته اليوم، فأنا لا أحب محادثته على الإطلاق لأن له رائحة كريهة، وهو يتعامل معنا وكأننا أغبياء جدا، على الرغم من أنه يعلم كل شيء.

– لا ، لم يكن باستطاعتنا تركه بعد أن تقابلنا معه، أليس هو الذى جاء معنا إلى السوق ؟ وهل تظن أننا لو تركناه ما كان يذكرنا بالسوء؟ وعلى الرغم من ذلك فما خسرنا شيئًا من البقاء معه، وما استفاد إلا كشف نفسه، فهل للناس عقول كعقول البغال، حتى لا يستطيعوا كشفه ومعرفة حيله ؟! وأخيرا ودع كل منهما الآخر، واتجه كل منهما إلى حال سبيله.

جاء ساكن آخر إلى المنزل الذى كان يقيم فيه يقين، بعدما ترك أحد المستأجرين حجرته لأنه لم يستطع الالتزام بشروط التأجير التى يفرضها السيد جوى أشانتى صاحب المنزل، لقد طرد السيد أشانتى هذا الشاب لأنه استضاف بعض الأصدقاء فى حجرته للمذاكرة معهم، وكانت حجته أنهم يسهرون معظم الليل مما يجعلهم يستخدمون المطبخ لعمل القهوة طوال الليل، فطلب أشانتى من هذا الشاب أن يدفع فاتورة الكهرباء كاملة فرفض الشاب ذلك فتم طرده من الحجرة.

كانت المستأجرة الجديدة فتاة من البرازيل تدعى بتريسيا توريز ، كانت هذه الفتاة تدرس مع ميرتون فى نفس التخصص ونفس المستوى الدراسى، كانت هذه الفتاة هادئة جداً فى بداية إقامتها بالمنزل، فكانت تغلق عليها حجرتها وتكتب على الآلة الكاتبة الخاصة بها، بدأت بعد ذلك فى التعود على جيرانها من السكان، وتطورت علاقاتها

بجيرانها حتى بدأت تخرج معهم إلى الحانات والمنتزهات، وكان زامبى يشترك معهم أحيانا فى الخروج للترويح عن النفس، مع مرور الوقت أصبح زامبى وبتريسيا صديقين حميمين وتوطدت علاقتهما بوصول تيريزا زوجة يقين.

كان يوم وصول تيريزا يوم احتفال وبهجة وسرور ليقين، ذهب زامبى وبتريسيا مع يقين لاستقبال تيريزا فى المطار، تعانق يقين وتيريزا وظلا متعانقين ينظر كل منهما للآخر وكأنهما غير مصدقيْن أنهما التقيا بعد طول فراق، بدأت الآن حياة يقين تتبدل قليلا إلى الأفضل.

خرجت بتريسيا مع زامبى مرات كثيرة، كما كانت تخرج مع تيريزا كلما سمحت الظروف بذلك، وعندما يكون يقين مع زامبى، تسأل تيريزا بتريسيا إذا كان لديها عمل أم لا، ليخرجا سوياً، وأحيانا يقضون الوقت معا فى المذاكرة، قالت بتريسيا لتيريزا أن هناك مجموعات نسائية يجتمعن ليناقشن المشاكل المتعلقة بالمرأة، ومن خلال هذه المجموعات النسائية يمكن لتيريزا أن تصادق بعضهن، سواء كن من النساء الأفريقيات أو الأوروبيات، فمعظمهن متعاونات ويحببن بعضهن البعض، لا فرق لديهن بين الأسمر والأبيض.

مرت الأيام عليهم كرؤية فى المنام، فوصول تيريزا فتح صفحة جديدة فى العلاقة بين يقين و زامبى، شرعا فى التعرف على أشخاص لم تتح الفرصة قبل ذلك للتعرف عليهم، تعرفوا على أصدقاء جدد من بين أزواج صديقات تيريزا و بتريسيا، أشخاص أصحاب وجهات نظر

ومواقف تختلف عن وجهات نظر الأشخاص الذين يقيمون معهما فى الحى، منهم الكرماء، ومنهم الذين يحبون التفرقة العنصرية، ومنهم من يتمسك بنظام الطبقات فى المجتمع.

على أية حال فقد كانوا أشخاصاً متمردين، على الرغم من صوتهم الذى لا يكاد يسمع. إلا أنه كان له صدى لدى الآخرين، على الأقل وصل صوتهم ليقين وزامبى اللذيْن استمرا فى اللقاء معهم كلما سمحت الفرصة بذلك

التقيا مع ميرتون مرات قليلة كعادتهما، وكانت زوجة ميرتون قد وصلت من تنزانيا، وعلى الرغم من عدم رؤيتهما لزوجة ميرتون مع كثرة لقائهما بميرتون، إلا إنهما قد توقعا كيف تكون زوجته قبل أن يروها، لأنهما كلما التقيا بميرتون حدثهما عن جمال زوجته وأدبها وهدوئها وطاعتها له.

ذات يوم انكشف سر ميرتون، علم يقين أنه لا يريد أن تتعرف زوجته بالناس المحيطين به خوفاً من أن توضح زوجته لهم مدى المعاناة التى لاقتها حتى تستطيع اللحاق بزوجها فى أوروبا.

كانت زوجته جلوريا مازالت بدون عمل، وكان ميرتون يبرر هذا بأن الحصول على العمل مسألة بسيطة بالنسبة له، فيمكنها الحصول على العمل فى أى وقت، وهو يريد أن يشترى لها سيارة لتذهب بها إلى حيث تريد حتى تقضى وقت فراغها إلى أن تحصل على العمل المناسب، وأخيرا رحب ميرتون بيقين و زامبى لزيارته فى منزله بشرط ألا يتحدثا

مع زوجته فيما يعرفان عن سلوكه فى حياته قبل وصولها، وأبلغ يقين بأن يصحب زوجته تيريزا معه لتتعرف زوجته عليها.

ذهب الجميع حيث يعيش ميرتون، واصطحبوا معهم بتريسيا، قدمهم ميرتون لزوجته، وقدم لهم المشروبات ثم قال :

– تفضلوا يا جماعة، إن بتريسيا لم تأت عندنا على الرغم من أننا زملاء فى الدراسة ! فأنا أعيش فى هذا المكان، ألا ترين أن الحجرة مليئة بالآلات الموسيقية والتلفاز، كل ذلك مقدمة فقط، فلدى آلات أخرى كثيرة لكننا قد وضعناها فى الحجرة الثانية، حتى إننا لا ندرى عندما نسافر، كيف نتصرف فى شحن كل هذه الأمتعة يا جلوريا ؟

نظرت إليه زوجته وضحكت دون أن تنطق بكلمة واحدة، نظر زامبى إلى يقين وتيريزا ثم قال :

– كيف يا شيخ ! إننى أرى أمورك هنا طيبة جداً، بدون شك إن أصحابنا هنا فى أوروبا يرضون عنك، فنحن لم نستطع اللحاق بك منذ أن وصلت .

رد ميرتون مبتسماً :

– آه، هذه بالطبع مميزات العمل بالحكومة، فهى ليست كشركات القطاع العام، نحن قوم نأكل ما نريد، ونمشى وفى بطوننا أسرار الحكومة، فنحن فى وطننا نأكل مرة فى فندق كليمنجارو ، وثانية فى فندق أفريقيا الحديثة وأخرى فى بشتركير ، وفى أماكن راقية كثيرة، وبدون أن ندفع أية نقود، لأن العمل هو الذى يدفع، وما علينا نحن

إلا أن نوقع على الفاتورة فقط، لكن يا سيد زامبى إذا كنت لم ولن تستطيع الوصول إلى نصف ما أنا فيه، فهذا يعود إلى عدم التخطيط الصحيح لحياتك، تكلم وتعامل مع أشخاص من أمثالنا ! تتعلم كثيرا، واسترسل ميرتون فى كلامه وعلى وجهه ابتسامة :

– أول أمس بعض الناس قالوا إنهم شاهدوك فى المدينة تبحث عن آلة كاتبة وماكينة حياكة، ماذا ستفعل بهما يا سيد زامبى؟ هذا تبذير للأموال بدون طائل، أنا لست بحاجة إلى شراء حتى الكتاب، فقد قررت أن أتبع أسلوب الأخ سفارى، سوف أستخدم الكتب الموجودة فى مكتبة الجامعة كما كان يفعل، هل أنفق أموالى سدى !

سأله زامبى باسماً :

– من الذى أخبرك بأننى أريد شراء آلة كاتبة؟

رد ميرتون وهو يضحك ناظراً صوب جلوريا التى هزت رأسها كالسحلية موافقة على كلامه قائلاً :

– قلت لكم إننى لا يخفى عنى أى خبر هنا، حتى هؤلاء الأوباش الذين ذهبوا ليشترى كل منهم مذياعاً قد علمت بهم، أ لست فى أوروبا !

استمروا فى المسامرة، بينما كانت المائدة مملوءة بأنواع المشروبات وميرتون يحثهم على الاستمرار فى الشرب، وعندما انتهت السهرة ودعهم ميرتون ووصاهم أن يكرروا هذه الزيارة، لأنهم سوف يفتقدون مثل هذه المشروبات فى بيتهم، ووعدهم عند زيارتهم له المرة القادمة بأنه سوف يعرض لهم فيلما فى جهاز الفيديو.

دخل الموسم الحار أوروبا، أوردت الأشجار وانتشرت الزهور وغردت الطيور مما جعل المدينة أكثر جمالاً وأحسن منظراً ؛ فالأشجار التى تخلصت من أوراقها فى الشتاء أصبحت الآن مورقة ومزهرة، وأخذت الطيور المتنوعة تطير هنا وهناك فرحًا وسروراً بوفرة الأزهار وأخذت تغرد بأصواتها الشجية التى ملأت المدينة بهجة، والقلوب انشراحًا، وامتدت ساعات النهار أكثر من ساعات الليل مما زاد المدينة حيوية وجمالاً.

يأتى الموسم الحار وتكثر العجائب فى أوروبا، ليس عجيبًا أن ترى رجال أوروبا خاصة الشباب منهم يمشون شبه عراة حاملين ملابسهم على أيديهم من شدة الحر، ترى الوجوه التى كانت مكممة فى فصل الشتاء قد انكشفت، والملابس الثقيلة قد خُلعت ، وقد ذهب الكمون الشتوى وامتلأت الشوارع بالمارة، أُغلقت الجامعات فترة الصيف، وأصبح يقين وزامبى أكثر حرية، لديهم الكثير من الوقت للترويح عن النفس، ذهبت بتريسيا إلى البرازيل لقضاء إجازة الصيف مع أهلها.

كان يقين وزامبى وتيريزا يتنزهون فى حديقة كيلفن القريبة من مسكنهم، وكعادتهم، كانوا يتسامرون ويضحكون فرحاً، كانوا يشيرون بأيديهم هنا وهناك، يكسو وجوههم الفرح كالأطفال.قالت تيريزا :

– هذا هو الوجه الحقيقى لهذا البلد، ذهب البرد الذى يجرد الأشجار من أوراقها، ويخلى الشوارع من المارة، ويتجمع الناس أمام المدفأة.

بدأ يقين بالمزاح مع أصحابه قائلا :

– فلنتنافس فى تأليف القصص، هذا الجو البديع يجعل العقول نشيطة والقلوب متيمة.

بدأت تيريزا حكايتها قائلة : كان يا ما كان ...

رد عليها يقين وزامبى : فى سالف العصر والزمان ...

وضحك الجميع.

قال يقين مازحا : منذ متى كانت النساء مؤلفات قصص؟

ردت تيريزا : منذ أن رحل الأوروبيون.

فرد يقين لائماً :

– آه ! دعكِ من هذا النكد ! هذا ليس قصصاً.

– إذاً سوف أستأنف الحكاية ولا تقاطعانى ! هل قبلتما؟

"كان هناك سيد يعمل بالمراعى، كثير القراءة فى الكتب المتخصصة فى عالم الحيوان، سافر هذا السيد إلى بلاد كثيرة للدراسة حتى وصل إلى أوروبا، أحاط علماً بمعظم الحيوانات كالأبقار والماعز حتى الدجاج، ويمكنه التحدث عنها جميعا ! لديه معرفة واسعة عن أعضاء جسم كل حيوان، سخْر كل وقته للدراسة فى هذا العلم الواسع، كلما تحدث مع الآخرين قرن كلامه بالحيوانات وخاصة الأبقار، لدرجة أنه إذا أراد أن يعبر عن هيئة إنسان يمثله بحيوان ما، فهو يربط معظم كلامه بالحيوانات حتى أطلق عليه لقب سيد المراعى.

استلقى يقين وزامبى على الحشائش من الضحك بينما استرسلت تيريزا: ... ظل يقرأ ويقرأ إلى أن انتهى من معظم الكتب التى تتناول هذا العلم، تنوعت قراءاته فى مجال الرعى والمراعى، بعدما أنهى دراسته فى الخارج عاد إلى بلاده فأرسلوه إلى قبائل الماساى ليعلمهم فنون الرعى الحديثة المتعلقة بالأبقار، وأرسلوا معه شخصا يساعده، غادر سيد المراعى دار السلام متجهًا إلى أروشا، أثناء هذه الرحلة الطويلة الشاقة كان يفكر فى المعاناة التى سيواجهها فى التعامل مع الماساى، فقد قرأ عن حياتهم ورفضهم لكل محاولات التحديث فى نظم حياتهم، فقد فشلت كل الخطط التى وضعت لذلك، تداعت الأفكار فى عقله، وكلما جاءته فكرة لكيفية التعامل مع هؤلاء القوم انصرف عنها لعدم جدواها، فهؤلاء الناس مازالوا يعيشون حياة العصور القديمة، وهو يريد نقلهم لحياة القرن العشرين، لم يرد أن يستريح فى الطريق حتى ولو فى مدينة أروشا، فكيف يستريح وهو مكلف بعمل قومى هام مثل هذا؟ دخلا فجأة فى سهل من السهول ملىء بالحشائش الطويلة تتباعد أشجاره بمسافات شاسعة، أمضيا ليلتهما فيه حتى دخل صباح اليوم الأول لهما فى هذه المنطقة، لم ير نجعًا واحداً أو عزبة مقامة حتى ولو بالطين ! اشتدت قسوة الرحلة عليهما، فالحشائش طويلة والأشجار متباعدة لدرجة أنهما لم يستطيعا الوصول بسهولة إلى ظل يحتمون به من حرارة الشمس القاسية، مر عليهم اليوم الثاني، واليوم الثالث ولم يهتديا إلى أية مباني تدل على وجود حياة فى المنطقة، تحدثا كثيراً فى كل شىء حتى نفذ الكلام، حتى أفكاره وتعاليمه التى كان يصدرها إلى مساعده قد توقفت أيضا، كاد أن يفقد الأمل فيما جاء من أجله، لكن لحسن الحظ ! قبل أن

يغير وجهته عائدا من حيث أتى رأى أحد النجوع على مرمى البصر، سابق الريح متجهًا إلى هذا النجع، أخذ يجرى سريعًا بدون إحساس بالحشائش الطويلة أو الأشواك المتناثرة فى الطريق، كان هدفه الوحيد هو الوصول إلى هذا النجع، وصلا فجأة إلى نهر، ولم يكن هذا النهر عائقًا بالنسبة لهما، فهدفهما الأكبر هو الوصول إلى هذا النجع، اندفعا فى النهر كالبغال بدون تفكير فى عمق المياه فى هذا النهر، ظلا يسبحان حتى وصلا إلى هذا النجع، وجدا بعض الشيوخ جالسين، ذهبا مباشرة إلى هؤلاء الشيوخ وألقيا عليهم التحية على الرغم من المياه التى تغمر ملابسهما، فقد قررا أن يبدءا العمل الذى حضرا من أجله مباشرة.

بعد التحية ، قدم نفسه ومساعده إلى هؤلاء الشيوخ، أخبرهم أنه مرسل إليهم من الحكومة لكى يعلمهم الطرق الحديثة للرعى، لأن وسائلهم البدائية فى الرعى دمرت البيئة، وأصبحت أهم عوائق التنمية فى البلاد، لعدم التزامهم بمنطقة محددة لرعى مواشيهم، وهذا الترحال وراء المراعى والعشب يحرم الأطفال من التعليم نتيجة لعدم الاستقرار، شرح لهم أن طرق الرعى الحديثة لا تحتاج إلى مراعٍ كثيرة، وأخذ يشرح لهم أهمية الوحدات البيطرية وتوفير الأدوية للحيوانات.

ظل هؤلاء الشيوخ جالسين فى أماكنهم لم يتحركوا، وعندما انتهى من إلقاء محاضرته الأولى شعر أنه قد نجح فى إقناعهم فأخذ يهدأ ويستريح، شكر هؤلاء الشيوخ على حسن استماعهم وعمق تفكيرهم، وطلب منهم توجيه أية أسئلة فى هذا الأمر، ظلوا صامتين وكأنه الصمت الذى يسبق العاصفة، وأخيرا أخبره أحدهم أن لديه سؤالا، عندما سمح له بالتحدث وقف الشيخ سائلاً : أيها الشاب، لماذا لم تستخدم المعبر

الواقع على النهر عندما جئت إلى هنا جريًا، ولم تتبع طريق الوصول الذى نعرفه جميعًا؟

ارتبك سيد المراعى، وسأل أى معبر؟ أخبروه ، عما إذا كان لا يعرف شيئًا عن المعبر، أو عن طريق الوصول إلى قوم فكيف تدعى معرفة حل مشاكلهم؟ "

قالت تيريزا :

- إلى هنا انتهى حديثى، لقد نجحت، أليس كذلك؟

تبسم الجميع، لكن ليس هناك ما يضحك فى هذه الرحلة، لام يقين تيريزا، وقال إن هذه القصة لم تؤلفها تيريزا، صدقت تيريزا على كلام يقين وقالت إنها قد قرأت هذه القصة فى إحدى الصحف، لكنها كانت قصة حقيقية وليست بها أية مبالغة.

قال يقين :

- إذا كانت هذه القصة كما تقولين فهى ليست قصة لأنها واقعة حدثت بالفعل، وبناءً على هذا الكلام بدأت مناقشة بين يقين و تيريزا عن أسس كتابة القصة.

قالت تيريزا :

- ليست هناك قصة غير واقعية، اقتنعت أن القصة يمكن أن تبنى على الخيال ولكن داخل هذا الخيال نتناول أمورًا حقيقية ليست خادعة، استمرت المناقشة فترة طويلة و زامبى يراقب الأمر فى صمت.

أخيرًا قال زامبى مقاطعًا :

- إننى أوافق على فوز تيريزا، ماذا تعرف أنت يا يقين عن الأدب؟ فأنت حتى البارحة لم تكن تجيد فن المزاح، وكلما تقابلنا سوياً منذ أن وصلنا هنا وأنت تتحدث في موضوعات جافة ليس لها طعم ولا رائحة، وتأتى اليوم وتناقش شخصاً درس الأدب وتخصص فيه؟ دعك من سلوك ميرتون في ادعاء معرفة كل شيء بينما أنت لا تعرف أى شيء.

ضحك الجميع، فقد أصبح اسم ميرتون بالنسبة لهم رمزا لكل شيء غير معقول، استرسل زامبى فى الحديث، موضحاً لصديقيه إن مشكلة سيد المراعي ما هي إلا ميراثٌ لأيام كثيرة سابقة في حياة معظم الدول الأفريقية ، وأن هذا الميراث يتمثل فى ثقافتنا الأفريقية، فلقد فشلنا فى التعامل مع هذا الميراث.

كان صوت زامبى ووجهه يدلان على عمق تفكيره، أخذ يحدثهما عن مشكلة منطقة ألجورو التى تحدثت عنها تيريزا، ظهرت هذه المشكلة خلال الخمسين عاماً الماضية، فمشكلة سيد المراعى تتمثل فى معرفته الكثير عن الحيوانات والمراعى دون أن يعرف شيئًا عن الشعب الذى سوف يتعامل معه ويحاول حل مشاكله.

هكذا كان علماء الزراعة فى عهد الاستعمار، كانوا يعرفون كل شيء عن الزراعة، لكنهم لا يعرفون شيئا عن أراضينا الأفريقية، كان يجبرون الفلاحين على ترك الزراعة على الخطوط المتدلية على الجبال، فقد كانوا يدعون أن الزراعة بهذه الطرق تتنافى مع كل الأسس العلمية للزراعة مما يتسبب فى تدمير التربة، رفض أهل منطقة "ألجورو" هذه الادعاءات، كما رفضوا الشروط التى وضعها هؤلاء

العلماء، فرض العلماء الطرق التى يرونها مناسبة للزراعة فى أرض لا يعلمون عنها غير القليل.

اتبع الفلاحون هذه الأسس الزراعية وهم مرغمون على ذلك، جاء فيضان كبير فى ذلك العام مما أغرق كل الأراضى التى زرعها الفلاحون رغماً عنهم، من هنا اكتشف العلماء أن تمسك الفلاحين بزراعة الكثبان الممتدة على سفوح الجبال نابع من معرفتهم بظروف الأمطار فى بلادهم ، وأنه لابد للمرء أن يعد المجارى المائية مسبقا حتى يتجنب الخسارة المفاجئة كما حدث.

سكت زامبى قليلاً ثم ختم كلامه بقوله :

– تلك هى المعرفة التى اكتسبها الكبار منذ قرون عديدة، لكن الذى نسمعه كل يوم عنهم أنهم دجالون، لا يعرفون شيئًا ، من سماتهم الكسل، هم سبب المجاعة والمآسى التى نعيشها، فهم يسبون أجدادنا ووالدينا ! هل رأيتما ! حتى ميرتون يفعل ذلك، وكذلك فعل والده من قبل، أنت يا يقين، هل تستطيع أن تقول عن والدك إنه جاهل لأنه لم ير باب المدرسة؟

تأثر يقين و تيريزا بهذه الحديث الذى رواه زامبى وشعرا بشىء من الخوف، لكنهما قد ازدادا ثقة بالنفس وانتماءً إلى أصولهما، شعر يقين وتيريزا أنهما مازالا لم يفهما جيداً ما فى أعماق زامبى، ففى جعبته الكثير عن أمور كثيرة، فالشىء الذى يعرفانه أن زامبى واضح جلىٌ كالنهار المشرق، كلماته مشرقة كأشعة الشمس المنتشرة هنا وهناك

تضيء الوجوه وتسر القلوب، يفعل ما في وسعه ليضحك من حوله من أصحابه، في نفس الوقت تشعر به وكأنه مثقل بالهموم، فهناك أشخاص مهما كانوا مثقلين بالمتاعب والمشاكل إلا أن الابتسامة لا تفارقهم، فهو يتألم ولكنه لا يُظهر ألمه لغيره أبداً، تدل أحاديثه على خبرته في الحياة وكأنه عاش أكثر من سبعين عاماً.

جلس كل منهم في صمت تدور في عقله أفكار كثيرة، وبينما هم كذلك سمعوا فجأة صوت ميرتون وهو ينادي، وعندما استداروا للخلف وجدوا ميرتون وزوجته جلوريا وبصحبتهما أيوكا، وقف الجميع وحيا كل منهم الآخر، سأل يقين أيوكا هل كان مسافراً في الفترة الماضية لأنه لم يره منذ عدة أشهر، رد عليه أيوكا بأنه لم يسافر ، لكنه كان مشغولا بالمذاكرة التي منعته من الخروج للتنزه ومقابلة الأصحاب.

رحب يقين وزامبي بميرتون ومن معه ليجلسوا سوياً، جلسوا وبدءوا في الحديث، لكن طوال فترة الحديث وميرتون صامتٌ لم ينطق بكلمة، وفجأة طلب ميرتون أن يختلي بيقين ليتحدثا في أمر سري، وطلب الإذن من الآخرين ليسمحوا لهما بذلك.

ابتعد ميرتون ويقين عن الحاضرين، سارا مسافة دون أن يتكلما كلمة واحدة، وتوقفا عندما وصلا إلى مكان بعيد كي لا يسمعهما فيه أحد، ليس في هذا المكان من أحد غير طفلين أوروبيين يلعبان بالكرة.

أبدى ميرتون عدم راحته، لكي يبدأ كلامه نظر إلى الطفلين ثم قال :

- إن هؤلاء الأطفال يذكرونني بعدم إنجابي أطفالاً حتى الآن، لكن عدم الإنجاب متفق عليه للتخطيط للمستقبل، فعندما أنجب أطفالاً لابد

أن أعلمهم لعب الكرة، فأنا مشجع كبير لفريق يانجا، لم تفتنى أية مباراة لعبها هذا الفريق وأنا فى دار السلام.

لم يتحدث يقين مطلقًا فى هذا الأمر، كان يستنكر فى نفسه هذه الطريقة فى بدء الحديث، وفى نفس الوقت كان يفكر فى أى شىء يريد أن يتحدث ميرتون معه بعيداً عن الآخرين؟

أخذ يقين ينظر فى عيون ميرتون ليستبين ما يدور فى عقل ميرتون ثم سأله قائلاً :

– والآن ماذا تريد يا أخ ميرتون؟

بعد صمت قصير، تكلم ميرتون بصوت منخفض وهو ينظر جانبا، ووجهه ينم عن تفكير عميق :

– يقين ! هل تعلم أنك الشخص الوحيد الذى تقابلت معه هنا ولم نختلف أبدا، ونحن متفقان فى كل شىء؟ وليس هذا الاتفاق هنا فقط، بل منذ أن كنا فى الجامعة ومعنا زوجتك لم نختلف على شىء، ولم نتشاجر معا ولو لمرة واحدة.

هدأ ميرتون لفترة حتى تصل كلماته إلى عقل يقين، وسكت يقين أيضًا ولم ينطق بأية كلمة، ولم يُبد أى دليل على معرفة ما يقصده ميرتون، لكنه تأكد فى نفس الوقت أن ميرتون يريد من وراء هذه المقدمة مساعدة ما.

استرسل ميرتون قائلاً :

– من حسن الحظ أننا تقابلنا هنا، لأنني كنت أنوى أن أزورك أمس، استدار ونظر في وجه يقين وقال :

– هناك أمر أريد أن أحدثك فيه ولا أدرى ماذا سيكون رد فعلك؟ هذا الأمر يتعلق بصداقتك بزامبي، أنت تعرف أن زامبي مغرور جداً، بسبب دراسته المتقدمة أكثر منا، وكما تعلم أنه دائما يذكر وطننا بالسوء، وقد سمعت أنه يكتب مقالات في محاضراته يدعى فيها وجود مشاكل في وطننا، فهو ينشر غسيلنا القذر أمام الناس، وأنا أعرف النظام الداخلي لبلدنا ! ولسنا في حاجة لنشر مشاكلنا، أنا أريد إبلاغك أنت لتحذره بنفسك من عاقبة أعماله، أنصتا إلى واسمعا نصائحي، فأنا على علاقة بكبار القوم وأعرف عنهم الكثير وأنا على استعداد لأعرفكما بهم، بدءا من رئيس الحزب والأمين العام وبعض قيادات الحزب والحكومة، والعلاقة بيني وبينهم طيبة للغاية، أول أمس، عندما حضر رئيس الحزب إلى لندن، بعدما قرر ألا يخوض الانتخابات على مقعد رئيس الحزب مرة أخرى، استدعوني لأناقش معه بعض الخطط المتعلقة بإنعاش الاقتصاد الوطني، وتجولنا سوياً في عدة أماكن وما كان من الصعب أن أخبره عن زامبي وما يفعله وعلاقتك معه.

تمنى يقين أن يضحك ولكنه منع نفسه، فإنه لم ير شخصاً يخرج منه مثل هذا الكلام الفارغ دون أن يشعر بالخجل أو الحرج، فهو يعرف أنه عندما جاء رئيس الحزب إلى لندن اجتمع بكل الطلاب المبعوثين هنا، والآن يأتي الأخ ميرتون ويقول إنه استدعاه بمفرده؟ ومع ذلك لم يحاول يقين مجادلته، وأنهى الحديث بقوله إنني سمعت كلامك وسوف أفكر فيه.

استرسل ميرتون :

– أنا أحترمك يا أخ يقين لأنني أعرف أنك نو عقلية رزينة، وهذا ليس رأيي أنا وحدى ولكن هذا أيضا رأى الزملاء الذين يدرسون معك، ومن هنا أنا أريد أن أنصحك بكلامى هذا، لكن صديقك زامبى ! لقد سمعت أنه يقوم بتشويه اسمى بين الناس هنا ! فهو يقول إن الوظيفة الهامة التى أتولاها فى بلدنا ما هى إلا افتراء لا أساس له من الصحة، وهو يدعى أيضًا أننى أخدع أيوكا عندما وعدت بمساعدته لتكملة دراسته فى الجامعة بدار السلام، ألم يعلم أننى صديق شخصى لوزير التعليم ورئيس الجامعة ! دعه سوف يعرف قيمتى فى الدولة فى يوم ما، لكن لن أنسى أبداً كلامه فى حقى، وللعلم فإنه إذا استمر فى كلامه هذا فسوف يؤذينى، وبالمناسبة، هل تعلم أن بتريسيا صديقتى؟ أم لا تعرف أنها صديقتى؟

قال يقين مستعجباً حينما أراد أن يجيب على هذه النقطة :

– أنا لا أعلم ما بينك وبين بتريسيا، فمتى بدأت صداقتكما ؟

ابتسم ميرتون مغتراً ثم أجاب :

– منذ أن وصلت إلى هنا، ندرس سويا فى فصل واحد، لكننى لا بد أن أخفى هذا السر حتى لا تكتشفه زوجتى، و مازلت مستمراً معها فى هذه الصداقة، وهى حتى الآن ترسل لى خطابات من البرازيل، وإننى أنتظرها على شوق حتى ترجع من إجازتها.

سيطر المزاح الممزوج بالسخرية على قلب يقين، وقرر أن يدخل مع ميرتون في الحديث بنفس أسلوبه الذى تعوده معه عند لقاءاتهما معًا فقال :

– يا ه ! يا صديقى، لقد أدركتَ الحقيقة ! والآن ماذا تريد منى أن أفعل هنا ؟ ربما يكون زامبى على علم بهذه الأخبار، ولكنه لا يريد أن يخبرنى بها، وربما تكون صداقة زامبى معى بسبب إقامتى مع بتريسيا فى منزل واحد، وربما يأخذنى ستاراً لمقابلتها، والآن يرى أنه لكى يفوز بها لابد من تشويه اسمك، وهذا بالنسبة له فوز عظيم، ولابد أن نخرج له الكارت الأحمر ونكلمه ! فيكفيه ما فعله !،، أه ! هذا الكلام أسعد ميرتون، فرفع عصاه ووضعها على كتفه وكتف يقين وضحكا سويًا، فرح ميرتون جدا من رد فعل يقين، فلم يتخيل أن محادثته مع يقين سينتج عنها رد فعل مثل هذا.

قال ميرتون :

– أعتقد يا يقين أنك تعرف أين تكمن الحقيقة، منذ أن وصلنا إلى أوروبا، متى سمعتَ أن زامبى له فتاة ؟ كان ينام كل يوم فى البرد، حتى أنت قد فقدت متعتك بما هو متاح بسبب اتباعك لزامبى، والآن عندما قابل بتريسيا رحل بها إليك لأنه علم أن لديك زوجة، على قدر استطاعتك، حذره سرا ! فكلامه الذى قاله هنا وهناك وتصرفاته ليست فى صالحه.

انتهى كلامه وختمه بنصيحة ليقين أن يفكر جيدًا فيما قاله له، يقين نفسه أكد على كلام ميرتون بقوله أن أمراً هاماً مثل هذا من الأفضل له أن يكون فى السر، ورجع الاثنان يضحكان، وانضما إلى مجموعة الأصدقاء واشتركا فى المحادثة التى كانت بينهم فى المجلس.

بعدما تنزهوا فى الحديقة، شاهدوا بعض الشباب الأوروبيين مستلقين فى الشمس، والبعض الأخر يلعبون ألعابا مختلفة، استأذنوا من ميرتون و جلوريا وأيوكا واتجهوا فى طريقهم إلى منزل يقين، بينما هم فى الطريق روى يقين لزامبى وتيريزا ما دار بينه وبين ميرتون فى الحديقة، واختتم كلامه قائلاً :

– لا يوجد أشخاص مثل ميرتون حتى فى القصص الخيالية، والآن أعترف بأن الحكاية التى روتها تيريزا قصة متكاملة الأركان.

وهنا ضحك الجميع من أعماقهم.

عندما اقتربوا من المنزل قال يقين فى نفسه :

– إن ميرتون رجل مجنون، وجنونه من جنون الكلاب، لكن مجنوناً مثل هذا يمكن أن يشكل خطراً على الجميع فنحن نعيش دائمًا مع أشخاص من نوعيته، ومن المهم جداً أن نعرف طريقنا جيداً أين ومتى نذهب وأين ومتى نعود، فإذا تركت الكلام الذى قاله بخصوصى، فماذا عن افترائه على بتريسيا ! لا يمكن لفتاة مثلها أن تكون صديقة لمثل هذا المعتوه، ليس هنا من الروابط التى تربط بينهما، أظن أننا لسنا بحاجة أن نبلغ بتريسيا مثل هذا الكلام البذىء، وقد نضار بالتفكير فى مثل هذا الكلام الردىء.

وصلوا جميعا إلى المنزل، أخذت تيريزا تلوم زامبى لأنهم لم يتذوقوا الطعام الذى يدعى أنه يطبخه منذ أن تقابلوا سوياً، وكذلك زامبى أخذ يلوم أولئك النساء اللاتى يسمحن للرجال أن يدخلوا المطبخ ليتعلموا ما تخصصت فيه السيدات، هذا الكلام أضحك الجميع، وتناول زامبى أوانى الطهى واتجه إلى المطبخ، وهناك ادعى أنه لا يجيد الطهى فى بلاد الغربة !

الفصل الخامس

بتريسيا توريز

تحرك زامبى نحو زوجته أم صادق ليمسك بيديها ثم نظر إلى أسفل وقال :

- أعتقد أننا قد أخطأنا بعدم إخبار بتريسيا بما زعمه ميرتون بوجود علاقة بينهما.

غير الجميع طريقهم متوجهين إلى مسكن زامبى، بدأ الظلام ينتشر ببطء فى المكان، شعروا بنسمة من الهواء البارد تنعش قلوبهم، ذكرهم هذا الانتعاش بأوروبا ومناخها، شعروا بالفرق بين الحياة فى بلادهم والحياة فى أوروبا، فقد التقوا جميعًا للمرة الأولى هناك، وبنوا صداقتهم لتطمئن نفوسهم فى بلاد الغربة، وبها تصير حياتهم طيبة إلى حد ما، إلا إنه قد ظهر من حولهم بعض الأعداء الذين يهددون هذه الصداقة، هؤلاء الأعداء أرغموا الأصدقاء على إعادة النظر فى نمط حياتهم، مما جعلهم يفكرون فى مواجهة هذه العداوة.

ردت تيريزا على ما قاله زامبى قائلة :

– تذكر يا زامبي أنك قلت إن ميرتون مصاب بجنون الكلاب، فهو مسعور، وربما إذا أخبرنا بتريسيا بما قاله ميرتون لن يغير من الأمر شيئا وربما تزداد الأمور سوءا، والكلب عندما يكون مسعوراً لا يبقى على شيء.

قال زامبي :

– هذا من الممكن حدوثه ، لكن لابد أن نأخذ حذرنا ، فماذا نفعل من أجل ذلك ؟

رد زامبي على نفسه :

– لا يمكن أن نأخذ أي نوع من الحذر الآن، فما نخافه على بتريسيا لم يقع بعد ، فلنذهب إلى المنزل أولاً ثم لنناقشْ كيفية مواجهة هذا الأمر.

اقتربوا من بيت زامبي ، قال زامبي :

– لقد تأخر بنا الوقت، لابد أن تتناما هنا حتى الصباح ونستيقظ مبكرين ويذهب كل منا إلى عمله ، عارضه يقين قائلاً :

– دعك من ذلك، سوف نأتي غداً! لا يمكننا أن نترك منزلنا ليلاً، فاللصوص ينشطون في منطقتنا.

ضحك زامبي ساخراً ثم قال :

– لا تزعجنا بمزاحك هذا! ماذا لديك لتخاف عليه من السرقة ؟ وكيف ستعود الآن ؟ ألم أنصحك بشراء سيارة لزوجتك ونحن في أوروبا، ولم تسمع نصيحتي ؟ فما رأيك الآن ؟

ضحكت تيريزا ثم قالت وهى تمزح :

– يقين أنت ترى أننا فقراء جداً، أليس كذلك ؟

ضحك زامبى ثم قال :

– فلتسامحانى! سوف أخبر جيرانى فى المكتب أن يعطونى سيارة العمل كى أذهب بكما إلى بيتكما فى الزيارة القادمة.

استأنف زامبى كلامه :

– لكن كان لابد حقا أن نشرح لبتريسيا ما حدث، أو حتى نحذرها إذا كان ما قاله الأخ ميرتون حقيقياً، فأنا أعتقد أن المشاجرة التى وقعت بيننا وبينه كان سببها هذه المشكلة.

قال يقين وهو يشعر بالذنب :

ربما لو لم أكن قد بُحت بهذا الكلام لكما، واعتبرت ما قاله ميرتون من قبيل الخيلاء على هذه الفتاة ما كنا تعرضنا لما نحن فيه الآن .

تدخلت أم صادق فى المزاح ونظرت إلى زامبى ثم قالت :

– أنتم تتحدثون عن أشياء تُعتبر ألغازا بالنسبة لى، فالبعض منا لم يكن معكم فى أوروبا، فلو كنا معكم هناك لانهار البيت الثانى لزامبى هنا. يقين: سمعت أنك الوحيد الذى تعرف ما حدث لتلك الفتاة، فهيا أخبرنا بما حدث!

دخل الجميع المنزل ثم جلسوا، قاطع زامبى أم صادق بقوله :

- ألن نأكل اليوم ؟ لماذا تريدين الكلام فقط ؟ هل تعتقدين أن هؤلاء الضيوف سوف يغادرون بيتنا بدون عشاء ؟

قالت أم صادق لزامبى :

- أتريد أن تثبت اليوم أنك غير مستغل ؟ أتريد أن تخدع يقيناً بأنك لا تستأجر خادمة ؟

استدارت إلى يقين وتيريزا ثم أخبرتهما :

- عندما تحدثوننى عن أحوال ميرتون وأكانييه، لا أجد فرقًا بين ما تقولونه وبين ما نفعله نحن، فنحن لدينا فتاة تعمل هنا، ترعى صادقًا وتطهو لنا الطعام عندما نكون فى العمل، والآن يخفى عنكما ذلك ويريدنى أن أطهو.

نظرت إلى زامبى وصاحت بالضحك،أليس هذا زيفا!

استمر الضحك وزامبى يدافع عن نفسه بأنه اعتقد أن الفتاة قد ذهبت لقطع بعض الذرة، ولم أتخيل أنها ستعود مبكرة، لكن هذا الرد لم يثن أم صادق أن تفند كلامه، قائلة بأنه يعلم جيدا الساعة التى ستعود فيها الفتاة، لأنه يعلم كم من الوقت تستغرقه تلك الفتاة فى قطع الذرة باستخدام الماكينة، وقد تركت أم صادق رسالة للخادمة مع صادق تبلغها بوجود ضيوف لدينا.

خاطبهم زامبى لائمًا :

– لقد لمتنني بغير حق، ألم تخبرنى يا يقين بأن ماركس أكبر المعارضين للظلم والاستغلال فى العالم كانت له خادمة تلازمه فى بيته طوال حياته، أليس كذلك ؟

فأجابه يقين :

– نعم، وهذه ليست فرية، ألم تخبرنى عن قصة الشيخ المسلم الذى كان يدافع عن الإسلام وتعاليمه بصدق وإخلاص، إلا أنه قد شرب الخمر مرة واحدة فقط، ثم تاب بعد ذلك فغُفرت له هذه المرة، أو قصة النبى داوود الذى ظل نبيا لله على الرغم من بعض ذنوبه، حتى بطرس الذى تذبذب إيمانه حتى أنكر النبى عيسى ثلاث مرات، ومع ذلك ظل واحدًا من الرسل، ليس هناك إنسان تام أو كامل فى الأرض ولا فى السماء، كما لا تتساوى كل المخلوقات فى صفة واحدة، فنحن فى هذه الدنيا تجد منا الفقراء ومنا الأغنياء.

وقف زامبى يقلد رجال الدين فى مواعظهم ، وبدأ كأنه أحد مبشرى الكنيسة وقال :

– آمين! إننى أقول : إن مرور الجمل من سم الخياط أسهل بكثير من دخول الغنى فى رحمة الإله، وحينئذ تذرف أعينهم الدمع ندمًا على عدم إنفاقهم فى الخير.

استمر الجميع فى الضحك حتى انتفخت وجناتهم ، وقبل أن يهدءوا استرسل زامبى مقلدًا أحد شيوخ المسلمين ، فقال :

- أيها الأخوة المسلمون إن كلمة أخ بالنسبة لنا لا تعنى الأخوة فى الدم، فإذا كان أخوك من والديك ليس مؤمنًا بما أُنزل على النبى محمد، فهو ليس أخاك على الإطلاق ، لأنه قد فقد أخوته لك وأصبح جزاؤه جهنم، لكن ثواب المؤمن هو الجنة التى تسر الناظرين إليها حيث يلتقى فيها المؤمنون بالملائكة ، وهم يحيطون بالمؤمنين لتلبية طلباتهم، وكل ما حُرم منه المؤمن فى الدنيا سيجده فى الآخرة.

هدأ زامبى قليلاً حتى ينتهى الأصدقاء من ضحكهم ثم استأنف حديثه مازحًا :

والنساء لن يدخلن الجنة، فهى لنا نحن الرجال فقط ، وهناك سوف نتزوج من نساء جميلات تكتمل عندهن كل صفات الأنوثة، نساء تحطن بنا فى كل وقت، نتنسم عطرهن ونتمتع بسماع أصواتهن وهن ينشدن لنا الأغانى الناعمة، هيا يا يقين احكِ لزوجتك ما تتميز به بتريسيا من سمات عجيبة.

تأثرت تيريزا بما قاله زامبى فبدأت ترد عليهما بقولها :

كيف ! إن النساء فى هذه الدنيا هن الفئة المضطهدة بين الناس، فإذا نظرنا إلى مجتمعنا ، نجده مليئًا بالوقائع والقصص التى لا تبيح اضطهاد المرأة فحسب، بل تبيح اضطهاد الفقراء أيضًا، هذه القصص تمتد جذورها فى معتقداتنا الموروثة من قديم الزمان، ومن بين ما تحويه هذه القصص من السخرية والتفرقة العنصرية التى يمارسها الأوروبيون

ضد الأفارقة، وهناك الكثير من الحكايات التى تابعت هذا الاضطهاد منذ سنوات كثيرة، وأعتقد أن ما حدث لبتريسيا ما هو إلا نموذج لهذا الاضطهاد، وعلى الرغم من المعاناة التى تعانيها المرأة فى هذا العصر إلا أن لكل شىء نهاية!

استدار يقين إلى تيريزا ثم غمز لها بعينيه ثم قال بصوت بشوش :

– إياكِ أن تعلنى التمرد والعصيان عندما نعود إلى المنزل!

قالت تيريزا :

– لن أفعل ذلك ! ولكن طالما ذكرت التمرد والعصيان، فتذكر ما حدث لبلادنا فى السبعين عاماً الماضية ! فالتاريخ أقوى دليل، وذلك ما تعلمناه طوال حياتنا! فهل قرأت فى الكتب أو سمعت فى الإذاعات عن قصص يروى أو يقدم برنامجاً لتمجيد الأبطال الفقراء المجهولين مثل الشيخ ماجيكوندو ؟ لا تذكرنى بما حدث فى تلك الأيام التى مضت!

كان زامبى وزوجته ينظران إليهما، وقد شدتهما المحادثة التى كان زامبى السبب فيها.

أخذت تيريزا تروى ما حدث لها عندما كانت فى الجامعة :

– ما تقوله الآن فى حق المرأة ليس سبباً على الإطلاق، فقد صرخت أمى عندما علمت أننى قد طُردت من الجامعة، ولكنها قد تفهمت الأمر بعد ذلك.

فقد رجعت تيريزا إلى قريتها مباشرة بعد طردها من الجامعة، وظلت هناك حتى سمحوا لها بالعودة إلى الدراسة، لم تمض فترة وجودها في القرية سهلة، بل واجهتها صعاب كثيرة، هذه القرية التى نشأت في حضن جبل ألجورو ، فكلما مر عليها الملأ من أهل القرية يتغامزون عليها، فهم يعتبرونها من المثقفين الذين لا يعيرون القرية اهتماماً، وهى كسيدة يُنظر إليها نظرة ظالمة من معظم القرويين، فهم يتساءلون : كيف يمكن لفتاة أن تشترك فى مظاهرات ضد نظام الدولة ؟ وكلما مرت فى مكان بالقرية تلاحقها نظرات أهلها، شعرت كأنها غريبة فى قريتها، فمن وجهة نظر أهل القرية أن المرأة لا يحق لها أن تشترك فى هذه الأمور التى يقوم بها الرجال.

أخذت تسأل نفسها :

- أليست المرأة إنساناً مثل الآخرين ؟

تصفحت ما يتوفر لديها من قصص فوجدتها تمثل المرأة كشيطان، وبسبب هذا فقد عانت كثيراً وتحملت ما لم تتحمله امرأة أخرى،

كالعادة، كانت تعود إلى قريتها أثناء الإجازات المدرسية، وكانت تلتقى مع زملائها طلاب المدارس الثانوية أثناء وجودهم فى القرية، كان طلاب الثانوى يشكلون مجموعة متميزة بين الشباب فى القرية، وكان آباء هؤلاء الطلاب يتفاخرون بهم بين زملائهم، ويبنون عليهم الكثير من الآمال عندما يصبحون قادة البلاد فى المستقبل ليرفعوا من شأنهم

ومن مستوى معيشتهم، فمن ذا الذى لا ينظر للعلم على أنه مفتاح الحياة المستقرة ؟ هؤلاء القرويون البسطاء لم يكن لهم أمنية سوى تخرج أبنائهم فى الجامعة والعمل لتحمل جزء من الأعباء المعيشية.

حقيقة، لقد تحسنت الأحوال المعيشية لبعض هؤلاء الآباء، فقد شيدت بعض المنازل بالخرسانة المسلحة بدلاً من الطين، وبدءوا يرتدون الملابس الجديدة والنظيفة فى أيام الآحاد عند ذهابهم إلى الكنائس، لكن تحسن الظروف المعيشية يشعر به الرجال دون النساء، وهذه الملابس الجديدة يرتديها الرجال فقط، فلم يتغير مستوى معيشة النساء مطلقاً.

تيريزا متويزا هى البنت الوحيدة لوالديها، كانت السند الوحيد لأمها، توفى والدها بعد الاستقلال بسنوات قليلة، بينما كانت تيريزا فى إحدى المدارس الداخلية، توفى الشيخ متويزا بعدما أصيب بالاكتئاب من سوء أحوال البلاد، كان أهل والدها يعملون فى الحدادة وطب الأعشاب، كانت أسرتها تمثل أهمية كبرى لأهل القرية التى يعيشون فيها، فهى منبع العلم والثقافة المتنوعة التى تحتاجها القرية، فقد كان أهل القرية يطلبون مشورتهم فى أمور الزراعة ورعى وتربية الماشية ومواعيد نزول المطر وغير ذلك، لكن هذه المكانة التى احتلتها هذه الأسرة بدأت فى الانزواء بعد دخول المستعمرين فى هذه القرية.

كان جد تيريزا من بين الذين عاصروا الاستعمار من بدايته، فقد ظل طوال حياته فى مواجهة الاستعمار الذى يريد أن يقضى على الموروث الثقافى الأفريقى ، فقد حاول الاستعمار بشتى الطرق، بالجهد

والمال واختلاق الأكانيب أن يقضي على الثقافة الأفريقية الأصيلة، ويتهم الأفـارقـة بالوثنيـة والتـخلف الذى يعـوق الخطط التنمـوية التى يزعم المستعمرون القيام بها فى البلاد.

كان لجدها الدور الأساسى فى إيقاف حرب الماجى ماجى عندما ذهب إلى منطقة أُتمبوى تلبية لدعوة كينجكيتيلى نفسه، لإبطال مفعول سحر المياه التى كانت السبب فى الحرب، ولا عجب فى ذلك لأنه على دراية تامة بما يبطل السحر ويجلب الحظ والوقاية من سوء الحظ وغير ذلك، نبعت هذه المعرفة من خبرته لسنوات طويلة فى هذا العمل واكتشافه العلاقة الطيبة التى تربط الإنسان بالبيئة التى يعيش فيها.

اهتزت مكانة جدها بقوة مع دخول الاستعمار، وتحول أهل قبيلة متشابى إلى المسيحية بفضل المبشرين الذين دخلوا مع الاستعمار، هذا التحول قد زلزل منطقة ماهينجى بأكملها، اشتعلت الحرب بين المعتقدات القبلية والمسيحية، انضم أهل متشابى إلى الجمعية المسيحية التى أنشأها المبشرون لمحاربة المعتقدات والثقافة الأفريقية ووصفها بالوثنية، قامت هذه الجمعية على أسس مسيحية، بدءوا بالزراعة، واستأجروا الكثير من الناس للعمل فيها، عملوا بالتجارة مثل الهنود والعرب، زعموا أمام الأفارقة أن هذه الزراعة والتجارة ناتجة عن البركة التى أمدهم بها إيمانهم بالمعتقدات الجديدة، قالوا إن الإنسان لا يمكن أن يوفر الحماية لنفسه أو لغيره دون اتباع معتقداتهم والابتعاد عن المعتقدات الموروثة عن الأجداد، رفضوا بشدة نظام القرابين الذى تتبعه القبائل فى منطقة ماهينجى.

طلب أهل منطقة متشابى التى يقيم فيها جد تيريزا من المبشرين أن يعلموهم طرق الثراء السريع، وقالوا للمبشرين إنهم لا يعلمون أن السحر الذى يقوم به بعض الناس كان ضد مصلحة المجتمع، كما طلبوا منهم أن يتركوا لهم المعدات والوسائل التعليمية للعمل بها ليلا فى تدريب أتباعهم، بالإضافة إلى الذين يتعلمون أثناء النهار، وحضر أتباع قبيلة متشابى المقيمون فى منطقة نياسالاند لمساعدة أصدقائهم فى تبنى المعتقدات الجديدة للعودة بالمجتمع إلى الأسس العقائدية السليمة.

وقف أحد زعماء قبيلة متشابى يناشد القوم بقوله لهم :

هيا يا قوم قولوا: إنكم مسيحيون !

فرد عليه جد تيريزا قائلاً :

– منذ أن جاء المبشرون إلى البلاد، تعهدوا بنشر المساواة بين الناس، وتعهدت الجمعية بمحاربة تجارة الرقيق، فزادت هذه التجارة، فهل هذه هى المساواة التى وعدونا بها ؟ وإقناعهم للناس أن دفع الضرائب للاستعمار أمر شرعى، والذهاب للعمل سخرة فى حقول الكتان الخاصة بالمستعمرين أمر حلال، فإن لم يكن ما تنادون به سحرا تتبناه الجمعية، فماذا يكون السحر بعد ذلك ؟

قبض على جد تيريزا ونفى إلى إحدى جزر المحيط الهندى، وهو نفس المكان الذى نُفى إليه الزعيم القبلى فوندكيرا زعيم قبيلة نيامويزى عندما أنفق على رعيته بالقبيلة الأموال التى كانت تجمع من الناس

كضرائب، وذلك عندما فشل فى معرفة المكان التى تذهب إليه هذه الأموال التى يحصلها الأوروبيون من الناس، على الرغم من أن الذى فعله هذا الزعيم هو الحلال نفسه.

حضر جد تيريزا أمام السيد كاميرونى المندوب السامى للاستعمار ومساعده السيد ميشيل، طلبا منه أن يتخلى عن معتقداته وما يؤمن به، كما فعل كينجكيتيلى نفسه أمام زعماء القبائل المعينين من قبل الاستعمار، فرفض أن يذعن لمطالبهم، فصدر الحكم ضده بالنفى والإبعاد عن البلاد.

استدار السيد كاميرونى إلى زعماء القبائل الحاضرين وأخذ يشرح لهم الأضرار المترتبة على هذه المعتقدات الموروثة، ولابد من الحذر من هؤلاء الذين يتقمصون دور الأنبياء كذبًا وبهتانًا.

كان للسيد كاميرونى مترجمٌ فورىٌّ يتابعه، قال المترجم على لسان السيد كاميرونى :

– نحن نمدكم بالحضارة المتقدمة، ويمكنكم الآن التفاخر بحضارتكم التى بحوزتكم، ولتسألوا أنفسكم، ولتتخيلوا وضعكم الآن بدوننا نحن الأوروبيين ! انظروا ! عندما وصلنا هنا وجدناكم تعيشون فى فوضى وصراع بين مذاهبكم الأساسية، وصراع بين زعماء القبائل والألمان، ثبتنا لكم هذه المذاهب، ولن تجدوا أية أمة فى العالم بدون حكام وسلطات، فاخترنا لكم من يحكموكم، ثم يأتى رجل مثل هذا ويريد

العودة بكم إلى الوثنية التى كنتم فيها، فيأكل الإنسان أخاه الإنسان، وتعيشون معيشة حيوانية، هذه المذاهب والمعتقدات التى يريد أن يسترجعها ما هى إلا جهل وغباء، يريد أن يستولى بها على قدراتكم ويتولى بها السلطة عليكم.

هتاف وتصفيق وضوضاء تأييداً لكلام المندوب السامى البريطانى. استأنف المترجم كلامه :

- قدمنا لكم أسس الأمن والسلام، وأصبح الناس يعيشون فى راحة وطمأنينة وسلام تام تحت حمايتنا، منعنا القتل بينكم، حتى قتل الحيوانات قد نظمناه، عندما تركتم الزراعة وتفرغتم لقتل الحيوانات للحصول على الطعام، دمرتم البيئة بسلوكياتكم السيئة، انظروا الآن إلى مزرعة السيدة سليوز ! فهى تمثل أداة جذب كبرى للصيادين الأوروبيين ذوى الحضارة، الذين يشتهرون برياضة الصيد! ويجيدون فن صيد الحيوانات، تلك هى الحضارة، فالحضارة ليست الانقضاض على الحيوان بطريقة وحشية، لابد من القضاء على هؤلاء الفوضويين، الذين يوظفون معتقداتهم الوثنية للقضاء على قدراتكم والسلطة التى منحناها لكم.

لم يسلم والد تيريزا أيضا من هذه المشاكل، لقد واجهت منطقته حرباً شرسة أشعلتها الحكومة بعد الاستقلال بالتعاون مع زعماء القبائل ضد المعتقدات الأفريقية الموروثة، كان من أهم المعتقدات التى يريدون القضاء عليها السحر والتداوى بالأعشاب، قد أعلنت الحكومة الحرب

على الجـهل والفـقـر والمرض، انتـشـرت حـرب الإعـلانات ضـد السـحـر والتداوى بالأعشاب فى كل مكان: فى المحاكم ، والصيدليات، والمدارس، والمحـلات التـجـارية، عُلقت الإعـلانات على الجـدران والمبـانى المرتفـعـة والأشـجـار فى الطرق السـريعـة، شـجـعت الحكومـة الرعيـة على اتبـاع الوسائل الحديثة التى تقوم على أسس علمية بدلا من اتباع أمور السحر والشعوذة التى تعوق التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد.

وصلت هذه الجمعية إلى درجة كبيرة من الاستقرار، قام الاستعمار بتنفيذ كل ما دعت إليه الجمعية التبشيرية! وأصبح هناك شباب من قبيلة ألجـورو يتبنـون أهـداف هـذه الجـمـعيـة ويحـاربون مـن أجلهـا، وذات يوم ظهرت مـوجة إيمانية جديدة على يد رجل سـاحر يدعى تشيكانجا (من منطقـة نيـازيلاند) ادعى قـدرته على عـلاج المرضى بالسـحـر والأعشـاب، وأن لديه عـلاجًـا لكل مـرض، أصـبح السـحـر والتـداوى به ممنوعا بأمر الحكومة فى ذلك الوقت، وكان يعتبر السـاحر غير مـؤمـن بما جاءت به المسيحية، ويعامل على أنه وثنى، ولعدم وجود البديل الذى يقوم بعلاج المرضى بالوسائل العلمية الحديثة التى تنادى بها الحكومة فى معظم المناطق، ذهب إليه المرضـى لعلهم يجدون العـلاج لأوجاعهم : أُرسل السـيـد مـتـويزى والد تيـريزا المريض منذ فـتـرة إلى السـاحـر تشيكانجا، رجع السيد متويزى من عند هذا السـاحر أسوأ مما كان عليه قبل الذهاب إليه، رجع مشـوه الوجـه من الحجـامـة التى أجراها السـاحر فى وجـه السيد متويزى، ظـهر وجـهه وكأنه مشـجوجٌ بسيف،

كما رجع من عنده أصلع الرأس، لم يرحم القوم مرض هذا الشيخ، عاملوه كأنه عدو كبير للمجتمع المتحضر، كلما مر على قوم سخروا منه، اعتزل والد تيريزا الناس، ولازم الفراش لمدة ثلاث سنوات كاملة، عاش خلالها فى عزلة تامة عن قومه، خلال هذه الفترة استطاع المجتمع اقتلاع جذور السحر من بينهم.

قبل موت السيد متويزا والد تيريزا أوصى زوجته وصية الوداع فقال :

– يا أم تيريزا! لقد انتهت حياتى بعد كفاحى الطويل من أجل قومى إلى لا شىء، أمواج التغيير هبت على المجتمع ولا يمكن أن توقف مرة أخرى، فكرت كثيراً فى هذه الأمور فى ثلاث السنوات الماضية التى لازمت فيها الفراش وانتهى بها عمرى، لقد تصرفنا خيراً عندما أرسلنا ابنتنا تيريزا إلى المدرسة، فإننى لن أترك لك مالاً ولا ميراثاً، لكن الشىء الوحيد الذى سأتركه لينتفع به الناس هى ابنتى عندما تكمل تعليمها فى الجامعة وتعود إلى القرية وتعلم أهلها ؛ فالحياة فى القرية تحتاج إلى العلم لاستمرارها ؛ فكل القوى التى حاربنا بها الجمعية باءت بالفشل ، وهذه الجمعية لم تف حتى الآن بما وعدت به فى خدمة أهل القرية، فالمستفيد بها هم أصحابها والمقيمون عليها، وأحلامنا بوجود جمعية كبيرة موحدة لخدمة المجتمع لم تمت بعد، ربِ ابنتنا تيريزا على هذه المبادئ !

واجه القوم مجاعة كبيرة لعدم نزول المطر لفترة طويلة، فشل القوم في استنزال المطر، على الرغم من الصلوات التى قام بها المسلمون والمسيحيون على حد سواء، هنالك تذكروا السيد متويزا بعد وفاته بعامين، اعترفوا جميعًا بمهارته فى التنبؤ بنزول المطر، أقروا بأن مهارته في ذلك تفوق مهارة العلماء القائمين على تقديم النشرات الجوية فى الإذاعة، جاء اعترافهم بهذا الرجل متأخراً جداً، ذهبوا لزوجته السيدة أم تيريزا أملاً فى قيامها بنفس دور زوجها فى استنزال المطر، رجعوا من عندها فاقدى الأمل لأنها لم ترث عن زوجها ثقافته ومعرفته المتعلقة بهذه الأمور، نتيجة لهذه الكارثة التى حلت بهم، قدروا الخدمات التى كان يقدمها لهم السيد متويزى والد تيريزا، وبناء على ذلك احترموا زوجته وابنته من بعده تقديرا لما قدمه لهم فى الماضى.

بدأ تاريخ السيد متويزى -ووالده من قبله - يخدم ابنته وزوجته من بعده، وعلى الرغم من التقدير الذى منحها إياه المجتمع إلا أن والدة تيريزا قد شعرت بالمرارة لأن هذا التقدير جاء متأخرا بعد موت زوجها، فكم تمنت أن يحظى زوجها بهذا التكريم فى حياته وقبل مماته، بدأت هذه السيدة تذوق ثمرة تعليم ابنتها تيريزا، هذه الفتاة الوفية التى كانت ترسل جزءاً كبيراً من المكافآت التى كانت تحصل عليها من الجامعة إلى أمها فى القرية، علاوة على عملها فى مدينة دار السلام خلال الإجازة الدراسية، وقبل عودتها للدراسة تذهب لرؤية أمها بالقرية وتعطيها ما يكفيها من نقود لتستعين بها فى تلبية مطالبها الأساسية فى حياتها.

عندمـا طردت تيريزا من الجامعـة شعرت الأم بخـيبة الأمل لقطع المسـاعدات التى كانت تقدمها لها ابنتها، ومما زاد فى ضيق ذات اليد أن الأرض التى تملكها وتدر عليها دخـلاً يساعد فى سير الحـياة قد جدبت وانقطع محصولها عامًا بعد عام.

سرعان ما عرف أهل القرية حقيقة طرد تيريزا من الجامعة، عندما اشتركت فى المظاهرات التى تطالب بحقوق العمال والفلاحين، فقد عرفوا أنها لم تطرد بسبب رفضها العودة إلى القرية لمساعدة الفلاحين كما ادعت البيانات الرسمية على الطلاب فى وسـائل الإعلام الحكومية فى ذلك الوقت، وقد تأكدوا من ذلك عندما شاهدوا تيريزا تستيقظ مبكرةً كل صباح وتحمل الفأس على كتفها لمصاحبة أمها إلى الحقل والعمل فيه إلى غروب الشمس.

غير أهل القرية نظرتهم الظالمة لتريزا، بدءوا يعاملونها بما تستحق من احترام، واستقرت تيريزا فى القرية طوال فترة طردها من الجامعة، وتقربت أكثر من أهل قريتها، تعرفت عن قرب على ظروف حياتهم المتواضعة فى القرية، نظرت إلى جبال أُلجورو من حولها وقد جفت الأشجار التى تكسوها، ونضبت المياه العذبة من جداولها الصغيرة نتيجة للجفاف الذى أصاب البلاد، عرفت أن قيمة هذه الجبال بما ينبت عليها من أشجار ونباتات، وعرفت كذلك التصرفات السيئة التى حدثت على أيدى تجار وأهل المدينة، الذين كانوا يقطعون الأشجار ويجهزون منها الأخشاب ليستخدمها أهل المدن فى التدفئة ، عرفت أن تدمير البيئة

التى تتهم به الحكومة أهل القرى إنما يقوم به التجار والأغنياء من أهل المدن الذين تسببوا فى الدمار الذى حل بالمنطقة.

شعرت بأن هناك ظلمًا واضحًا واقعًا على هؤلاء الضعفاء الذين تصفهم الحكومة وأعوانها بالغباء، فأصحاب هذا الرأى لا يعلمون شيئًا عن الحياة الذليلة التى يعيشها هؤلاء الناس.

أخذت تيريزا تسأل نفسها :

- ماذا يمكن أن يفعل هؤلاء الناس الذين يعيشون منذ عدة قرون بدون أية تنمية ؟ يواجهون الأخطار و الكوارث تحت سيطرة الاستعمار منذ خمسين عامًا، منذ أن تدخل الاستعمار فى شئونهم وفرض عليهم نظمًا زراعية معينة دون أن يعلم طبيعة أراضيهم، فرض عليهم زراعة مساحات تقع ضمن ممرات السيول على الرغم من معارضتهم لذلك، ولم يقتنع المستعمرون بوجهة نظرهم إلا بعد وقوع الكارثة وانهمرت السيول فدمرت كل المزارع والأراضى التى زرعوها بينما ظلت المساحات الآمنة التى كانوا يزرعونها خالية من الزراعة تسبب ذلك فى حدوث مجاعة كبرى فى البلاد، والآن يتهمونهم بالغباء !

عادت تيريزا إلى الجامعة بعدما سمحوا لها بالعودة إلى الدراسة، ولكن بعد أن عرفت الكثير عن الفلاحين وأهل القرى خلال هذه الفترة، وازدادت خبرتها ودرايتها بهم، نضج عقلها، طورت أفكارها، اكتسبت الحكمة من أهل قريتها، هؤلاء الناس الذين يعيشون على هامش الحياة، ولا يهتم بهم أحد، زادت اقتناعًا بقضيتهم العادلة.

انتهت تيريزا من سرد حكايتها، استغرقت وقتًا طويلاً فى ذلك، كان الجميع يستمعون إليها فى هدوء شديد ، تأثروا بما روته لهم تيريزا، أمعنوا التفكير فيما قالت، حزنوا لمدى المعاناة التى عانتها أسرة تيريزا، على الرغم من أنها قد ألمحت لهم ببعض هذه الظروف من قبل إلا أنهم تأثروا بكلامها وكأنهم يسمعونه لأول مرة.

جلس الجميع على مائدة الطعام، حاولت أم صادق أن تخرجهم من هذا الحزن، أخذت توجه لومها وعتابها إلى زوجها وإلى يقين فقالت :

لكنكما لم ترويا لى ما حدث مع بتريسيا! ألم تعدانى بذلك ؟

قال زامبى لزوجته :

– سوف نروى لكِ أخبار بتريسيا بعد الانتهاء من تناول الطعام، انتظرى عودة الفتاة بالبيرة التى أرسلنا فى طلبها، ثم خلود صادق إلى النوم.

انتهوا من طعامهم ورجعوا إلى الجلوس على الأريكة، وضعت أم صادق زجاجات البيرة أمامهم على المائدة، فتحوا زجاجات البيرة وبدءوا فى احتسائها، غادر زامبى المجلس بهدوء ودخل الحجرة على صادق ليطمئن على أنه قد نام، وعندما رجع إلى المجلس أعلن لهم أن البيت أصبح هادئا، ويمكنهم التحدث فى موضوع بتريسيا، ثم قال ليقين :

يا أخ يقين ! قد تهيأ المكان لك، يمكنك أن تروى لأم صادق ما حدث لبتريسيا دون أن تخفى منه شيئا، منذ أن وقعت المشاجرة فى منطقة وينشز إلى الآن.

بدأ يقين فى حكايته عن بتريسيا.

عاد موسم البرد إلى جلاسكو مرة أخرى، صاحب البرد فى هذه المرة عواصف ثلجية من عواصف إبليس، هبت رياح شديدة، كان صفيرها يسمع فى كل مكان، سقطت الأوراق عن الأشجار وتركتها عارية، صاحبت هذه الرياح أمطار غزيرة ورعد وبرق كأنها تعبيرٌ عن غضب الله، كان الظلام يدب فى المدينة من الساعة الرابعة عصرا.

فى أحد هذه الأيام القاسية، كان ميرتون و أيوكا يمران أمام الباب الرئيسى لمكتبة الجامعة المركزية، هذه المكتبة المكونة من عشرة طوابق تقريباً، نظرا إلى باب المكتبة فلمحا بتريسيا تقف محتمية بالباب من الأمطار والرياح وتبدو عليها الحيرة، فقد تحطمت شمسيتها الخفيفة من شدة الرياح، تحدث ميرتون مع أيوكا باللغة السواحلية قائلاً :

انتظر لنساعد فتاتى!

تبسم أيوكا ثم قال لميرتون :

أنت محظوظ جداً يا صديقى، كيف حصلت على هذه الفتاة الجميلة ؟

رد عليه ميرتون بغرور شديد :

وهل نحن نلعب هنا يا صديقى ؟ فما رأيك أنت فينا ؟

قال أيوكا لميرتون :

كيف تتصرف فى مثل هذه الأمور مع وجود زوجتك جلوريا فى المنزل ؟

همس له ميرتون قائلاً :

- لقد ذكرتنى، كيف نتصرف الآن ؟ اسمع! سوف نستقبلها اليوم فى بيتك، لكن انتظر أولاً حتى أرتب أمورى معها، ثم اسبقنا إلى البيت وافتح لنا الباب ثم اتركنا وانصرف وارجع إلينا بعد ذلك !

ذهبا إليها حتى باب المكتبة، ألقيا عليها التحية، قدما لها المواساة لفقدها شمسيتها، ونصحاها أن تشترى شمسية أكثر قوة مثل التى بحوزتهما، بعدما تحدثا معها لفترة قصيرة عرضا عليها مساعدتهما إذا أرادت، اقترحا عليها أن تذهب معهما إلى منزل أيوكا القريب من الجامعة، وهناك يتناولون الطعام سويًا ثم يقرضها أيوكا شمسيته لتواصل بها رحلتها إلى مسكنها.

قبلت بتريسيا هذا العرض، واتجهوا جميعا إلى منزل أيوكا، دخلوا المنزل وجلسوا وبدءوا يتحدثون ، أشعل أيوكا موقد الغاز ليمد الحجرة بالدفء، ثم قدم كئوس البيرة لضيفيه، بعد مرور فترة قصيرة، سأل ميرتون أيوكا قائلاً :

- أين الدجاج المقلى الذى وعدتنا به يا أيوكا ؟ أم كنت تخدعنا ؟

- أبداً! لم أكن أخدعكما، وإنما حاولت تدفئة الحجرة أولاً، ثم نفكر فى قلى الدجاج، لكننى لا أستطيع القيام بهذا العمل، لأنه كما تعلم يا سيد ميرتون أن الرجل الأفريقى لا يمكن أن يطبخ وهناك سيدة موجودة، ولابد لبتريسيا أن تتبع عاداتنا فى ذلك، فالمرء إذا كان فى روما لابد أن يتبع تقاليد الرومان !

صدق ميرتون على كلامه وهو يضحك فرحاً لحسن تصرفه.

نظرت بتريسيا إليهما وهى غير مصدقة ما يحدث ثم قالت لهما باستغراب :

– لم أكن أتصور أنكما مازلتما تعيشان بتقاليد القرن الماضى، وأنكما ما زلتما تحصران عمل المرأة فى المطبخ فقط! إننى لا أعتقد أن المجتمعات الأفريقية مازال بها عادات سيئة مثل التى تتمسكان بها الآن، لقد روى لى زامبى أن فى مجتمعاتكم القديمة كانوا يقسمون العمل بين الرجل والمرأة، ولم يكن من بينكم من يتهرب من العمل ويتخلى عن وظيفته، أليس هذا حقًا ؟ أليست أفكار السيادة التى تتمسكان بها قد ورثت من الاستعمار ؟ وعلى الرغم من أن النساء يجدن فن الطهى حقًا، إلا أنه لابد من تغيير أفكاركما القديمة، لأن المفروض أنكما قد حصلتما على قسط من العلم !

صُدم ميرتون عندما سمع اسم زامبى تردده بتريسيا ثم قال :

– ليس صحيحاً ما أبلغكِ به زامبى ، هذه أفكار باطلة خرجت من بلاد الغرب الرأسمالية، فإن تحرير المرأة لا يعنى أنها تترك العمل فى المطبخ، انظرى الآن إلى زوجتى، فهى موجودة بالمنزل ، فهل أخرج أنا من دراستى وأذهب إلى البيت ثم أدخل المطبخ لإعداد الطعام وهى متواجدة بالمنزل طوال اليوم ؟ حتى عندما كنا فى تنزانيا، أنا الذى أعولها، لأن عملها لا يمنحها راتبًا كبيراً مثل راتبى أنا، ولم نتحدث

مطلقًا فى مثل هذه الأمور التى تتحدثين فيها الآن! وتحرير المرأة التى يتحدث عنه الأوروبيون، غير موجود فى واقع حياتهم إنما يقرءون عنه فى الكتب فقط، دعكِ من هذه الأمور، لأنكِ لو تمسكتِ بها فلن تجدى من يتزوجك.

ضحكت بتريسيا ساخرة من قوله، وأخبرته أنها إذا تزوجت لن تغير من أفكارها، ثم أقسمت ألا تطهو، إلى أن يتركا هذه المعتقدات الباطلة، وأنها ليست فى حاجة إلى هذه الدجاجة بسبب هذه الشروط ، طلبت من أيوكا أن يعطيها الشمسية وتغادر المكان بعدما تنتهى من احتساء كأس البيرة الذى بيدها، وتذهب إلى مسكنها كى تطبخ لنفسها.

صارت الأمور عكس ما خطط لها ميرتون و أيوكا، أراد أيوكا أن ينقذ الموقف، أخبر بتريسيا أنه كان يمزح، ولا يقصد ما فهمته، وأنه يعلم جيداً كيف يتعامل مع النساء وكيفية الرفق بهن، قاطعته بتريسيا قائلة :

– ليس رفقا، لكن الأمور واضحة، أنتما مازلتما رغم تعليمكما تتمسكان بتقاليد بالية، والرفق الذى تتحدث عنه ما هو إلا أفكارٌ يرددها الأوروبيون فى تعاملهم مع السود، لأن السود كما يدعى الأوروبيون حيوانات ولابد من الرفق بهم، وانتم لم تستطيعوا فعل شىء للدفاع عن أنفسكم.

قال أيوكا بانكسار وخضوع :

– أنا موافق على ما تقولين، ولكننى لم أقصد ذلك، وما هى إلا زلة لسان، وإننا ندرك جيداً أهمية دور المرأة ...

قاطعته بتريسيا بقولها :

بالطبع تدركون أهميـة المرأة ودورها! فـأهميـتـهـا بالنسبـة لكم كمشروع استثمارى يدر لكم مـالا، أو أهـميتـهـا فى الترويح عن النفس فى حجرات النوم.

لم يستطع أيوكا الاسترسال فى المحادثة، كذلك لم يستطع ميرتون أن ينطق كلمة واحدة، جلس بعيداً عنهما، تظاهر بأنه مرهق وحزين على ما صـارت إليه المناقشـة، انتـهى الكلام عند هذا الحد، وانتهت بتريسيا من احتساء كأس البيرة، وطلبت منهما الإذن بالانصراف.

استدار ميرتون إلى بتريسيا وقال :

لقد فـهمتِ كل مـا قلناه من مزاح بمعنى غير الذى نقصده، أليس كذلك ؟ اجلسى من فضلك! نحن الذين سنطهو الطعام.

التفت إلى أيوكا وقال له :

إذا كان لديك المزيد من البيرة فاحضر كأساً آخر لبتريسيا حتى تهدأ أعصابها.

صرفت بتريسيا نظرها عن الانصراف وجلست مرة أخرى، قدم لها أيوكا كأسا آخر من البيرة، ثم قال لميرتون :

أرى أنك تذهب إلى المطبخ وتطهو لنا الطعام بنفسك، أما أنا فسوف أذهب إلى بقالة الرجل الهندى لشراء بعض البطاطس كى نسلقها ونأكلها مع الدجاج .

قبل ميرتون اقتراح أيوكا، واتجه إلى المطبخ، أخذ أيوكا الشمسية وخرج إلى الشارع، ثم أغلق الباب بالمفتاح من الخارج، لم تضع بتريسيا هذا التصرف فى اعتبارها، لأنها لم تتخيل أن أيوكا يقصد مضايقة ضيوفه بغلق الباب إلى أن يعود من الخارج بعد دقائق قليلة.

فجأة - بعد خروج أيوكا من المنزل - رجع ميرتون إلى الحجرة، وأبلغ بتريسيا أنه قد انتهى من وضع الدجاجة على الموقد، ولن تستغرق الدجاجة أكثر من عشرين دقيقة حتى تكون جاهزة للأكل، وبدلاً من أن يجلس فى مكانه الذى كان جالساً فيه قبل ذلك جلس ملاصقاً لبتريسيا، وقبل مرور دقيقة واحدة على جلوسه وقف واتجه إلى المذياع وفتحه ، ملأ صوت الموسيقى أركان الحجرة، سألها إن كانت تريد الرقص على هذه الموسيقى، وأخبرته أنها تعشق الموسيقى، ولكنها لا تجيد الرقص عليها، لذلك لم تقف للرقص معه.

سألها ميرتون مبتسماً :

ربما لا ترقصين لعدم وجود شاب يرقص معك ؟

منذ متى لا تجد المرأة رجلاً ليرقص معها، فى هذه الدنيا المملوءة بالرجال الذين يتفننون فى إيجاد طرق لمداهنة النساء ؟ لو أردت أن

أرقص، فهناك الكثير من الرجال الذين يمكننى أن أرقص معهم، فزامبى موجود معى دائمًا، وأشخاص كثيرون يفهمون جيدا كيف يتعاملون مع النساء، وهناك أصدقاء كثيرون فى المجموعات التى اشترك فيها لمناقشة مشاكل المرأة، ومشاكل السود فى البلد، علاوة على المشاكل الاجتماعية عامة.

هنا تأكد ميرتون أن هناك علاقة ما تربط بتريسيا بزامبى، شعر بالضيق فى صدره، والحقد يملأ قلبه، لكنه أخفى هذا الإحساس ولم يبده لها، سألها بعد ذلك :

– آه! معنى ذلك أنكِ اشتراكية ؟ فنحن أيضا اشتراكيون، و أعتقد أننى أبلغتك بذلك، فأنا عضو معروف فى الحزب الحاكم فى بلدنا.

لم ترد عليه بتريسيا بشىء، لأنها تعرفه جيداً من خلال مارواه لها يقين، نظرت إليه على أنه رجل معتوه، ولا بد أن تعامله من هذا المنطلق، فلا تعير كلامه اهتمامًا، فشخصية ميرتون معروفة بالنسبة لها، وقد تعودت على تصرفاته الشاذة لأنه يدرس معها فى نفس المستوى.

مرت فترة من الوقت، ولم يبد أى دليل على عودة أيوكا من الخارج، وهنا ارتابت بتريسيا فى الأمر فشعرت ببرودة غريبة تتخلل جسدها، وهاجس ما يدخل قلبها، وشعرت بالصدمة عندما تذكرت أن أيوكا قد خرج وأغلق الباب من الخارج وأخذ معه المفتاح، استدارت ونظرت إلى ميرتون فشعرت بالخوف فجأة، كان ميرتون

يزحف فى جلوسه ليقترب منها، بدأ يبتسم حتى بدت أسنانه كأسنان الضبع الذى رأى فريسته، حينئذ أدركت بتريسيا أن شيئًا ما قد دبُر لها ولا مفر من المواجهة.

تسللت أيدى ميرتون إلى أيدى بتريسيا، وبدأ يتحدث معها بصوت تسيطر عليه غريزته الحيوانية فقال :

لماذا لا تشعرين بالاطمئنان ؟ هل ترين أن هذه أمور غير طبيعية ؟ ألستِ امرأة ناضجة وتشعرين بلذة هذه الأمور ؟

نهضت بتريسيا بسرعة ، وجرت إلى الباب، لدرجة أنها نسيت أن تأخذ حقيبة كتبها، حاولت فتح قفل الباب، أملاً فى أنه غير محكم الغلق، لكن هيهات! استدارت واتكأت على الباب، زلزل هذا الموقف كيانها، شحب وجهها خوفًا، وبصوت حاد حذرت ميرتون :

– إياك أن تقترب منى! فإذا اقتربت منى سوف أصرخ ليفتضح أمرك.

ضحك ميرتون ساخرًا ثم قال لها :

– أنتِ تضيعين وقتك هباءً..! لا يمكن أن يسمعك أحد، وإن سمعك فلن يصدقك، فإنك لم تجبرى على ذلك، وقد حضرت إلى هنا بقدميكِ ، ولم ترغمى على الدخول هنا.

بدأ ميرتون يقترب منها كذكر الحيوان الذى يترصد أنثاه، ومازال كاشفا عن أسنانه كالضبع، حاولت بتريسيا أن تجرى إلى المطبخ

لتحتمى فيه، لكنها كانت قد تأخرت، فانقض عليها كالذئب المفترس، وهى تقاومه، وتحاول التخلص منه، ولكن باءت كل محاولاتها بالفشل، انتهى الذئب من نزوته على الرغم من المقاومة التى أبدتها له بتريسيا، ولم يعتبر ميرتون كل هذه المقاومة رفضاً منها لتصرفاته الحيوانية، بل حدث نفسه قائلاً :

لو أنها لم ترد معاشرته لصرخت مستنجدة بالجيران، ولكن مقاومتها لى إنما من قبيل "يتمنعن وهن الراغبات" هذا ما تخيله السيد ميرتون صاحب المبادئ الخادعة فى خياله.

مضى أسبوع واحد على هذه الواقعة، اعتزلت فيه بتريسيا الزملاء والأصحاب، لم تشاركهم فى أنشطتهم، لم يعرف الضحك إليها سبيلاً، لاحظ يقين حزن بتريسيا، وعزلتها عن الآخرين، حاول أن يعرف ماذا ألم بها، كانت غالباً ما تهرب من الإجابة على أسئلة يقين، حاصرها يقين بالأسئلة، فلم يكن هناك سبيل غير ذلك حتى يعلم ما بها، ولسوء الحظ أن تيريزا لم تكن بمدينة جلاسكو فى ذلك الوقت، فقد كانت مسافرة فى رحلة علمية إلى لندن، لحضور ندوة لمدة ثلاثة أسابيع بدعوة من صديقاتها المتخصصات فى الشئون الاجتماعية، كانت تتناول هذه الندوة موضوعات عن تحرير المرأة، حماية البيئة، ومناهضة استخدام الأسلحة النووية.

هذه الرحلة قد رفضت بتريسيا الاشتراك فيها، فربما لو كانت سافرت معهن لما حدث لها ما حدث، وربما لو كانت تيريزا موجودة فى

المنزل لما ألح عليها يقين لمعرفة أسباب عزلتها، وكانت تيريزا قد قامت بهذه المهمة، لسهولة التفاهم بينها وبين بتريسيا.

قررت بتريسيا الإفصاح ليقين عما حدث لها، لتزيح عن قلبها هذا الهم الذى كاد أن يقضى عليها، احتست ثلاثة كئوس من البيرة فى حانة وينشز لعلها تتقوى على كسر السياج الذى أحاطت به نفسها وتخرج ما فى قلبها.

كان قد مضى أسبوعان على وجود بتريسيا فى منطقة وينشز، كانت جالسة مع زامبى فى انتظار المساء ليذهبا مع يقين إلى محطة القطار لاستقبال تيريزا عند عودتها من لندن، جلسوا يحتسون البيرة ويتحدثون فى أمور كثيرة.

بعد فترة قصيرة، دخل عليهم أندريا و كامبتشوما، اثنان من الرعايا التنزانيين واللذان جاءا للدراسة لمدة ثلاثة أشهر، كان يقين وزامبى يعرفانهما، فهما يعملان فى وظيفة مرموقة فى تنزانيا، كانا قد وصلا إلى جلاسكو منذ شهرين، انضما إليهم على المائدة وبدأ الحديث بينهم.

قال أندريا لهم أنه يريد أن يبقى شهراً آخر ليكمل أربعة أشهر فى بريطانيا، لأنه حصل على دعوة للإقامة مع أحد الرأسماليين الذى تقابل معه فى إحدى الحفلات التى أقامها مجلس المدينة لاستقبال الموظفين الأجانب الذين يزورون إنجلترا، واصل حديثه عن ذلك الشخص فقال :

– يبدو أنه رجل طيب جدا، فقد قال عنه بعض المقربين منه إنه إذا أعجب بك يمكن أن يمنحك أى شىء حتى لو كانت سيارة، لكن إذا كنت تريد ذلك، فلابد أن تدعى التدين والصلاح، وتلعن الاشتراكية، وتشجعه على استثمار أمواله فى أفريقيا، وتعرفه مجالات الاستثمار التى يمكن أن تدر عليه أرباحا وفيرة.

بحلق يقين فى أندريا لفترة ثم سأله : هل تعنى ما تقول حقا ؟

قال أندريا دون أن يغمض له رمش :

– ولم لا يا سيدى ؟ إذا كان ذلك تعبيراً عن شكره لنا، هل تظن أن الحياة لعبة ؟ فقد تقول ذلك لأنك مقيم هنا لفترة طويلة، ويمكنك ترشيد نفقاتك حتى تتمكن من الحصول على ما تريد، لكن ، هل هناك غبى من بيننا تأتى له فرصة الحضور إلى هنا لمرة واحدة فقط ولا يتمنى أن يعود إلى هنا مرة أخرى ؟ أنت مازلت شاباً وأمامك الكثير من الفرص، أما أنا فقد اقتربت من الإحالة للمعاش، تخيل! إن هذا الرجل العظيم فرح جداً عندما سمع أننى أعمل فى وزارة المالية والتخطيط !

كان زامبى يستمع إلى هذا الحديث وهو يضحك ساخراً من سذاجة أندريا ، وعندما انتهى من الضحك قال لأندريا :

– أعتقد أنك تخطط لأمر هام جدا ! حقًا إنك تقوم بحيلة شيطانية لتحقيق ما تريد ، وأعتقد أن السماء لا تظلل الكثير من أمثالك ، وبهذه الحيل يمكنك أن تطأ السماء بقدميك.

تدخل أندريا فى الكلام قبل أن يكمل زامبى كلامه وقال :

– أ رأيت ! كيف يفهمنى زامبى، ذلك الشاب الناضج ؟

نظر زامبى إلى يقين ثم غمز له برمشه فضحكا معًا ثم استأنف زامبى سؤاله لأندريا :

كم شهرًا تمنحها لك تأشيرة الدخول والإقامة هنا ؟

رد عليه أندريا بسؤال : لماذا تسألنى هذا السؤال ؟

أجابه زامبى : إننى أحذرك فقط، إذا كانت التأشيرة تمنحك ثلاثة أشهر فقط، فحاول الحصول على خطاب من هذه الشخصية العظيمة ليمدد لك الإقامة، هذا إذا كانت خطابات الشخصيات العظيمة هنا تجب ما قررته المؤسسات الحكومية التى تصدر التأشيرات، ثم اذهب إلى إدارة الهجرة ليمددوا لك فترة الإقامة هنا، هذا البلد ليس فيه مزاح فى هذه الأمور أيها الشيخ!

قال أندريا : لماذا كل ذلك ونحن رعايا الكومنولث ؟ فهل هذا الخطاب ضرورى جداً لمثلنا ؟

تكلم يقين هذه المرة فقال :

– ربما يكون غير ضرورى بالنسبة لكم، لكننا واجهنا هذه المشكلة مع صديق لنا اسمه سفارى كان يدرس هنا ولكنه لم يكن من رعايا دول الكومنولث، لذلك لم يقدموا له أية مساعدات، فعندما تأخر أسبوعاً واحداً

عن موعد تجديد الإقامة فى البلاد، أخذوه مباشرة من مكتب الهجرة إلى السجن، ثم رحلوه على أول طائرة غادرت إنجلترا إلى تنزانيا، ولم ينتظروا تدخل السفارة.

تكلم كامبتشوما الذى ظل ساكتًا طوال هذه الفترة فقال :

– أنا أعرف صديقك جون سفارى الذى تتحدث عنه، فهو جار لى فى منطقة كيمارا بدار السلام، وقد علمت منه أنه كان هنا، ولكنه لم يخبرنى بما حدث له هنا، كما أنه يشكو من تأخر أمتعته التى تركها لأحد الأصدقاء هنا ولم تصله حتى أخر لقاء لى معه فى تنزانيا.

دُهش زامبى ويقين ونظر كل منهما للآخر ، ثم قال زامبى :

– إن أمتعة الأخ سفارى قد شحنها السيد ميرتون، أعتقد أنك تعرفه، وقد ساهم كل منا بشىء من المال لشحن هذه الأمتعة، وقد علمنا من ميرتون أنه قد شحن الأمتعة، وقد ذهبنا إلى منزله ولم نرها هناك حيث وضعناها، وأضاف :

ربما تكون الأمتعة قد تأخرت وهى فى طريقها إليه.

قبل أن ينتهى كلام يقين دخل ميرتون إلى الحانة يليه أحمد كياتو ثم أيوكا، اتجهوا إلى المائدة التى يجلس عليها يقين وزامبى ثم انضموا إليهم، كان هذا اليوم يومًا مليئًا بالعجائب، فقد التقى جميع الأصدقاء فى مكان واحد وفى نفس الوقت ، وكأنهم على ميعاد فيما بينهم.

وقف ميرتون واتجه إلى المحاسب ليشترى المشروبات للأصدقاء، كان يقين وزامبى يجلسان فى هدوء تام، وهما ينظران إلى ميرتون، لقد دهشا من هذه الشخصية الغريبة، وهما يفكران فيما فعله مع بتريسيا،

تحدث ميرتون مع أندريا، وأخبره بأنه كان يعمل فى وزارة المالية والتخطيط قبل أن ينتقل للعمل فى شركة المشروعات الزراعية، ثم قال له إن وزير المالية وسكرتير عام الوزارة كانا صديقين حميمين للمرحوم والده، وهما يعرفانه جيداً، وقد استقبلاه بالوزارة عدة مرات، واسترسل قائلاً :

- كن حذراً يا سيدى من هذه البلدة، فإنجلترا لا تعترف إلا بالشخصيات الهامة، وكلما كان الشخص ذا أهمية كلما استطاع أن يحقق ما يريد، هذا ما جربته هنا، فلولا علاقاتى المتنوعة ما استطعت البقاء هنا، ولكن بالأمس فقط اكتشفت أن هذا البلد يغْط بالهمجية الفظة، حيث اكتشفت وللمرة الأولى، أن هذا البلد تحكمه العنصرية، وكنت أظن أن العنصرية ما هى إلا أفكار فى خيال أصحاب البشرة السوداء فقط، وأنها مجرد أوهام، لكن قد أمنت الآن فقط بأن هذه الدولة تقوم على العنصرية ،انظر إلى ما حدث لى شخصيًا، أنت تعرف زوجتى جلوريا، فلو سألتها عنى ستؤكد لك أننى رجل معروف جداً فى بلادنا، ثم يأتى مدير البنك بالأمس ويخبرنى أننى غير مصرح لى بسحب أية نقود حتى آخر الشهر، بحجة أن استحقاقاتى لم تحول للبنك إلى الآن، قلت له دعك من هذا الهراء، إن استحقاقاتى ليس لها علاقة

ببداية أو نهاية الشهر، وأنت نفسك تعلم ذلك، وقدمت له خطاب الوزير الخاص بمعاملتى المادية، ووضحت له أننى موفد من الحكومة لمتابعة بعض الأمور المتعلقة بالدولة، هل تعرف ماذا قال هذا الرجل ؟ قال إنه لا يعرف ذلك ! ونحن نحترم هؤلاء الأوروبيين على الرغم من أنهم لا يمثلون شيئًا فى بلادهم مثل ما نمثله نحن من أهمية فى بلادنا، والذى تأكدت منه ، أنهم لا يحترمون المسئولين من بلادنا عندما يحضرون إلى هنا! وعندما قلت لهذا المدير إنك عنصرى وهددته، قبل أن يصرف لى مبلغا بسيطا من المال إلى أن تحول استحقاقاتى إلى البنك فى آخر الشهر ، واتصلت هاتفيا بالسكرتير العام للحزب لأحثه على الإسراع فى تحويل النقود إلى البنك.

قال زامبى بصوت خافت ساخراً من أقوال هذا الشخص المغرور :

من حسن حظ ميرتون أن الحانة مزدحمة بروادها، والضوضاء تملأ جوانبها، مما منع الناس من الاستماع لهذا الكلام الساذج، ما أجمل هذه الحانة! لقد عرفت الآن لماذا يلتقى معظم الناس هنا فى وقت واحد، ثم نظر زامبى إلى الصور المعلقة على جدران الحانة ثم استرسل قائلاً ليقين :

انظر إلى صور أولئك النسوة العاريات، وإلى أولئك النسوة اللاتى يقفن عند المحاسب بملابسهن الداخلية فقط! ماذا يريد الرجل أكثر من ذلك ؟ ولقد بحثت فى القاموس عن معنى كلمة "وينش" فوجدتها بمعنى "فتاة عاهرة"، وجمع هذه الكلمة "وينشز" وهى الكلمة التى تسمى بها

الحانة (حانة ونشز) إذن فالحانة حانة العاهرات ! لأن هذا ما تدل عليه الكلمة.

ضحك كل الجالسين على المائدة فظن زامبى أنه قد نجح فى تغيير مجرى الحديث الذى بدأه الأخ ميرتون، نظر ميرتون إلى زامبى ثم وجه الحديث ليقين قائلاً :

فكرتنى يا يقين ، كيف حالك وكيف حال بتريسيا؟

ذهل أيوكا من قول ميرتون ، وقال له :

– أنت تبوح بسرك الآن ، ألا تخشى أن يصل الكلام لزوجتك جلوريا ؟

أجابه ميرتون :

– كلنا هنا رجال وليس بيننا سيدات، كنت أخشى فى بادئ الأمر أن يصل الخبر لزوجتى، لكننى الآن لا أخشى ذلك ، فليس هناك شخص يمكنه أن يثق فى إخلاصى مثل زوجتى، فهى تعلم جيداً أن هناك من يريد الوقيعة بيننا وهى على معرفة تامة بالجميع.

أجابه يقين بصوت ملىء بالسخرية :

– لا أدرى عنها شيئًا يا سيدى ، على الرغم من أننا نقيم فى منزل واحد إلا أننا لا نلتقى كثيراً، ألست أنت معها فى نفس المستوى الدراسى ؟

قال ميرتون وهو ينظر إلى زامبى :

- إننا نقضى الوقت معًا كل يوم ، ولكنى لم أرها اليوم، فمن السهل مقابلة هذه الفتاة ، هذه هى أوروبا يا سيدى ! ولم تستغرق معى يومًا واحداً حتى نلت منها ما أريد على الرغم من أنها تعلم أننى متزوج ومعى زوجتى ، كما أنها تعلم أننى أريد الإيقاع بها، فهى الآن طوع أمرى فى أى وقت.

قال ميرتون هذا الكلام ليستفز به زامبى أو يرى عليه أثراً من غيره، لم يصدق يقين ما سمعه، شعر بالحسرة تتملكه ونظر إلى زامبى راجيًا أن يرد بأى شىء لتفنيد هذا الادعاء الذى يقصده به ميرتون، رآه يجلس فى هدوءٍ تام وكأنه مغشى عليه من الثمالة، فلم يتخيل هذا الموقف من زامبى، وتمنى يقين للمرة الأولى أن يسب زامبى لإعراضه عن الرد على كلام ميرتون فى الوقت الذى يعلم جيداً أنه يقصده بهذا الكلام.

نظر يقين مرة أخرى إلى ميرتون وسيطر الصمت على الجميع لفترة قصيرة، لأن الكل شعر بأن هناك أمراً غير طبيعى قد حدث ، وأخيراً تحدث يقين بصوت حاد يكشف عن غضبٍ دفين منذ سنوات قائلاً :

- أنت متأكد مما تقول يا ميرتون؟ أتظن أننا لا نعلم أنك قد اغتصبت بتريسيا بالقوة فى منزل صديقك أيوكا؟

توقف يقين فجأة عن كلامه، وتمنى لو أنه لم يقل ذلك أو أنه يستطيع أن يبتلع كلامه مرة أخرى لأنه تذكر أن بتريسيا ائتمنته على

سرها وعاهدها ألا يبوح به أمام الناس ، وهو بذلك قد نقض العهد معها ، لكن قد سبق السيف العذل، فهو الآن فى مواجهة عدو كبير تمنى لو أنه يستطيع اقتلاعه من جذوره وأن يلقى به بعيداً حتى لا يتمادى فى إيذائه للآخرين.

صُدم ميرتون بما سمعه من يقين، فاعتدل فى جلسته على المقعد شاخصاً نحو يقين ولم يصدق أن يقيناً يمكنه قول ذلك ، فانحنى فجأةً صوب المائدة مزيحاً كئوس البيرة من فوقها، ممسكاً بسترة يقين وهدده بالضرب ، هبَّ زامبى وباقى الأصدقاء بسرعة محاولين إبعاد كل منهما عن الآخر قبل أن يحدث ما لا يُحمد عُقباه ، وقد نجحوا فى السيطرة على ميرتون وتهدئته.

هدأ يقين، فلم يكن يتخيل ما حدث فى دقائق معدودة ، ولا يدرى الأسباب التى جعلت ميرتون يثور هكذا، جاء حراس الأمن فى الحانة لتسليمهما لمركز الشرطة الذى يمكن أن يقرر ترحيلهما إلى بلدهما طبقًا للقانون الذى يحكم بإبعاد كل منْ يثير الفوضى من الأجانب المقيمين فى إنجلترا، نظر يقين لزامبى فوجده ينظر لميرتون مبتسماً ابتسامة تدل على السخرية والازدراء دون أن يبدى أى دليل على غيرته من قول ميرتون.

تكلم أحمد كياتو قائلاً :

– إذا كنا سنتشاجر هنا، فليذهب كل منا إلى بلده ثم يحمل الفأس ويخرج ليزرع الأرض وننتج محاصيل تستفيد منها البلد.

سمع ميرتون هذا الكلام فهدأ وزال عنه الغضب ثم قال :

- لقد انتهت الأمور بالنسبة لي، ولكن بشرط أن نحقق فيما قاله يقين لنصفي كل الرواسب.

وافق يقين على ذلك ووقف أحمد كياتو قائلاً لزامبي :

- اتبعني حتى نحضر بيرة للأصدقاء.

وعندما وصلت البيرة ، أصر ميرتون على قوله إن الفرصة قد حانت للتحدث أمام الجميع لتصفية النفوس ثم بدأ الكلام بقوله :

- فلنبدأ بالكلام الذي قيل بخصوص بتريسيا لأنني علمت أن شخصًا ما أشاع كلامًا يتهمني فيه باغتصاب هذه الفتاة بالقوة وبالطبع هناك أشخاص أخبروني بأن يقينًا وصاحبه زامبي هما اللذان رددا هذا الكلام ونشراه بقصد تشويه سمعتي، إنني متزوج ، وزوجتي معي هنا ، فهل يُعقل أن آخذ امرأة بالقوة ؟ فهي التي سلمتني نفسها ، وإلا فكيف وصلت إلى منزل أيوكا ؟ وسبب ما يُقال أن هناك خصومة بين بتريسيا وزامبي.

ثم هدأ قليلاً ونظر إلى زامبي الذي يجلس بعيداً وقد تملكته الحيرة واستأنف كلامه مخاطبًا أندريا وكامبتشوما :

- أنتما تعلمان أيها الشيخان أن كل ما حدث سببه الغيرة فقط؛ فقد كان زامبي يلاحق هذه الفتاة لفترة طويلة، ولكنه فشل في استمالتها

والآن يُشيع أننى قد اغتصبتها بالقوة، لم يحدث ذلك إطلاقًا، والأكثر من ذلك، فقد ادعى زامبى وصديقه أننى أحمل بطاقة الحزب فى الوقت الذى أتبنى فيه أنا وأهلى مبادئ الرأسمالية، وإننى أدعى للناس أن الحكومة أرسلتنى إلى هنا لمتابعة بعض الشئون الخاصة ثم يقولان إننى لم أرسل الأمتعة التى تسلمتها من سفارى لشحنها له بعد سفره، وإننى قمت ببيعها فى سوق براس.

ثم أخرج خطابًا من جيبه وقال :

هذا الخطاب من أصحاب شركة الشحن يبلغوننى فيه أن الأمتعة قد وصلت سالمة.

سال لعاب ميرتون وأخذت عيناه فى الاحمرار واستأنف حديثه مخاطبًا زامبيا ويقينًا :

– لقد أخبرتما أيوكا أننى أخدعه، ولن أستطيع إلحاقه بالعمل فى تنزانيا، كما أبلغتموه أننى موفد إلى هنا على نفقة شركة أجنبية وليست الحكومة التنزانية التى أوفدتنى، دعكما من تشويه أسماء الناس، فلو حدث ما فعلتماه مع شخص غيرى لكنتما فقدتما عملكما بمجرد نزولكما إلى أرض الوطن.

بصوت منخفض أراد أندريا أن يخفف من حدة المحادثة قال :

– يا سيد ميرتون! نحن لا نعلم شيئًا عن خلافاتكم هنا، لكن بالنسبة لموضوع الأمتعة الخاصة بالسيد سفارى، فإن الذى تحدث عنها

اليوم هو السيد كامبتشوما، فهو جار قريب للسيد سفارى فى دار السلام، وسفارى هو الذى أخبرنا بذلك ، ولم يكن هؤلاء الشباب على علم بتأخر الأمتعة قبل جلوسنا معهما اليوم عندما أبلغهما الأخ كامبتشوما، فالأمتعة لم تصل لسفارى حتى الآن.

وجه ميرتون الحديث إلى السيدين أندريا و كامبتشوما قائلاً :

– فأنتما إذن اللذان نشرتما هذه الأخبار! ثم توجه لأحمد كياتو سائلاً :

– أرأيت ؟ ألم أخبرك أن هناك أشخاصاً هنا يمكنهم قول الحقيقة! هز كياتو رأسه بالموافقة ، فاسترسل ميرتون فى حديثه :

– إذن يا سيد أحمد فقد سحر زامبى هذين الشيخين بكلامه، لكن انتظرا أيها الشيخان! سوف أوضح لكما أمراً بسيطاً، لقد أبلغت الحكومة التنزانية بأمر زامبى ويقين، وقلت إنهما لا يتورعان فى سب الوطن وقياداته، كما إنهما يخططان للقيام بثورة ضد الحكومة، وأقسم بالله إذا ما عدتما وراجعتما أنفسكما وابتعدتما عن تشويه سيرة الشرفاء فسوف يحدث لكما ما حدث لزامبى ويقين عندما تعودان إلى الوطن، فأنا يمكننى القضاء عليكم جميعاً، وأنا لست مازحاً فى كل ما قلته.

ضحك زامبى بصوت مرتفع جعل كل رواد الحانة يلتفتون إليه ليعرفوا ماذا حدث، فقد كانت ضحكاته مليئة بالسخرية والاحتقار.

نظر يقين إليه مندهشاً لا يدرى لماذا يضحك هكذا، واصل زامبى ضحكاته الساخرة التى تكشف مدى احتقاره لميرتون ثم قال :

– ميرتون مبويتو كادر من كوادر الحزب المشهورين! ثم نظر إلى ميرتون بعيون جاحظة تدل دهشة غريبة فى عيون زامبى، نعم الأخ ميرتون أحد كوادر الحزب المهمين، والمطلوب منا أن نضع أنفسنا وأولادنا وأحفادنا فى خدمة هذه الكوادر الهامة، ونسجد لهم كلما رأيناهم، ونضحى بأنفسنا فى سبيل حمايتهم، بدلا من تشويه أسمائهم المقدسة، فنحن ليس لدينا أسماء، أو لا ندرك قيمة هذه الأسماء، ولا نعرف شيئًا عن العظماء ولا نجيد فن التعامل معهم لأننا لا ندرك قيمتهم، فقد أفسدنا عليكم أعمالكم الهامة من أجل رفع المعاناة عن الأمة التى ابتليت بأمثالنا، ولم نقدر مجهوداتكم فى محاربة الجهل والفقر والمرض، تلك الأمراض الثلاثة التى تصيب الأمة، فعلنا كل ذلك دون أن ندرى، لكن يجب عليكم أيها الكوادر أن تتحملونا وتصبروا علينا، لأن محاربة جهل الجهلاء مثلنا ليس عملا سهلا.

رد عليه ميرتون بهدوء :

– من الأفضل أن تعترفا بأنكما قد أخطأتما، فلم أسمع بعد هذا الاعتراف من يقين.

كان يقين يحتسى البيرة عندما كان يتحدث ميرتون، وعندما سمع ما قاله ميرتون غشى عليه من الضحك بصوت مرتفع مما جعل البيرة تضل طريقها إلى صدره فأصابته نوبة من الكحة الشديدة جعلته يبتعد عن الجالسين حتى يخفى ضحكاته المصاحبة للكحة، فيقين يعرف أن ميرتون به بعض العيوب لكنه لا يعلم أنه يمكن أن يصل به الغباء

حتى لا يميز بين الضحك الذى يسخر منه وغيره من الضحك! ما أكثر ما تحمل الأرض فوق ظهرها! أخذ يقين يفكر فى ذلك مع نفسه، هدأ سعاله وتوقف ضحكه عندما شعر بزامبى يطؤه بقدمه من أسفل المائدة يريده أن يصمت.

وجه زامبى حديثه إلى أحمد كياتو قائلاً :

– لقد وضح يا أخ أحمد أن بعض الذى أخبرتنا به أمور حقيقية، فلقد سمعت ميرتون الآن وهو يعترف بأنه قد أخطأ، لم يرد عليه أحمد بكلمة واحدة، وجلس بعيداً ينظر إلى المائدة، سأله زامبى :

– ألست أنت الذى أخبرنا بهذا الكلام ؟

عندما رآه لا يرد استمر فى كلامه :

– هنيئًا لك يا صديقنا! لأنك استطعت الوصول والمعيشة مع الكوادر، ولابد أنه لن يصيبك ما سيصيبنا عندما تعود إلى أرض الوطن، بل ربما تترقى فى وظيفتك، وسوف نحتمى نحن بك، لأننا لسنا وطنيين مثلكما، وقد سبقتنا أخبارنا إلى المسئولين فى الوطن.

ذهب يقين إلى دورة المياه وتبعه أحمد كياتو ثم قال له :

– سامحنى يا يقين، لأننى لم أستطع الرد على ميرتون بالحقيقة، فقد سمعت إشاعة تقول إن الأمتعة لم تصل إلى البلد، وقد أخبرنى بذلك صديق لى من كينيا، فهو الذى ادعى أنه رأى ميرتون ذاهبًا بهذه الأمتعة إلى سوق براس، لكن لأن صديقى هذا يدرس مع ميرتون فى نفس

المستوى فلم أرد ذكر اسمه، ولم أقصد أية إساءة لأحد بهذا الكلام إنما كنت أبحث لأتحقق من الأمر.

قال يقين بصوت متقطع :

– أنا لست فى خصومة مع أى أحد، أليس هذا صحيحاً ؟

قال له أحمد بخضوع :

– لكننى أطلب منك الصفح والعفو يا صديقى!

رد عليه يقين :

– على أى شيء تطلب العفو ؟ أم أنك تبحث عن كلام تبلغه لميرتون ؟ لا عفو ولا صداقة بعد اليوم مع أمثالك، نظر يقين فى ساعته فوجد أنه قد حان ميعاد القطار الذى ستصل فيه زوجته من لندن، خرج من دورة المياه مسرعاً تاركًا أحمد كياتو واقفًا داخلها بمفرده، وعندما وصل إلى المائدة طلب من زامبى أن يكمل احتساء كأس البيرة بسرعة لاقتراب موعد الذهاب إلى محطة القطار لاستقبال تيريزا.

نظر إليهم ميرتون وهم يحتسون ما بيدهم من بيرة وأقسم أنه عندما يعود الجميع إلى الوطن سوف يحاسب كل من اشترك فى تشويه صورته واسمه حساباً عسيراً، ثم قال لأندريا وكامبتشوما لقد أسفت جداً لانضمامكما مع زامبى ويقين، وسيظل قسمى قائمًا حتى يأتى الجميع ويقدموا لى اعتذارهم أمام الناس.

أكمل يقين حديثه لأم صادق فقال :

– هذا كل ما حدث يا أم صادق! وذلك ما أقسم عليه ميرتون، وأنا أظن أنه قد بدأ ينفذ ما أقسم عليه، وأعتقد أن هذه هى بداية المواجهة مع ميرتون، ولكننى قد دهشت لعدم معرفة زامبى لما حدث له، وهذا الأمر هو الذى يحيرنى جداً.

قال زامبى :

– الكل أنصت واستمع لكلامك، وفكروا جيدا فيما قلت، وبناء على هذا الكلام نرى أن هناك شيئًا ما قد أجبر ميرتون أن يتهمك أنت بالذات، لكن ما هو ذلك الشيء ؟ فلو كنتما قد التقيتما هنا فى الوطن بعد عودتكما من الخارج حتى ولو لمرة واحدة لكان المرء يظن أن شيئًا ما قد وقع بينكما عند اللقاء، لكنكما لم تتقابلا مطلقا بعد عودتكما، ثم إن سفارى هو الذى يمكنه أن يقوم بذلك لشدة كراهيته له بسبب ما حدث بينهما بخصوص الأمتعة، لذلك فمن المفروض أن يكون سفارى أول من يتهمهم ميرتون بضربه.

سألت تيريزا زامبى : فيم تحدثت مع سفارى عند لقائكما ؟

أجابها زامبى قائلاً :

– تحدثنا فى أمور عادية جداً، تحدثنا فيما حدث بعد مغادرته إنجلترا، وعن صديقه كامبتشوما الذى شمله قسم ميرتون، فقد علم سفارى من صديقه بكل ما حدث بيننا وبين ميرتون عندما عاد صديقه من الخارج .

سأل يقين تيريزا بنبرة مازحة :

- فيم تظنين أن يتحدثا أكثر من ذلك ؟ هل تظنين أنهما تحدثا فى رسم خطة لكيفية الإيقاع بميرتون وضربه ؟ افترض أنك.

قاطعه زامبى قائلاً :

- انتظر قليلاً ! كان وجه زامبى يدل على عمق تفكير فى أمر ما، لقد أجهدت نفسك فى البحث والتحرى، فإذا لم أكن مخطئا، إن سفارى قد قال إنه يعمل مع جلوريا زوجة ميرتون فى شركة واحدة،

رد يقين على زامبى قائلاً :

- حقًا ؛ لقد تذكرت الآن، فقد سمعت هذا الكلام عندما كنت فى أوروبا، يعملان فى شركة الأحذية، والأمر الذى أعرفه جيداً أن سفارى يعمل فنى تدريب فى المقر الرئيسى لهذه الشركة، بينما تعمل جلوريا فى أحد فروعها فى دار السلام، ولا أظن أنه يعرف كل منهما الآخر، لأنهما لم يلتقيا فى أوروبا.

قالت تيريزا :

- إذا كان الأمر كذلك فمن المفروض أن يكون سفارى هو المتهم الأول فى ضرب ميرتون، لأن كل ما حدث بينكما وبين ميرتون كان متعلقًا بأمتعته التى لم يرسلها له ميرتون.

قال يقين :

- أعلم أنكِ تبحثين عن أى طريق للحيلولة دون قيامى بالبحث والتحرى فى هذا الأمر، لأنك لم تدركى بعد السبب الذى يجعلنى أفعل ذلك، فإحساسى كمتهم يقول لى إن هناك أمراً ما غير واضح فى هذه

القضية، فميرتون يمكن أن يكون مجنونًا كما وصف زامبى، وجنون العظمة يمكن أن يقضى عليه، وأعتقد أن صعوبة فهم التصرفات الجنونية يكمن فى عدم المقدرة على التنبؤ بما سيفعله المجنون نفسه،

بعد فترة صمت قصيرة قال زامبى :

-حقًا ما تقول يا يقين! من الممكن أن يكون ميرتون يعرف جيداً من الذى ضربه، ولكنه يقصد اتهامك أنت بالذات، وإذا عرف السبب بطل العجب، سوف أحاول مقابلة سفارى مرة أخرى، فقد يمكننا الحصول على بعض المعلومات من خلال هذه المقابلة،

قال يقين :

– فلنذهب إليه جميعًا.

رد زامبى قائلاً :

-لا داعى للتعب، هيا بنا لتوصيلكما حتى أستطيع العودة مبكراً ، ثم نفكر فى مقابلة سفارى.

وقف الجميع وودعوا السيدة أم صادق التى لم تستطع الذهاب معهم لشعورها ببعض الإرهاق، اتفق يقين وزامبى على الذهاب إلى سفارى فى اليوم التالى الساعة الثانية عشرة ظهرا قبل أن يخرج لتناول الطعام فى فترة الغذاء، توجهوا فى طريقهم إلى منزل يقين، وعندما وصلوا إلى بيت يقين وجدوا المخبر السرى كوبلو بيمبى وزميله بريفت حسان فى انتظارهم.

قال كويلو عندما رآهم :

– نحن فى انتظاركم منذ فترة طويلة.

ثم قال ليقين :

– أنت مطلوب لنقطة الشرطة للحصول منك على بعض المعلومات الإضافية.

رد علية يقين بنبرة يملؤها الشك :

– هل المعلومات التى حصلتم عليها منى فى المرة السابقة غير كافية ؟ أو فيها أى شك ؟

رد كويلو بكلام حاد قائلاً :

– نحن لا نستطيع الإجابة على أية أسئلة هنا، وما علينا غير استدعائك وتوصيلك لنقطة الشرطة، وهناك سوف تعرف كل شىء، بلغ أصحابك أن يتبعوك بسيارتهم إلى هناك ، فربما تحتاجهما للعودة معهما إذا قدر لك أن تعود اليوم.

كان كويلو يبدو حادا فى ذلك اليوم كالمرة الأولى، وذلك أدخل الريبة فى قلب يقين، مما جعله يشعر ببرودة تتخلل جسده، وشىء ما يجول فى صدره، غادر الجميع المكان إلى نقطة الشرطة.

المداولة والحكم

الفصل السادس

ضابط الشرطة جوردن وجلوريا

رجع يقين وزوجته وصديقه زامبى من مركز الشرطة فى حوالى الساعة الثالثة فجراً، خلد يقين إلى النوم، وظل نائماً إلى أن استيقظ الساعة الحادية عشرة والنصف ظهراً، استغرق بعض الوقت بعد قيامه من النوم حتى أدرك أين هو، فتح عينيه، لكن الضوء الشديد الداخل من النافذة جعله يُغمضهما ثانية، وحاول أن يستدير ليستلقى على ظهره، فشعر فجأة بآلام حادة فى ظهره، وهنا تملكته المرارة والحسرة عندما تذكر ما حدث له هذه الليلة.

أخذ يسترجع ما حدث له فى هذه الليلة، فعندما وصلوا إلى مركز الشرطة أخبروا زامبى وتيريزا أن ينتظرا فى الخارج بالسيارة إلى أن يُصرح ليقين بالعودة إلى المنزل، ربما يخرج من مركز الشرطة متأخراً، وأكدوا لهما أنه ليس هناك ما يدعو إلى القلق نحو يقين، فما هى إلا مجموعة من الاستفسارات، والأمر يرجع إلى مدى تعاونه مع الشرطة.

دخل يقين مركز الشرطة، لكنه دخل هذه المرة فى حجرة غير التى دخلها فى المرة الأولى، فقد أدخلوه فى إحدى الحجرات المطلة على فناء المركز، تركه كويلى بيمبى فى الحجرة وانصرف، وبعد طول انتظار دخل عليه شخص عملاق، عريض الأكتاف، ضخم الأرداف، يحمل شاربًا كشارب القرموط، يرتدى زى الشرطة الرسمى، قدم نفسه بصوت جهورى باسم جوردن ستانلى ماكنجميو، الضابط المكلف بالتحقيق فى القضية.

شعر يقين بتوقف نبضات قلبه عندما سمع هذا الاسم، تذكر فى الحال أن والد ميرتون كان يدعى مبويتو ماكنجميو، معنى ذلك أن هناك علاقة قرابة تربط بين هذا الضابط وميرتون، نظر الضابط إليه لفترة، ثم استدار وجلس خلف المكتب الموجود بالحجرة، تناول بعض الأوراق الملقاة على المكتب ثم استند إلى المقعد وهو ينظر فى هذه الأوراق بتأفف وكأنه مرغمٌ على قراءتها، وضع الأوراق على المكتب مرة أخرى وأخرج سيجارة من جيبه وأشعلها ثم استأنف القراءة فى الأوراق، مضت حوالى خمس دقائق ولم ينطق هذا الضابط بكلمة واحدة، دخلت الريبة فى قلب يقين وازداد توترًا، فقد استدعوه لتوجيه بعض الأسئلة إليه، وليس للنظر فى وجه هذا العملاق الذى لا تبدو عليه الرغبة فى توجيه الأسئلة، أخذت الدقائق تمر، وكلما طال الانتظار ازداد يقين توترًا وقلقًا، بدأ يستمع إلى دقات قلبه التى أخذت فى الارتفاع، ارتفع ضغط دمه الذى شعر به فى أذنيه، مرت عشر دقائق ولم يوجه هذا العملاق أية أسئلة.

وقف الضابط جوردن فجأة بعد مرور خمس عشرة دقيقة، أشعل سيجارة أخرى، وأمسك بالكبريت الذى مازال مشتعلاً، شمخ بأنفه ليستنشق الهواء وكأنه كلب يشم فى شىء ما، أطفأ ثقاب الكبريت الذى بيده، والتفت إلى يقين، ثم قال :

– أشم رائحة نار، آه، تخيل، هذه سيجارة وهذا كبريت مشتعل !

خرج من خلف مكتبه وبدأ يدور حول المقعد الذى يجلس عليه يقين، انحنى وقرب رأسه من أذنه، ثم استأنف كلامه :

– تعلم أن النار شىء مؤلم للغاية، فأنا أخاف من النار طوال حياتى، كنت أتخيل دائمًا لو جربت لسع نفسى بالنار، تصور، لو أن شخصًا أشعل نارًا ثم ربط قدميّ ووضعهما فوق هذه النار، أو بدأ يطفئ السيجارة فى جسدى فماذا يكون شعورى ؟ يا ه ! شعور فظيع! هل رأيت البقرة التى تكوى بسيخ من الحديد الساخن لدرجة الاحمرار ؟

ظل يقين صامتًا صمت الأموات، فما يحدث الآن أمامه ما هو إلا جزءٌ من التعذيب النفسى الذى يتبعه رجال الشرطة لإرغام المتهم على الاعتراف بما يريدون، وليس بما فعل المتهم.

بصوت حاد كالرعد زجره الضابط قائلاً :

– سوف أسألك عدة أسئلة وعليك الإجابة عليها بكل صدق، فما استدعيت إلى هنا إلا من أجل ذلك، وقبل أن أبدأ، أقول لك هل رأيت البقرة التى تكوى بالسيخ الملتهب ؟

رد يقين بصوت خافت لا يكاد هو نفسه يسمعه :

- نعم رأيتها.

أين رأيتها ؟

- في سوق المواشي.

- إن ما رأيتها بقرة، فماذا لو حدث لإنسان مثل ما حدث للبقرة ؟

- هذا شيء فظيع، فهو تصرف حيواني،

تمنى يقين في نفسه لو يرجع هذا الضابط إلى الخلف ويبتعد عن أذنه، ابتعد الضابط إلى الخلف وجاء أمام يقين ثم وقف وكأنه قد سمع ما حدث به يقين نفسه، بحلق في يقين لفترة وقال :

- الله ! فأنت تدرك أن مثل هذه الأمور ما هي إلا تصرفات حيوانية ؟ حسنًا، أرى أننا سوف نتفاهم بسهولة فيما سنتحدث فيه، أخذ سيجارة أخرى وأشعلها، فامتلأت الحجرة بالدخان، ضاق يقين ذرعًا بهذا الدخان الذي يؤذي جهازه التنفسي، تمنى في نفسه لو يفتح باب الحجرة ليسمح لنسمة هواء بالدخول، لم يكن لهذه الحجرة أي منفذ غير الباب، استأنف الضابط كلامه قائلاً :

- لم يخرج ميرتون مبويتو ماكنجميو من المستشفى بعد، وليس هناك ما يوحي بتحسن في حالته الصحية، وقد أخبرتني أنت الآن بأن الكي بالنار تصرف حيواني، حسنًا، لقد اطلعت على الأقوال التي أدليتَ بها هنا يوم الاثنين قبل الماضي، واكتشفت أنك شخص كاذب جداً ! لأن ميرتون قد أخبرني عن حقيقة سلوكك الكاذب عندما كنتما معا في أوروبا، والآن لدينا شهود عيان يثبتون أنك أنت الذي استأجرت المارقين

الذين ضربوا ميرتون، وقد ألقينا القبض على بعض منهم، واعترفوا بالحقيقة وذكروا اسمك. الآن احكم أنت على نفسك : إما أن تُسجن وإما أن يُفرج عنك الآن.

انزعج يقين مما سمعه، وعندما نظر إلى الضابط جوردن شعر كأنه يواجه الموت، تذكر نفس الشعور الذى شعر به أثناء جريه هرباً من الشرطة أيام المظاهرات التى حدثت فى الجامعة، صار كالطير الذى وقع فى الشرك ولا يدرى ماذا يفعل ليخلص نفسه، وأخيراً أنهى الموقف بقوله :

– ما أدليت به من أقوال هو الحقيقة بعينها، فعندما كنا سوياً فى أوروبا، كان هو الذى يؤلف الأكاذيب ويلطخ بها غيره، أما فيما يتعلق بضرب ميرتون فقد كنت فى منطقة كيباها فى اليوم الذى ضُرب فيه، حيث كنا فى رحلة عمل إلى هذه المنطقة لعمل أبحاث عن المشروعات الزراعية فى هذه المنطقة، وقد أمضيت هناك أسبوعاً كاملاً.

قاطعه الضابط قائلاً :

– من فى هذه البلدة لا يعرف أن المسافة بين محل إقامتك ومنطقة كيباها لا تستغرق إلا بضع ساعات ؟

رد عليه يقين بصوت تملؤه المرارة :

– لكن، لابد أن أقيم هناك إقامة كاملة، لأن العمل يتطلب تواجدى ليلاً ونهاراً حتى ننتهى منه قبل موسم المطر.

رد الضابط بصوت غير مبالٍ بما يقال له :

– من الأفضل ألا نذهب بعيداً أو ننتظر أكثر من ذلك.

لم يشعر يقين بنفسه أو بما حدث بعد ذلك، والذى تذكره بعد ذلك أن الضابط قد رفعه إلى أعلى ثم علقه من كتفيه فى كمر حديد مجهز لهذا الغرض، وظلت ساقاه تهتزان فى الهواء ثم قال له الضابط :

– لابد أن تذوق طعم الموت الآن، لقد استدعيناك هنا لمساعدة الشرطة، من أجل الوصول إلى حل للمشكلة التى أصابت شخصًا هامًا فى الدولة، وبدلاً من مساعدتنا تروى لنا قصة طويلة بعيدة عن المشكلة، أليس فى منطقة كيباها هاتف ؟

كان الضابط يقول هذا وقد سال لعابه من فمه ليخرج منه سائل ذو رائحة كريهة اختلطت بالدخان المنتشر فى الحجرة حتى كاد يقين أن يختنق.

قال يقين بصوت مخنوق :

– نعم، هناك تليفون فى منطقة كيباها.

كان يقين يتنفس بصعوبة بسبب تعليقه فى كمر الحديد الذى كاد يخنقه، أنزله الضابط وأجلسه على المقعد ثم قال له :

حسناً! الآن سنتفاهم معًا، وإذا عدت مرة أخرى للإنكار سأفعل بك ما ينسيك حياتك.

ثم هدأ قليلاً واسترسل فى قوله :

– ميرتون هذا ابن عمى، ولقد قررت أن أتولى التحقيق بنفسى فى هذه القضية عندما علمت أنك غير متعاون مع الشرطة، وإنى أعلم جيداً

الشجار الذى وقع بينكما فى جلاسكو، فقد كنتَ دائمًا شخصًا مروجًا للإشاعات ضد أخى الصغير منذ أن كنت فى الجامعة حتى تقابلتما فى إنجلترا، وقد حدثنى عن مكرك، فرحلة العمل التى تدعيها ما هى إلا رحلة مقصودة لإخفاء ما خططت له، أم تتخيل أنه بهذه الرحلات يمكن أن تُرقى بهذا العمل فى الشركة لتصل إلى باب الوزارة، أنت تلعب على الحصان الخاسر! لم أجد أية حقيقة فى كل أقوالك التى أدليت بها، ألم تشوه اسم أخى الأصغر ميرتون ؟ ألم تدع على صغيرى أنه لم يرسل الأمتعة لصديقكم سفارى من لندن إلى تنزانيا ؟ ألم تتهمه باغتصاب الفتاة البرازيلية بالقوة فى بيت صديقه ؟ ثم تأتى الآن وتتهمه بأكل أموال عثمان تشاويلى ؟ ولم يكفِك كل ذلك الذى فعلته معه فتقوم بضربه! ثم تقول عن صغيرى إنه يدعى الاشتراكية كذبًا، أليس هو اشتراكيا ؟

سكت لحظة ثم استأنف كلامه قائلاً :

– تدرك جيداً أهمية ومنزلة صغيرى هذا فى الأوساط العليا وتفعل فيه ما فعلت ؟ أنت قرأت عن كل الدول الاشتراكية وتدرك جيداً أنها قد أسست أنظمتها على احترام وطاعة كوادرها الحكومية، ثم تأتى أنت اليوم وتخطط للقيام بانقلاب ضد نظام الحكم فى البلاد ؟ هيهات هيهات أيها الحقير! ثم انحنى الضابط على يقين موجهًا له صفعة جعلته يرى النجوم حمراء، وجعلت الدم يسيل على وجهه.

رفع يقين رأسه مترنحًا كالفحل الذى ضُرب بالفأس على رأسه، وما زاد صدمته ذكر عثمان تشاويلى فى التحقيق، هذا الرجل الذى لم

يره أو يلتقى به منذ تركه يقين فى لندن وتوجه إلى جلاسكو فى بداية رحلته إلى أوروبا.

أخذ الضابط يدور حول المكتب ثم قال :

لا أطيق أمثالك الذين تفرغوا لتشويه سمعة الشرفاء وتلطيخ أسمائهم، وتشويه سمعة الوطن فى الخارج، ألا تدرى أهمية ميرتون! ليتك تعرف الخدمات التى قدمها للوطن ولنا أثناء الغوغاء التى قمتم بها أثناء دراستكم فى الجامعة، بدون شك أنت تدرك ذلك كله كما تدرك هذه الأهمية، سوف أمنحك فرصة أخرى لتدلى بأقوال صحيحة غير التى أدليت بها فى المرة الأولى، لذلك لابد أن توقع على هذه الأقوال بدون تضييع للوقت.

لم يرد يقين بشىء، ظل جالسًا على كرسيه وكأنه لم يسمع شيئًا، فسأله الضابط بصوت جهورى جعله يرتجف : هل سمعت ؟

رفع يقين رأسه إلى الضابط، وبصوت حزين رد عليه قائلاً :

– وهل يمكن أن أدلى بهذه الاعترافات ؟

زجره الضابط بصوت حاد قائلاً :

– ستوقع على هذه الاعترافات أم لا ؟

بدأ يقين يشعر بهدوء نفسى، وتأكد أن كل هذه التهديدات والمشاجرات كانت من أجل التوقيع، وبدون توقيع لا يمكن لهذا الضابط أن يثبت عليه ما لم يفعله، وأخذ يحدث نفسه بأن إصرار هذا الضابط

على توقيعه على أقوال لم يدلِ بها ورفضه السماح له بقراءتها إنما هو دليلٌ على أنه ينوى فعل شىء ما ضده.

قال الضابط :

أسألك للمرة الأخيرة : هل ستوقع أم لا ؟

رد يقين هامساً بعد فترة من التفكير :

– لا يمكن أن أوقع على شىء لا أعلم محتواه، ولا يمكن أن أغير أقوالى التى أدليت بها فى المرة الأولى، لأن ما قلته هو الحقيقة.

انحنى الضابط تحت مكتبه ثم وقف وفى يده قطعة مجدولة من أسلاك الكهرباء، ثم تحرك نحو يقين وأمره بالوقوف، وقف يقين، شعر بقواه قد هوت، كما شعر بنغزة مسامير فى قدميه، وطعم العلقم فى فمه، وقف الضابط أمام يقين ونظر إليه كالجزار الذى ينظر إلى فحل الجاموس الذى سيذبحه قائلاً :

هذه فرصتك الأخيرة، هل ستوقع على هذه الأقوال أم لا ؟

سوف أوقع عندما أقرأ ما كتب وأوافق عليه.

لقد بدأنا فى المعاناة مع المثقفين.

بدون تردد أمسك الضابط بقطعة من السلك المجدول وأوسع يقين ضرباً على ظهره، سقط يقين أرضًا من شدة الضرب، فبدأ الضابط ضربه على كل أجزاء جسمه وكأنه يضرب بغلاً رفض السير، وظل يسأله أثناء الضرب إذا كان سيوافق على التوقيع أم لا ؟ عض يقين على

نواجذه من شدة الألم ولم ينطق بكلمة أو حتى يصرخ، لكن قواه خارت فجأة ولم يعد يتحمل المزيد من الضرب فصرخ من شدة الألم.

وقف الضابط متحيراً، وأعرض عن ضرب يقين، ثم نظر إليه وهو يتقلب على الأرض من شدة الألم وأمره بالوقوف، بدأ يقين يستجمع قواه ويحاول الوقوف ولكنه لم يستطع، فتمنى لو سمح له بالجلوس إلا أن الضابط نهره وأمره بالوقوف، ورجع إلى مكتبه وجلس ثم أشعل سيجارة أخرى وسمح له بالجلوس، ثم نظر إليه نظرة حادة قائلاً : أنا لم أضربك، أليس كذلك ؟ وإذا ادعيت فى أى مكان أننا ضربناك، سوف ندعى أنك رفضت المثول أمامنا فى مركز الشرطة عندما استدعيناك، ولذلك استخدمنا معك القوة لتنفيذ الأوامر، والقانون يصرح لنا بذلك، كما أنه ليس هناك شاهد يمكن أن يشهد معك ضد الشرطة، حتى أصدقاؤك الموجودون بالخارج لن يستطيعوا مساعدتك فى أى شىء ! وستأتى هنا يوم الاثنين وتوقع على هذه الأقوال، وإلا سوف أكسر ضلوعك، هيا اخرج من مكتبى !

خرج يقين من حجرة الضابط ببطء شديد، ووجد كوبلو بيمبى ينتظره خارج الباب، سأله إذا كان قد سُمح له بالانصراف أو لا ؟ رد عليه يقين بالإيجاب، واستند إليه إلى خارج النقطة، وقبل أن يصلا إلى الباب الخارجى أوقفه كوبلو ثم همس فى أذنه قائلاً :

– كل هذا الأذى له نهاية، المهم أنك لم توقع على ما يريد، اصبر وتجلد ولا تتصرف أى تصرف بيدينك حتى أحضر عندك مساء الغد ونتحدث سوياً.

دهش يقين لسماعه هذا الكلام من كويلو، وبعد تفكير هز رأسه بالموافقة، ودعه كويلو وهو يحثه على التفكير فيما قاله له، رجع يقين إلى السيارة حيث كان زامبى وتيريزا ينتظران وهما فى حيرة من أمرهما، استقلوا السيارة وانصرفوا بينما كان يقين يحكي لهما ما حدث له مع الضابط.

وصلوا إلى المنزل، أخذ زامبى وتيريزا يفحصان جسم يقين للوقوف عند أية جروح، فلم يجدوا إلا بعض الكدمات المتورمة من أثر الضرب بالأسلاك على ظهره، ضمدوا له هذه الكدمات بالماء الدافئ ودهنوها بزيت القرنفل وتركوه لينام.

وقف زامبى وأخذ يهمس بحديث غير مسموع وكأنه يحدث نفسه :

سأنصرف الآن، يالها من دنيا مليئة بالمآسى والأحزان، والمرء حائر لا يعرف كيف يفكر وماذا يفعل، انتهى وقت الهزل وحان وقت المواجهة، فلابد أن نعد أنفسنا للمواجهة، فإن كان صديقك قد بدأ بك اليوم فسوف ينتهى بى أنا غداً، إلى اللقاء غدا يا صديقى! وانصرف زامبى.

نادى يقين على تيريزا وقال :

إذا لم أستطع الاستيقاظ مبكرا دعينى نائماً لأننى متعب، واتصلى هاتفيًا بالسيد فراج تشمجاموتو وأبلغيه بما حدث لى بالأمس، فربما لا أستطيع الذهاب للعمل غداً، واطلبى منه أن يرسل لى الأوراق اللازمة إلى المنزل لكتابة التقرير المطلوب قبل اجتماع يوم الاثنين القادم.

ذهبت تيريزا إلى العمل فى اليوم التالى وعندما رجعت وجدت يقيناً مستلقيًا على الأريكة الموجودة فى الصالة يقرأ فى أحد الكتب، ألقت

ما تحمله جانباً وذهبت إليه حيث يجلس وجلست بجواره وأخذت تدلك له ساقيه وهو مستلق ثم انحنت عليه وطبعت قبلة على خده وأخرى على جبهته، وعانقته كما تعانق طفلا وسألته عما يشعر، كما سألته إذا كان قد رأى الطعام الذى تركته له بالمطبخ أو لا، قال لها يقين أنه بخير على الرغم من أن هناك بعض الآلام التى يشعر بها فى ظهره، رفعت تيريزا وجهها ثم نظرت إليه وابتسمت، فانتبه يقين لبسمتها وقال لها مازحاً :

أية أخبار سارة جعلتك تبتسمين يا عزيزتى بينما يتأوه الآخرون من شدة الألم ويخافون مما سيحدث لهم فى الغد القريب ؟

ردت تيريزا :

– ليست هذه هى نهاية العالم، إننى مسرورة لأنى أحب رجلاً!

رد يقين مازحاً :

– أنا لم أدخل السجن بعد حتى تحبى رجلاً آخر، أم هذه هى علامات الساعة ؟ أم أننى أرى نهاية الدنيا الآن! ثم انحنى قليلاً وقبلها قبلة حانية.

أجابت تيريزا وهى تضحك :

– من يقبلنى الآن هو حبيبى الذى أحبه، ثم نظرت إليه وعيناها تتلألآن فرحاً كالطفل البرىء، ثم انحنت عليه وهمست فى أذنه قائلة :

– لدى سرٌ أريد أن أبوح لك به.

رد يقين مازحاً :

- احتفظى بسرك لنفسك! ولا تبوحى به لغيرك! وكفانى اليوم ما سمعت من أسرار، فقد فاض بى الكيل من كثرتها، ولا تبوحى بسرك وأنت بالمطبخ، فقديما قالت لى جدتى إن الذى يرى عشًا للعصافير ليلاً ثم يبوح به وهو فى المطبخ تهرب منه العصافير فى الصباح الباكر، وإن السر لا يكون سراً إذا خرج من جعبة صاحبه.

قالت تيريزا فى هدوء :

- إذن لن أبوح لك بهذا السر الخطير.

انحنى يقين برأسه عليها ثم طبع قبلة على جبهتها، وأخذ يداعبها كالطفل الصغير حتى تبوح له بسرها، نظرت تيريزا إليه ثم ضحكت وقالت :

- لا ! ! هيهات هيهات ! وضحك الاثنان وتعانقا معًا.

قالت له تيريزا :

- لم تكن مبتسمًا وبشوشًا هكذا قبل صداقتك لزامبى !

- وما دهاك أنت ؟ فما كانت تفارقك الابتسامة! احتفظى ببعضها! إذا كان هذا سرك فلست بحاجة إلى سماعه، انتظرى سوف أضع يدى على أذنى.

وقبل أن يضع يقين يده على أذنيه سارعت تيريزا بجذب يده اليمنى واستحوذت عليها بيديها، وببطء أخذت تسحب يده وتضعها على بطنها ثم ضحكت ضحكات بريئة قائلةً :

- هل هذا الجنين ابن حرام ؟ ألا تشعر بمن يسكن بالداخل ؟

أدرك يقين أن تحت يده سراً عظيماً، فشعر بسعادة بالغة تسيطر على أحاسيسه، نظر إلى تيريزا التى مازالت تنظر إليه برقة وحنان، وكى يتأكد مما يشعر به سألها بصوت منخفض :

- هل أنت حامل يا حبيبة القلب ؟

ردت تيريزا ضاحكة :

- الله! ألم تدرك هذا بعد أن عاينت بنفسك ؟ من الآن فصاعدا لا وقت للحانات أو لشرب البيرة، فقد بدأت المشاكل الاقتصادية تتفاقم ولابد من التقشف، وضحك الاثنان وتعانقا والفرحة والسعادة تغمرهما.

شرحت تيريزا الأمر ليقين، فقالت إن الحيض لم يأت لها هذا الشهر، فظنت أنه قد تأخر كما يحدث أحياناً، لكنها شعرت فى صباح ذلك اليوم بغثيان وميول للقيء، فأدركت أنها أعراض الحمل الذى كانت تشعر به فى المرات السابقة، على الرغم من المحنة التى يمر بها يقين إلا أنه قد شعر بسرور داخلى، وأخذ يفكر فى كيفية العودة لتربية طفل صغير آخر بعد أن كبر أخوته.

- إن الشدة التى نمر بها لن تستمر طويلاً، وسوف أسافر إلى سونجيا وأحضر الأطفال، ولا أدرى ماذا سيكون رد فعل أجدادهم.

وقفت تيريزا وحملت أمتعتها التى جاءت بها من الخارج وأدخلتها حجرتها، ثم رجعت إلى المطبخ ونادت من داخله قائلة :

– إن فراج يبلغك التحية، ويقول إنه سوف يحضر إليك ويحضر لك الأوراق بنفسه فيما بعد، هل تعلم أننى قد تأخرت اليوم فى الذهاب إلى العمل ولم ألحق بسيارة الشركة، وكان لابد أن أذهب مترجلة إلى مانسيزى لكى أستقل الحافلة من هناك، خرجت تيريزا ووقفت على باب المطبخ وفى يدها سكينٌ صغيرةً لتقشير البصل ثم سألت يقيناً قائلة :

– أتدرى مع من تقابلت فى المحطة ؟

رد عليها يقين ضاحكا :

– لو كنت الشيخ يحى حسين (العراف) لعرفت مع من تقابلتِ، هل تقابلتِ مع حبيب القلب هناك ؟

ردت تيريزا بدون أن تضحك أو حتى تبتسم قائلة :

– دعك من هذا المزاح الفارغ !

أدرك يقين من نبرة صوتها أنها تريد أن تبلغه بشىء هام فأنصت لها، واستأنفت كلامها وقالت :

– لقد التقيت مع الحاج ماجيكوندو بينما كان متجها إلى المستشفى، وقد قال إن صحته ليست على ما يرام خلال ثلاثة الأشهر الماضية، وهو دائم التردد على المستشفى لتلقى العلاج طوال هذه الفترة.

جلس يقين بحذر خوفا من تجدد الآلام فى ظهره وسألها قائلاً :

– مم يشكو الحاج ماجيكوندو ؟

– يقول إنه يشكو من الروماتيزم، ويعتب علينا لعدم زيارته منذ آخر مرة قمنا بزيارته عند عودتنا من أوروبا، وقد اعتذرت له بالنيابة عنك، ووعدته بزيارته غداً، وقد شرحت له ما حدث وقد أبدى أسفه الكبير لذلك، وقد حزن جداً لما أصابك، حاول أن يؤخر زيارتنا له غداً نظراً لظروفك الحالية لكنى قد أكدت له أننا سوف نذهب له غداً.

قال يقين وقد بدا عليه الحزن من انتشار تهمته :

– سوف نذهب إليه غداً حتى ولو لم أشعر بتحسن، فقد أهملنا فى حق هذا الشيخ بتأخرنا عن زيارته بهذه الطريقة، وقد أخطأنا فى حقه ثلاث مرات: الأولى – عندما تزوجنا ولم نوجه له الدعوة بحضور زفافنا على الرغم من أن صداقتنا قد بدأت فى بيته، والمرة الثانية – أخطأنا عندما لم نرسل له خطابات طوال فترة سفرنا إلى أوروبا، والثالثة وهى الأهم، أننا لم نشكره على ما قدم لنا من مساعدات !

خرجت تيريزا من المطبخ وقالت إنه يلوم علينا لأنه كاد أن يموت ذات يوم قبل أن يرى ابننا الصغير المسمى باسمه.

وقف يقين وذهب إلى المطبخ واضعاً يده فى جيبه ومنحنياً برأسه مثل الكبش، وعندما دخل عليها المطبخ سألها :

– هل تقصدين طفلنا الصغير ماجيكوندو ؟ حقًا! فأنا شخص قليل الوفاء لمشاعر الآخرين، لأننى قد أثقلت كثيراً على والدى بترك أطفالى لديه طوال هذه الفترة، وقد أدركت الآن معنى عتابك لى أمس ونحن فى الحانة، وإنى أعاهدك على انتهاء كل هذه الأمور، ولابد أن أذهب لإحضار أطفالنا من بيت أبى.

بدأت الأفكار تتوارد على عقل يقين، رجع إلى الصالة وجلس على الأريكة مرة أخرى، أسند رأسه على كفه، وفجأة وصل زامبى إلى بيت يقين وبصحبته سفارى حوالى الساعة السابعة مساءً، كانت هذه هى المرة الأولى التى يلتقى فيها يقين وسفارى منذ أن كانا فى أوروبا معًا، كما وصل بعدهما بقليل السيد فراج تشمجاموتو، وواسى يقينًا لما حدث له، ولكنه اعتذر عن عدم بقائه معهم لفترة طويلة لأنه قد ترك ابنته الصغيرة تتألم من المرض فى المنزل ولابد أن يذهب بها إلى المستشفى ثم أخبر يقينًا أن كل الأمور فى العمل تسير على ما يرام، وأن هناك شخصًا آخر أحضره فراج فى المكتب ليقوم بكتابة التقرير الأسبوعى بدلا منه، شكره يقين وسمح له بالانصراف بعد اعتذاره عن تناول طعام العشاء الذى كان جاهزًا على المائدة.

أكلوا جميعًا بدون التحدث فى أى شىء، حتى زامبى الذى كان من عادته المزاح دائمًا كان صامتًا ولم ينطق بكلمة واحدة، حاولت تيريزا أن تثيره لكى يتحدث لكنها فشلت فى ذلك، رجعوا جميعًا للجلوس على الأريكة بعدما انتهوا من تناول الطعام، استدار يقين إلى سفارى وسأله عن أحواله وأحوال المعيشة بعد أن نزل من أوروبا، أبدى سفارى أسفه لما أصاب يقينًا قائلاً إنه لم يدر بما حدث له إلا أمس عندما أخبره زامبى ولذلك جاء اليوم لرؤيته.

تحدث زامبى بهدوء وتركيز شديد فقال :

- يا سيد يقين، إن سفارى يقول إنه قد غضب جدا لما فعله ميرتون معه، ولو كان يستطيع استئجار بعض المارقين لضربه لكان قد فعل،

ولكن لسوء الحظ قد سبقه إلى ذلك بعض الناس ممنْ آذاهم ميرتون بالطبع، ولم يشعر إطلاقًا بالأسف لما حدث لميرتون.

بدأ سفارى يتكلم بنبرة كلها مرارة قائلاً :

– هذا حقيقى، يا سيد يقين، وكنت أتمنى أن أقوم بنفسى بهذا العمل، لكن لسوء حظى سبقنى آخرون إليه.

أخذ سفارى يحكى لهم ما حدث بينه وبين جلوريا زوجة ميرتون فقال :

– حقًا لقد استطاع ميرتون أن يخدعنى ! هل تعلم أننى كنتُ أصدق كلامه عندما كنا فى أوروبا ؟ صدقته عندما زعم أنه سوف يساعدنى عندما نعود لأرض الوطن، كما صدقت أنه كادر هام من كوادر الحزب، وكنت مندهشًا جداً من عدم تصديقك لكل ما يقوله، لكن كلا منا يتعلم من أخطائه، وأعتقد أنه باع أمتعتى فى سوق " براس " بدلاً من أن يرسلها إلىَّ بعد سفرى، لا أدرى طبيعة هذا الشخص !

نظر الجميع إلى سفارى بعيون مملوءة بالشفقة، بينما استرسل سفارى قائلاً :

– لقد أخبرت السيد زامبى بما حدث، فجلوريا تحمل من المرارة والعذاب بسبب ميرتون ما لا يتحمله شخص آخر، وقد تعرفت عليها منذ وقت قريب، وشرحت لى أنها قد صدقت كلامكما عندما قلتما إن أمتعتى لم تُشحن بينما زعم لها ميرتون أنه قد أرسل هذه الأمتعة قبل وصول جلوريا إلى "جلاسكو" إن هذه السيدة تحملت مرارة قرون عديدة فى هذه الفترة القصيرة التى عاشتها مع ميرتون، فقد اكتشفت سوء خلقه

وخداعه بمجرد أن تم زواجها به، وفقدت ثقتها فيه، ولا يمكن أن تصدقه مرة أخرى فى أى شيء، أما عن جلوريا ونشأتها فقد عاشت فى بيئة رغدة غنية بكل مطالب الحياة ولم تنشأ فى بيئة أجدادنا المليئة بالحكايات والأساطير التى تتكلم عن الصراع الأزلى للإنسان مع الأشباح والعفاريت أو صراع الغربان القاسى مع الطيور الوديعة ؟

كيف تتخيلون شخصًا لم يشهد مطلقًا مجلسًا لكبار القوم فى القرية عند مناقشة أمور حياتهم، ووضع المبادئ التى ينصاع إليها كل أهل القرية ؟ هذا الشخص الذى لم يعرف تقاليد القرية، ولمْ ير المرأة التى تستحى أن تخلع ملابسها حتى لا تظهر عورتها حياءً من نظرات المتلصصين ؟ ليس هذا فقط، فلم يعهد قلوبًا تخشى المجاعة، وتفرح عند سقوط المطر، وتنشد له أشعارًا ..... ماذا تنتظرون من شخصٍ مثل هذا ؟

وقد وُلدت جلوريا فى بيئة مشابهة، غادر والدها منطقة " نجومبى" منذ زمن طويل، وعمل أجيرًا لفترة طويلة فى حقول الكتان بمنطقة "تانجا" ثم أصبح بعد ذلك تاجرًا متجولاً فى مدينة دار السلام لمدة تزيد عن الخمسين عامًا، وتزوج فى هذه المدينة، وأنجب أطفالاً من بينهم جلوريا التى لم تعرف معنى معايشة أجدادها، بل ولم تعرف إن كانوا قد ماتوا، أم إنهم ما يزالون على قيد الحياة لأن والدها كان قد أعطى ظهره لمثل هذه الحياة مع آبائه، وأقسم ألا يعود إلى مسقط رأسه مرة ثانية، لأنه قد ملَّ الحياة فى مدينة تانجا التى ذاق فيها مرارة العمل أجيرًا، وانتظار سقوط الأمطار، وغرس البذور، وانتظار المحصول، ثم يتكرر هذا كل عام، لقد كان يعيش متقشفًا طوال العام فى انتظار أن تمن عليه السماء بالمطر.

تعلم والدها من الأوربيين أن هؤلاء الناس الذين يعـيـشـون فى الحقول تتغلب عليهم الفوضى والوثنية حيث تبدو واضحة فى ثقافتهم ورقصاتهم فى كل المناسبات، تعلم منهم أن الموسيقى الجيدة هى التى تعزفها الآلات الموسيقية الحديثة، وقد كان كل حلمه أن يجمع الأموال ويسافر إلى زنجبار ليستمتع بصوت المطربة المشهورة " ستى بنت سعد " ولسوء حظه، فإنه عندما تمكن من جمع الأموال لتحقيق حلمه، كانت المطربة المذكورة قد توفيت قبل أن يصل إليها، فاستقر فى دار السلام، وشرع في تجارة التجزئة فى أحياء المدينة.

عاشت جلوريا فى هذه المدينة، وتعلمت فيها، وكانت بالفرقة الرابعة عندما قام الشعب بالمظاهرات تأييداً لقرار مؤتمر " أروشا " الذى أقر السياسة الاشتراكية للبلاد، وشجع الاعتماد على النفس . لم تدرك جلوريا جيداً ماذا كان يدور حولها، ولكن الذى عرفته أن والدها كان محط لوم الحكومة والنظام لأنه لم يوزع أملاكه وأمواله على الناس كما حدث من قبل فى كل من روسيا والصين حيث جعلت كل شىء ملكاً للأمة حتى النساء والأطفال، وقد كان لهذا الوضع أثر كبير فى حياة جلوريا لأن والدها قد قرر أن يبدد أمواله بنفسه بدلاً من أن تُؤخذ وتُعطى للآخرين الذين لا يستحقونها، وقد نتج عن ذلك انفصال والديها، وذهبت هى للحياة مع أمها، نجحت جلوريا بتفوق فى امتحان الفرقة السابعة، والتحقت بمدرسة البنات في مدينة "كيسوتو"، بدأت تعقل الأمور التى تدور حولها، فأدركت أن أفكار والدها عن الاشتراكية كانت مشوشة لأنها رأت أن أموالاً كثيرة غير أموال والدها ما تزال بحوزة أصحابها ولم تؤمم، وأنه ليس هناك تأميم للأطفال أو النساء.

صادقت جلوريا زميلاتها فى المدرسة، عاشت حياة اللهو وأحست بلذة مصاحبة كبار القوم حيث كانوا يصطحبونها فى سياراتهم إلى الفنادق السياحية الكبرى، ويمنحونها المال الذى تريده، فأصبحت لا تعبأ بالنقود القليلة التى كانت تحصل عليها من أمها، ولكنها ما لبثت أن واجهت آثار هذه الحياة المبتذلة غير المسئولة بصحبة هؤلاء الناس، فحملت سفاحا وهى فى الفرقة الرابعة من المرحلة الثانوية مما ترتب عليه طردها من المدرسة.

أقامت مع أمها فى المنزل، أنكر كل الذين عاشروها هذا الحمل، وحذروها من تشويه سيرتهم فى وظائفهم العليا - أو حياتهم الزوجية، لأن كل ما حدث كان بسبب إهمالها هى ولابد أن تتحمل تبعته بنفسها، ومنذ ذلك الحين أقسمت أن تعيش حياة مستقيمة حتى تقابل الزوج الذى تعيش معه، حتى هذا الأمل لم تتوقع أن يتحقق بسبب هذا الطفل الذى أنجبته وتقوم على تربيته.

تولت أمها رعاية الطفل بنفسها، وخرجت جلوريا لتتعلم الآلة الكاتبة ثم التحقت بعد تعلمها بالعمل فى شركة أحذية فى فرعها الرئيسى الذى أُنشِئ فى أروشا، رأت بعض النساء فى هذه المدينة يتزيَّنَّ مثل الفنانات، هؤلاء النساء كن يجلبن العملات الأجنبية من السائحين و يقمن ببيعها إلى تجار الأحذية فى نامنجا ونيروبى أو ممباسا، تعرفت جلوريا على فتاة تدعى جريس كانت تقيم معها فى نفس الحجرة، كانت هذه الفتاة تخرج لحياة اللهو والمتعة على الرغم من أن لديها عملاً يمكن أن يدر عليها دخلاً يكفيها، حاولت جريس كثيراً أن تقنع جلوريا بمشاركتها

فى هذه الحياة لكنها رفضت خوفًا أن يحدث معها ما حدث أيام المدرسة، ضحكت جريس ساخرة منها ثم استفسرت عن قدرتها على الحياة فى القرية على الرغم من أنها مولودة فى المدينة !

وذات يوم خرجت جلوريا من عملها حوالى الساعة الرابعة كعادتها لتناول الشاى، مرت من أمام محل الأحذية التابع للشركة التى تعمل بها وهناك لمحت شابًا ينظر إلى الأحذية المعروضة، دخل هذا الشاب المحل وتحدث مع الفتاة التى تقوم بالبيع، وفى هذه اللحظة سمعت اسم جلوريا يتردد بين هذا الشاب وتلك الفتاة فدخلت إلى المحل فوجدت الشاب والفتاة يقفان أمام الأحذية المعروضة ويتحدثان فى أمر ما، عندما اقتربت جلوريا منهما قالت الفتاة لهذا الشاب :

– تلك هى جلوريا التى تعمل فى هذا الفرع وليس هناك فتاة غيرها بهذا الاسم.

واستدارت إلى جلوريا وقالت لها :

– هذا الشاب يقول إنه يبحث عن جلوريا التى تعمل هنا، ولكنه قد نسى اسم والدها وهو لديه رسالة لكِ.

تقدم منها الشاب ثم قال :

– أنت جلوريا حقا ؟ أنا اسمى ميرتون مبويتو، قادم من دار السلام، جئت لحضور المؤتمر الدولى للزراعة، وقد تقابلت مع والدتكِ فى محطة الحافلات فى كيسوتو عندما كانت تبحث عن أى شخص قادم إلى هنا، وقد حملتنى رسالة وسلامًا خاصين لكِ، وقد ذكرت لى اسم

والدكِ لكننى قد نسيته، والدتك تقول لكِ إن الطفل كان يعانى بعض الآلام ولكنه أصبح الآن معافى وتحسنت حالته.

اسمى جلوريا كابينى، وهذا هو الاسم الثانى لى الذى ذكرته أمى.

قال ميرتون :

– نعم هذا هو الاسم، لقد تذكرته.

– أشكرك جدا على توصيل الرسالة، كم من الوقت سوف تبقى فى أروشا ؟

أجابها ميرتون مبتسماً :

– حوالى أسبوعين، وأنا أقيم فى أحد الفنادق القريبة منك جدا، لو أردتِ أن تزورينى هناك.

ودع كل منهما الآخر، وطلب منها أن تحاول زيارته فى الفندق قبل أن يغادر أروشا وتكتب رسالة لوالدتها ليأخذها معه لتوصيلها إليها، لم يمر يومان إلا وجاء ميرتون إليها فى العمل ليراها، وطلب منها فى هذه المرة أن يذهبا إلى الفندق لحضور حفل استقبال لوزير هام، وستكون فرصة جيدة أن ترى وزيراً عن قرب، لم تر جلوريا عيباً فى أن تذهب معه، لما أبداه من تواضع فى البحث عنها وتبليغها رسالة أمها، كما أنه عاهدها أن يأخذ رسالتها ويقوم بتوصيلها إلى أمها.

عندما حل مساء ذلك اليوم كانت جلوريا فى فندق أروشا، مرتدية أفخر الملابس التى ارتدتها منذ إقامتها فى أروشا، استمعت إلى ميرتون وهو يحكى لها عن حياته منذ أن كان طالبا فى الجامعة حتى تخرج فيها

منذ وقت قريب، كما حدثها عن كبار المسئولين الذين تربطه بهم علاقات طيبة وفى النهاية قدمها للسيد الوزير، كانت هذه هى المرة الأولى التى تضع يدها فى يد أحد القيادات العليا، وقد شعرت بسعادة غامرة وراحة مدهشة، بعد انقضاء الأسبوعين نشأت علاقة ما بين جلوريا وميرتون تأسست عليها حياة جلوريا المستقبلية، أبدى لها ميرتون استعداده الواضح للارتباط بها، ويمكن أن يتزوجها بدون أى اعتبار لوجود هذا الطفل بشرط أن يستمر الطفل فى الإقامة مع والدتها ويظل أمره سراً بعيداً عن أهله، أقسم لها أنه لم يشعر بطعم الحب قبل أن يتقابل معها، وأنه طوال حياته كان مشغولا بالدراسة ونشاطه فى الحزب وعمله فى الحكومة، ولم يلتق بامرأة قبلها، ظنت جلوريا فى بادئ الأمر أن ميرتون غير صادق فى مشاعره، وقد شعرت بالدهشة لأن الدنيا قد أقبلت عليها مرة أخرى بعد أن أدارت لها ظهرها، أكد لها ميرتون أنه يمكن أن يعقد قرانه عليها خلال ستة أشهر من الآن، أقسمت جلوريا أن تكون زوجة مخلصة ومطيعة له، أخبرها ميرتون فى يوم من الأيام أن الإخلاص والطاعة من السمات الهامة جداً فى الحياة الزوجية، ثم قال لها :

– لابد أن تتذكرى دائما أنك زوجة لرجل مهم فى الدولة، لأننى قد أقسمت يمين الولاء للحكومة، وفى جعبتى الكثير من أسرارها، فلا تظنى أن عملى يقتصر على الشركة فقط، حاشا لله! سأعود إلى البيت متأخراً فى معظم الأحيان لأننى مرتبط بمواعيد هامة مع رجال الدولة، ولأن مكتبى خارج مبنى الوزارة سأكون مضطرا إلى إنهاء العمل فى الشركة ثم أذهب إلى الوزارة، فوجود مكتبى خارج مبنى الوزارة مقصود به القيام بأعمال سرية.

أدركت جلوريا ذلك، فرحت جدا بحسن حظها الذى أوقعها مع زوج مثل ميرتون، وقالت لنفسها من يصبر إلى الآخر يأكل الفاخر، عاشت حياتها معه بإخلاص، كان ميرتون يأتى متأخرا فى كثير من المرات وفى أوقات أخرى كان لا يرجع البيت نهائيًا وتبيت هى بمفردها، وكان يدعى لها دائمًا أنه كان فى العمل وتصدقه، فلم يكن عندها أى شك فى إخلاصه لها، اصطحبها ذات يوم مع أخيه الضابط جوردن إلى فندق كليمنجارو لتناول طعام العشاء، وبعد الانتهاء من الطعام جاء الساقى وطلب من ميرتون التوقيع على فاتورة الحساب دون أن يدفع نقدا، نظرت إليه جلوريا مندهشة، فوضح لها ميرتون الأمر قائلاً :

- إن الوزارة هى التى تقوم بدفع الحساب لأنه يأتى إلى هنا كثيراً فى مهمات عمل خاصة بالحكومة.

لم يمر وقت طويل حتى حصل ميرتون على مهمة علمية للسفر إلى أوروبا، فرح الاثنان معًا، لأن الجهة المانحة للمهمة العلمية وعدته باستدعاء زوجته على نفقتهم للحاق به بعدما يستقر هناك، لم تكن جلوريا تحلم بمثل هذا اليوم التى تسافر فيه إلى أوروبا، شعرت وكأن الدنيا تضحك لها، فبدأت تخطط للمستقبل، لتشترى سيارة وجميع الكماليات التى تحتاجها كزوجة رجل مهم، كما بدأت تفكر فى حياتها التى ستتبدل إلى الأفضل.

جاء يوم سفر ميرتون، ذهب الضابط جوردن إلى مطار دار السلام الدولى ليكون فى وداعه، لم يتحدث ميرتون كثيراً مع جلوريا فى المطار، كان يتحدث طوال الوقت مع الضابط جوردن، دخل الضابط صالة

المغادرة مع ميرتون على الرغم من أن هذا ممنوعٌ لكنه قد أبرز تحقيق شخصيته لزملائه في الشرطة فسمحوا له بالدخول ليتأكد من شحن أمتعة أخيه بسلام، ولحماية أخيه من أي تصرف يغضبه، انتظر معه في صالة المغادرة حتى موعد إقلاع الطائرة، وكان هذا سهلا بالنسبة له لأن قوات أمن المطار قد عرفته فكانت تغض الطرف عنه بل وتؤدي له التحية العسكرية.

جاءت جلوريا إلى إنجلترا، وكان ميرتون قد وعدها أن هنا صديقًا له يدعى ماك براون سوف يقوم بتوفير فرصة عمل لها بمجرد وصولها، لم يحدث ذلك بالطبع، والأصعب من ذلك أن ميرتون كان يتركها وحيدة بالمنزل ويسافر كثيراً من جلاسكو إلى لندن مدعيًا أنه يسافر للعمل، وكان يدعي لها أن هناك بعض المارقين التنزانيين الذين اعتادوا على سب الوطن والحكومة والوقوف ضد مصلحته، وهو مكلف من قبل الحكومة لمتابعتهم للحد من نشاطهم.

وقد ادعى لها أنه بسبب وظيفته الحساسة في الدولة بدأ يقين وزامبي في إثارة الفتنة بين الناس عملاً على تشويه صورته وتلطيخ اسمه بسبب غيرتهما منه وحقدهما عليه، اندهشت جلوريا عندما علمت أن يقينًا يقف هذا الموقف من ميرتون الذي بذل كل جهده مع المسئولين لسفر يقين للدراسة في الخارج، وكانت تسأل نفسها: أهكذا يكون رد الجميل ؟

عاد ميرتون ذات يوم من لندن وكان محبطًا ومهمومًا، ظلت جلوريا لفترة طويلة تحاول أن تعرف منه ماذا حدث، فأفصح لها عن مشكلته بأن له صديقًا يدعى عثمان تشاوبيلي، كان قد أعطاه مبلغًا من المال

ليشترى له سيارة، ولسوء الحظ فقد سرقت منه الحقيبة الصغيرة التى وضع بها المبلغ فى محطة القطار، ولابد أن يدفع له هذا المبلغ، ولذلك فإن حياتهما سوف تتأزم وسيضطران إلى التقشف، وسوف يؤثر عليه ذلك فى العمل، كما أنه لن يستطيع شراء السيارة التى وعدها بها، تشاورا معا لفترة طويلة ليبحثا عن مخرج من هذا المأزق، وقررا أن تخرج جلوريا للعمل فى أحد الفنادق المملوكة للهنود فى المنطقة التى يقيمان فيها بدلاً من بقائها فى المنزل بدون فائدة، ثم زعم لها أنه سوف يقوم ببيع بعض الأمتعة التى اشتراها من قبل وصولها وقام بتخزينها فى حجرة أخرى، التحقت جلوريا بالعمل وباع ميرتون الأمتعة فى سوق "براس" .ظلا يدخران بعض النقود لفترة طويلة حتى اكتمل المبلغ المطلوب لعثمان كما زعم، وقرر ميرتون أن يرد المبلغ لعثمان لأنه عاد إلى لندن فى ذلك الوقت بدلا من أن يشترى له السيارة، واعتذر لجلوريا عن عدم وفائه لها بالوعد بشراء سيارة لها، ووعدها ألا يعرض نفسه لمثل هذه المشاكل مرة أخرى.

كانت جلوريا قد سمعت من بعض الأشخاص عن تصرفات ميرتون فى أوروبا، وقد أخبرتها بعض الفتيات اللاتى يدرسن معه أنه يقضى كل وقته فى الحانات للبحث عن الفتيات الأوروبيات، كما أنها سمعت أنه قد اغتصب فتاة برازيلية تدعى بتريسيا، وعلى الرغم من سماعها لكل ذلك فلم تصدق أيًا منها، فقد أكد لها ميرتون أن كل ذلك ما هو إلا ادعاءات يروجها يقين وزامبى لتشويه سمعته وتلطيخ اسمه، صدقته جلوريا لدرجة أنها كرهت يقيناً وزامبياً كرهاً كبيراً.

تغيرت حياتهما قليلاً بعد عودتهما إلى الوطن على الرغم من أنهما لم يرجعا بشيء يذكر، فالسيارة التى كانا يخططان لها لم يتمكنا من شرائها، حتى رؤية أوروبا التى كانت تتمناها جلوريا لم تتحقق لأنه كان منصرفًا عنها دائمًا بحجة الأعمال الهامة التى يزعم أنه مكلف بها، استمر ميرتون فى هذا السلوك، يرجع متأخراً فى الليل وكثيراً من الأحيان كان يبيت خارج المنزل مدعيًا أنه كان فى العمل.

وذات مساء وصلت أخبار لجلوريا عن طريق أحد جيران أمها تقول إنها طريحة الفراش من شدة المرض وتريد رؤيتها، قررت أن تذهب لزوجها تطلب منه الإذن للذهاب إلى أمها المريضة، توجهت إلى فندق كليمنجارو حيث يدعى ميرتون أنه يواصل فيه العمل المتعلق بالحزب والحكومة ليلاً، وصلت إلى الفندق، واتجهت إلى مكتب الاستعلامات لتسأل عن المكان الذى يعمل به ميرتون لأنها تريده فى أمر هام، أخبرها موظف الاستعلامات فى الفندق أنه قد ترك لها رسالة لتذهب إليه عندما تحضر، وهو فى انتظارها مع صديقه عثمان فى الطابق الخامس، آخر حجرة على اليمين، وأبلغها الموظف أنهما فى انتظارها منذ فترة طويلة.

دُهشت جلوريا لأنه لم يكن هناك أى موعد بينهما فى ذلك الوقت أو فى هذا المكان، واعتقدت أنه ربما يكون الأمر قد اختلط على موظف الاستعلامات، وأن الرسالة ليست لها، ثم قالت لنفسها أن تحاول أن تتبع كلام الموظف فربما تصل إلى ميرتون فى المكان الذى حدده لها الموظف، دخلت المصعد، وصعدت إلى الطابق الخامس، وذهبت فى اتجاه آخر حجرة على اليمين، وهناك أرادت أن تطرق باب الحجرة وتدخل

مباشرة، ولكنها رأت من الأفضل أن تسترق السمع لتعرف من بداخل الحجرة فربما لا يكون زوجها بالداخل فتواجه موقفا حرجا، خاصة أن صوت المتواجدين بالداخل كان مسموعًا بوضوح من الخارج، وسمعت صوت رجلين وامرأة واحدة، كانت هذه المرأة تضحك ضحكات فاضحة، وسمعت صوت رجل غير ميرتون يقول :

ميرتون هذا ابن حرام ! لم أقابل شخصاً في أوروبا يفوقه في لعب القمار، هل تذكر اليوم الذى خسرتَ فيه مبلغ ألف وخمسمائة الجنيه، الذى أعطاه لك أخوك الضابط جوردن لتشترى له به سيارة ؟ فعندما أرسلنى لكى آخذها منك لأشترى له السيارة ظننت أنك لن تدفعها، لكنك ابن حرام! دفعت المبلغ كاملاً ! وعندما قابلت أخاك فرح جداً بسيارته الموريس التى اشتريتها له بهذا المبلغ.

قال ميرتون :

– لا تذكرنى بهذا الأمر، فقد حصلت على هذا المبلغ بمشقة بالغة، ولو لم أدفعه لأخى لكان قد قتلنى أو أسقطنى من نظره، لقد اتصل بى أمس السيد ماك براون ليخبرنى أن صديقه جون جريجورى سيحضر هنا فى رحلة سياحية ويريد أن نرتب له برنامجاً سياحيًا وقبل أن يكمل ميرتون كلامه سمعت جلوريا صوت الفتاة تقول :

– تتحدثان طوال الوقت فى أموركما الخاصة ! يا عثمان اذهب إلى حجرتك وانتظر فتاتك القادمة إليك هناك ! وإن لم تذهب إلى حجرتك فسوف نبدأ ليلتنا أمامك !

شعرت جلوريا بالانهيار، فلم تعد قدماها تحملانها، شعرت بالحسرة والحزن من أعماقها، فأول ما خطر بعقلها هى خيانة ميرتون لها، لم تتخيل هذه الصدمة، فقد شعرت أنه يخونها طوال حياتها معه، فكرت فى أن تفتح الباب وتدخل عليهم ولكن لم تطاوعها يداها على فتح الباب، سمعت صوت عثمان يقول حقك يا جينى، لقد نلتِ ما تريدين ! ثم اقترب عثمان من باب الحجرة وهو يقول :

– انتبهى! فميرتون له طباع القطط، لا ينام على ظهره أبدا، فأنا أعرفه جيداً.

ابدئى ولا تخافى واعتبرينى غير موجود ! أو انتظرى حتى أنصرف !

عندما فتح عثمان الباب وقعت عيناه على جلوريا، أذهلته المفاجأة فلم يستطع النطق بكلمة واحدة، أخذ يرجع للوراء وهو ينظر إلى جلوريا، لم يسمع حتى صوت ميرتون وجينى عندما أمراه بالخروج لأنهما كانا قد تجردا من ملابسهما.

تقدمت جلوريا إلى الأمام بخطوات ثقيلة متابعة لعثمان، ثقلت خطاها وكأنها تمشى فى جنازة، أفسح لها عثمان الطريق واتكأ على الحائط وهو يحنى رأسه إلى أسفل، نظرت إليه جلوريا باحتقار ثم نظرت إلى السرير فوجدت ميرتون عارياً وقد استلقى على جينى وأخذ يقبلها وقد سيطرت عليه غريزته، عندما استطاع عثمان النطق بدأ ينادى بدون وعى ميرتون ! ميرتون! التفت ميرتون إلى عثمان الذى كان يشير له إلى جلوريا، فاستدار ميرتون بعينيه صوب الباب فوقع بصره على جلوريا، نظرت إليه بحسرة

ثم تركته وانصرفت غاضبة، ولم ترجع إليه إلا بعد أن أرسل إليها أكثر من عشرة رجال للتوسط له عندها وهو يرجو منها الصفح.

أنهى سفارى حديثه قائلاً :

– لم تعد جلوريا منذ ذلك الوقت تثق فى ميرتون على الإطلاق، فالذى سبب لها الآلام حقًا، أنه أجبرها على العمل الشاق فى مطابخ الهنود فى جلاسكو من أجل أن تسدد له ديونه التى استدانها فى القمار، وهو فى نفس الوقت يمارس غريزته مع نساء غيرها،

وهنا سأل يقين سفارى : ولكن لماذا حكت لك جلوريا هذه الأحداث ؟

قال سفارى :

– عندما نقلت جلوريا إلى المقر الرئيسى للشركة منذ خمسة أسابيع، وصلها خبر أننى أعمل فى هذا الفرع، لذلك بحثت عنى وعندما تقابلنا كان سؤالها الأول لى :

– هل حصلت على أمتعتك أم لا ؟ قلت لها لم أحصل عليها، فصدمت صدمة حقيقية، وقد أخبرتنى فى ذلك الوقت أن ميرتون قد باع أمتعتى فى سوق "براس" عندما كان يريد تسديد ديونه التى استدانها وخسرها فى القمار، لذلك قررت أن تبلغنى بما فعل ميرتون.

تنهد زامبى من أعماقه ثم قال :

– ميرتون هذا شخصية مزيفة !

قال سفارى :

– لقد قالت جلوريا نفس الكلام ! لكن الشيء الأسوأ أن هذا الشيطان مازال يعيش معها بنفس السلوك بعدما وعدها أن يصلح من شأنه، لذلك لم تنته حسرتها بعد، وقد حاولت أن تتحمل هذه التصرفات أملاً فى تحسن أحواله لكن بدون فائدة، وحتى الآن فهى تذهب إلى المستشفى لزيارته.

بعد صمت قصير قال زامبى وهو ينظر إلى يقين أنهما قد تقابلا مع جلوريا اليوم، وسألاها عما إذا كانت تعرف لماذا اتهم ميرتون يقيناً على وجه الخصوص، فأخبرتهما أنها لا تعلم شيئا عن ذلك لأن ميرتون لم يبلغها عمن ضربوه، قالت إن الذى تعرفه أن ميرتون قد ضُرب بالقرب من المنزل، وأن أخاه الضابط جوردن يقول أنهم يشكون فى شخص معين، لكنها لا تدرى أن الشخص المتهم هو أنت، وقد قالت إذا كان ميرتون قد اتهم يقيناً فعلا، فإن هذا يزيدنى احتقاراً له، وسوف تحاول أن تسأله عن حقيقة ادعائه للشرطة.

وبينما هم يتحدثون فيما حدث بين سفارى وجلوريا وصل المخبر السرى كويلو بيمبى، فرحبوا به وجلس بينهم، لم يظهر عليه هذه المرة أنه من رجال الشرطة، فلم يكن قد حلق ذقنه أو شعره كعادة رجال الشرطة، سأل عن حال يقين وواساه على ما حدث له.

قدمه يقين لصديقيه ثم قال لسفارى :

– هذا هو رجل الشرطة الذى جاء وأخذنى فى المرتين السابقتين إلى مركز الشرطة.

انحنى كويلو برأسه ثم قال بصوت منخفض :

– معـذرة، فإننى كنت أقوم بواجبى كرجل شرطة فقط، فلو أصدر رئيسكم فى العمل تعليماته لكم بالقيام بأى مهمـة تابـعة للعمل أصدر فلا يمكنكم عصيانه.

سألته تيريزا بفضول :

– لكنك بدون شك تحب عملك وتخلص له ؟

رد عليها كويلو :

– أبداً، لا أحب هذا العمل، لكنه عـملى الذى أرتزق منه، ولو كنت قد تقدمت فى دراستى أكثر من ذلك لكنت اختـرت عمـلا غيره ولكن ما باليد حيلة، فلم يكن بيدى الاختيار، فمثل هذا العمل لا يصلح لرجل متدين مثلى.

كان كويلو يقول ذلك وهو ينظر إلى الأرض ويرسم بعض الأشكال بحذائه على الأرض.

واصل كلامه بعد فترة قائلاً :

على سبيل المثال ما حدث أمس، كنت أدرك جيداً ما سيحدث لكن الضابط جوردن قد أمرنى أن أذهب لإحضارك ولا أرجع من غيرك مهما طال انتظارى لك، وكنت أتمنى أن أخبرك بما سيحدث لك لكن واجبى الوظيفى يحول بينى وبين ذلك، وعندما سمعت صرخاتك ورأيت حالك عند خروجك من عنده شعرت بالأسى والحزن العميق.

كان يقين وأصحابه ينظرون إليه بشفقة و دهشة مما يسمعونه منه، جلسوا صامتين وكأنهم فقدوا النطق، فلم ينطق أحد منهم بكلمة واحدة، سعل كوبلو سعالاً شديداً وجافًا مما جعل جسمه البدين يهتز بشدة، وظل يسعل لمدة دقيقة على الأقل، وهو يضع يده على فمه، وبعدما توقف السعال بدأت عيناه تدمعان بغزارة من ألم السعال، واساه زامبى على ذلك.

قال كوبلو بصوت منخفض وفى عينيه خوف من شيء ما :

– هذا مرض صدرى كنت قد أُصبت به منذ ثلاث سنوات وتركنى بعد مشقة، ولم أجد له علاجًا حتى الآن.

قال له زامبى موضحًا : ربما يكون هناك بعض المشاكل الصحية فى الرئتين.

رد كوبلو قائلاً : هذا ما أكده لى الأطباء، ولكنهم فشلوا فى علاجى، وقالوا إن علاجى لا يتوفر فى البلاد ولابد من السفر للعلاج بالخارج، ولكن المشاكل الاقتصادية فى البلاد تحول بينى وبين ذلك.

بعد فترة قصيرة بدأ كوبلو يتحدث بخصوص قضية يقين فقال :

– فى الحقيقة أننا عندما توجهنا إلى المستشفى لسؤال ميرتون عما حدث، وإذا كان يعرف الذين ضربوه أو لا، أنكر فى البداية أن يكون قد ضُرب، وقال إنه قد سقط على الأرض من كثرة احتسائه للبيرة، وعندما بحثنا فى الأمر وهددناه أننا لن نسمح للأطباء بعلاجه اعترف بأنه قد ضرب، لكنه لا يعرف من الذين ضربوه، وفى صباح أمس جاء

الضابط جوردن الذى لم أكن أعرف أنه أخ لميرتون وطلب ملف القضية حتى يحقق فيها بنفسه للبحث عن هؤلاء المارقين، وجاء إلى مكتبى وطلب منى معلومات أكثر عن القضية بحجة أن ميرتون شخصية هامة فى الحزب والحكومة، وعلاوة على ذلك فهو أخوه، وكان لديه شك غير عادى فى مجرى الأمور وأمرنا أن نأتى إليك ونحضرك يا سيد يقين، وادعى أنك أنت الذى قمت باستئجار هؤلاء المارقين لضربه بسبب المشاجرة التى كانت بينكما فى أوروبا، وعندما استدعيناك إلى مركز الشرطة غادرها الضابط جوردن إلى المستشفى تاركًا التحقيقات لضابط آخر، وعندما قرأ الأقوال التى أدليت بها ثار وغضب جداً ثم قال إنك لا تستحق الخروج بضمان، ثم تعهد أنه عند حضورك يوم الاثنين القادم لن يتركك تخرج، وقد رأيته أمس يكتب أقوالاً أخرى غير التى أدليت بها، وبعد أن انتهى من كتابتها أرسلنى لاستدعائك، وقال إن هذه المرة سوف يتأكد من توقيعك على هذه الأقوال بنفسه، ومن هنا أدركت أنه قد غير فى الأقوال التى أخذناها منك فى المرة الأولى، وهذه الأمور كثيراً ما تحدث فى الشرطة ونراها بأنفسنا، فكلنا يحيا حياة زائفة، وليس هناك إنسان يعيش بدون خداع أو رشوة فى هذه الأيام، وهذا الذى يؤلمنى وضميرى يعذبنى وقد عاهدت نفسى وزوجتى ألا أشترك فى هذه الأمور وأقف مع الحق دائمًا.

هدأ قليلا ثم استرسل قائلا :

أعتقد أن هناك شيئًا ما يخطط له الضابط جوردن، وإذا حدث ذلك سوف أشهد معك بأن هذه الاعترافات قد كتبها الضابط جوردن بنفسه

ويريد أن يجبرك على التوقيع عليها، سأشهد بذلك وليكن ما يكون! فقد سئمت هذا الوضع المخجل.

نظر كويلو إلى يقين وأصحابه وكان يبدو عليه الألم فوجهه يشير إلى شيء ما يؤلمه، ولكن لم يعرف الأصحاب ما الذي يؤلمه.

أخيرا تحدث زامبي بصوت منخفض وبتفكير عميق قائلاً :

– عجبا! مازال هناك حمل وديع يعيش في الغابة المليئة بالثعالب والضباع والنسور، وأخذ زامبي يروي قليلاً مما يعرفه عن ميرتون، سلوكه الذي يعرفه عنه عندما كان في أوروبا، علاوة على ما روته زوجته جلوريا لسفاري وزامبي وقولها بأنها لا تدري أن ميرتون قد اتهم يقيناً على وجه الخصوص.

استمع كويلو لما رواه الأصدقاء وهو منكس الرأس معبراً عن أسفه لما حدث، وعندما انتهى الحديث طلب الإذن بالانصراف، وأثناء انصرافه ووداعه لهم قال ليقين :

– أتمنى أن أكون شجاعًا مثلك وأنطق بالحق، تعلم أن طبيعتي كجندي قد بدأت تتغير قليلا منذ اشتراكي في قمع المظاهرات الطلابية في الجامعة، فقد قرأت تلك المنشورات التي كان يوزعها الطلاب، وفهمت ما كتب فيها، ولم أدر لماذا أرسلونا لقمع هذه المظاهرات، وما قيل عنها في التقارير الإخبارية جعلني أشعر وللمرة الأولى أننا لا نحافظ على أمن الوطن ولكننا نحمي شيئًا آخر، وأدركت أن مسئولية الشرطة الأساسية الوقوف ضد الرعية وليس هناك من لا يخشى الشرطة وهذه

هى الكارثة بعينها، ومعظم الذين يحكموننا ينسبون لأنفسهم صفات عظيمة ليست فيهم، إلى اللقاء يا أصدقاء ! ودعهم وانصرف.

وقف يقين والأصدقاء ينظرون إلى كويلو بدهشة كبيرة وفى النهاية قال يقين :

– هذا رجل عجيب جداً، كما أن هذه الليلة مليئة بالمفاجآت، لم أكن أعلم أنه مازال هناك أشخاص تعذبهم ضمائرهم فى بيئة مثل التى نعيش فيها مما لا تعطى الضعيف حقه، نعيش فى بيئة غريبة كما قال فيها الأستاذ جمعة بهالو فى :

يُلام الضعيف على ضيقه

والكثيرون يسلبونه حقه

وإذا تكلم لا يجد من يصدقه

ومن أجل أن يأخذ حقه

لابد أن يصبح مفترساً.

رجع الجميع إلى الداخل، لم يرد أحد بكلمة، وبعد فترة قصيرة، استأذن زامبى وسفارى للانصراف، عندما علم زامبى أن يقيناً سوف يذهب لزيارة الشيخ ماجيكوندو مساء الغد طلب من يقين أن ينتظره لأنه يريد أن يذهب لزيارة هذا الرجل الذى طالما سمع عنه من يقين، وقد وعد أن يصحب معه أم صادق ليتعرف الجميع على هذا الشيخ الطيب.

الفصل السابع

جون جريجورى وكنجير مع ميرتون

جاء الغد وكان يوم السبت، كانت الشمس محرقة جدا، وعلى الرغم من ذلك قرر يقين وتيريزا وبصحبتهما زامبى وأم صادق الذهاب إلى منزل الشيخ ماجيكوندو سيراً على الأقدام حتى تكون هناك فرصة للحديث معاً ويتمتعوا بالمناظر الطبيعية الواقعة فى الطريق ولن يتمكنوا من رؤيتها من خلال الحافلة، وصلوا إلى منزل الشيخ ماجيكوندو، ظلوا معه لمدة ساعتين كاملتين، لم تكن صحته سيئة للغاية كما توقعوا، وقد منحته زيارتهم له بعض القوة والتفاؤل، كان يعيش حياة صعبة بدون شك، لأنه يعيش وحيداً فى المنزل لسنوات طويلة من غير أنيس يؤنس وحدته .

أخبروه بما حدث ليقين، شرحوا له سلوك ميرتون مع زوجته وعثمان تشاوبيلى، كما أخبروه بما حدث مع الضابط جوردن والمخبر السرى كويلو، كان الشيخ ماجيكوندو يستمع إليهم فى هدوء وتدبر، لم يقاطعهم مطلقاً حتى عندما كانوا يثورون فى حديثهم أو يسبون أحداً، أجمع الكل على ما قيل وانتهى كلامهم وظلوا فى صمت لفترة طويلة .

رفع الشيخ ماجيكوندو رأسه أخيراً ونظر إلى هؤلاء الشباب وابتلع ريقه ثم تكلم بنبرة هادئة فقال :

- إذا كان ما سمعتموه من كويلو صحيحًا فقد انتصر أخيراً الخير الذى بداخله، فعادة لا يكون للشرطة قلبٌ، فكل ما يعرفونه هو الأوامر: تعال هنا ! اذهب إلى هناك ! هذه هى الكلمات التى تجعل قلوبهم قاسية وتبعدهم عن الرحمة والإنسانية ,وعقولهم محصورة فى أسلحتهم فقط، لكن هذه الصفات ليست فى رجال الشرطة فحسب، بل يمكن أن نوصف بها نحن أيضًا، فالإنسانية لا تختلف فى داخلنا وتظهر دائمًا فى علاقاتنا مع الآخرين، وتُختبر إنسانيتنا دائمًا مع الثروة والجاه والسلطان، لا تندهشوا يا أبنائى فإن حياة العزلة التى أعيشها جعلتنى أنظر للمشاكل بمنظور مختلف عنكم لأننى أفكر كثيراً فى الأمر قبل الحكم عليه.

مكث الجميع فى صمت ينظرون إلى هذا الشيخ وكأنهم يرونه للمرة الأولى، هذه الكلمات التى قالها ليقين كأنها مستقاة من الكتب، شعر يقين أن الشيخ قد كشف له الكثير من المعرفة المدفونة فى نفس يقين طوال حياته الماضية، ما قاله الشيخ ماجيكوندو كان يجول فى صدر يقين لكنه لم يدركه وقد عبر عنه الشيخ أكثر من يقين نفسه.

استأنف الشيخ كلامه قائلاً :

- لا أدرى كيف يمكنكم أن تفسروا لنا هذه الأمور يا من تعلمتم فى الجامعات ؟ كيف يمكن للمرء أن يحلل شخصية كشخصية ميرتون ؟

على الرغم من الذى أعرفه عن والده، لكنه لم يكن شريراً هكذا، فقد كان يؤمن بمبادئ نابعة من أصولنا الأفريقية ويعمل على تطبيقها، لكن ماذا نسمى ما يفعله ميرتون وأخوه هذا ؟

ثم نظر إلى يقين وسأله :

– ماذا تقول الكتب فى ذلك ؟

بعد صمت قصير أجابه يقين قائلاً :

– ما أعرفه فى هذا الشأن أن شخصية المرء تنبع من البيئة التى يعيش فيها لذلك فإن شخصية ميرتون نابعة من بيئتنا.

تبسم الشيخ ماجيكوندو، نظر إليه زامبى وأدرك أنه لا يعرف شيئا عندما يقارن نفسه بحكمة وثقافة هذا الرجل، وقد أدرك أن إجابة يقين لم ترض هذا الشيخ الذى يدرك تماماً الإجابة على هذا السؤال.

قال الشيخ ماجيكوندو :

– لو كانت الكتب تقول ذلك، إذن فنحن الناس العاديين لا نعرف شيئًا، فأنا مثلاً لم أُولد فى مدينة دار السلام، لكننى يمكن أن أعرف الكثير عن طفولتى وأنا فى هذا العمر، وأعتقد منذ طفولتى أن الساحر مشرك بالله وإيمانه باطل غير مبنى على أسس، فالساحر كان دائمًا يعيش منعزلاً عن الناس، أتذكر ذات يوم سمع الناس صرخات فى القرية فأسرع الجميع إلى مصدرها، إلا رجلاً لم يذهب إلى مكان الصراخ، قالوا عنه فى ذلك الوقت إنه ساحر، فماذا يعنى هذا القول ؟ لقد قصدوا أن أهل القرية جميعاً لابد أن يشاركوا فى السراء والضراء،

وإذا مات المرء جوعًا تأثر به كل المجتمع، وكان مسئولاً عنه، والذى ينعزل عن الناس فى مصائبهم شخص يحب نفسه، لذلك لم يشترك بعض الناس فى الإضرابات التى كان يقوم بها العمال، لأن هؤلاء الناس يسعون للمصالح الشخصية أكثر من سعيهم للمصلحة العامة للوطن، ومثل هؤلاء الناس معروفون لا يحتاجون إلى تفكير عميق لكشف شخصياتهم.

وضع الشيخ يده على صدره ثم قال :

- إن هذه الأشياء تُحس بالقلب، لأن القلب لا يموت أبدًا، لكن العقل عندما يضل يقتل الإحساس فينا، فالجمال هو المعنى الحقيقى للحياة ويقف دائمًا ضد القُبح، فالمجتمع ليس أمة من الناس فحسب، لكنه علاقات إنسانية بين أفراده ليكتمل هذا المجتمع، والمجتمع التى تحكمه مثل هذه الأنانية التى نلمسها الآن يكون مانعًا لكل ما هو جميل، وماحيًا لكل أسباب العدل، فالمرء ليس فى حاجة إلى تفكير لمعرفة أن عثمان وميرتون وأخاه لصوص.

اندهش الجميع؛ لأنهم لم يتوقعوا أن يسمعوا كلامًا مثل ذلك، فقد كان الشيخ يتكلم بثقة كبيرة وهو يتحدث وكأنه متأكد تمامًا مما يقول.

أرادت تيريزا أن تخرج من حالة المرارة التى تسيطر عليها فقالت :

سيدى، ليس من السهل إثبات أن ميرتون وأصحابه لصوصٌ، لأنه ليس هناك أى دليل على ذلك، ولا أدرى ما العلاقة بين ذلك واتهامه ليقين.

نظر الشيخ ماجيكوندو إليها لفترة ثم قال :

– إذن لماذا اتهمكم ببعض الأمور فى أوروبا ؟ ألا تدرين أنه كان يخفى كل شروره التى لم تكن لها علاقة بكم ؟ فى أيام الاستعمار، رأينا الأوروبيين وهم يفعلون كل الموبقات بالإضافة إلى السرقة ثم يتهمون الأفارقة بها، وهذا الأمر يفعله الآن ورثتهم، فإذا اختلسوا المال أو سرقوه فمن الذى يُتهم باختلاسه وسرقته غير الضعفاء والعامة من الناس، هذا هو الميراث الحضارى الذى تركه لنا الأوربيون، وكان الورثة الحقيقيون هم ميرتون وأصحابه.

سأله يقين :

– فماذا عن زامبى ؟ لماذا لم يتهمه ؟

رد الشيخ ماجيكوندو بحسم :

– كل إنسان له نقطة ضعف، وأنت الذى كنت تكشف دائمًا عن نقاط ضعفه.

قال زامبى :

– لكنه يكرهنى أنا أكثر من كراهيته ليقين.

قال الشيخ :

– وهذا هو السبب، اسمع: سوف أخبرك بشىء واحد، ميرتون ليس مجنونًا كما وصفتموه، فهو يعلم جيداً ماذا يفعل! كما يعلم تماماً أن حياته زائفة، وهذه حقيقة يعلمها جيداً، لكن الذى يعيش مثل هذه الحياة الزائفة لابد أن يدرك تمامًا ما يفعله، فالشر حرفة ولابد لها من محترف.

وقف الشيخ ثم قال :

- انتظروني سوف أقوم بعمل بعض الشاى مرة أخرى لأنه لا يوجد غيره فى بيتى.

قال الجميع له فى صوت واحد : لا، لا ...

وطلبوا منه الإذن بالانصراف على وعد بزيارته مرة أخرى قريبًا، سمح لهم الشيخ ماجيكوندو بالانصراف وطلب منهم ألا يحرموه من زيارتهم باستمرار حتى يأنس بهم، خرجوا من عنده بعد أن صافحهم جميعًا، وأمسك بيد يقين لفترة ونظر إليه وعيناه مغرورقتان بالدموع فشعر يقين بالحزن فأحنى رأسه إلى الأرض.

قال الشيخ ليقين بصوت منخفض :

- أعرف ما تشعر به يا يقين، لكن ذلك لا يخيفك أبداً، فأنت مازلت شاباً وعندما تكبر وتصل لمثل عمرى ستدرك الكثير، أراك عاطفياً جداً أنت وصاحبك زامبى، فلكل منكما قلب كبير، يا بنى ! إن جسداً برأس من غير قلب يستحق أن تأكله الضباع والنسور، فالعقل يمكن أن يتوه أما حب الناس فلا يمكن أن يموت.

أخيرا غادروا المكان، سار الجميع فى صمت، كل منهم سابح فى أفكاره، ساروا غير مبالين بالرائحة الكريهة التى تنبعث من مياه الصرف الصحى الراكدة فى الشارع والقاذورات المنتشرة فى منطقة مانسيزى التى يتجاهلها مجلس المدينة غير المبالى بها، المهتم بغيرها حيث يقيم كبار المسئولين.

نظر زامبى إلى أصدقائه فوجد كلاً منهم غارقًا فى أفكاره، تبسم ضاحكًا ثم قال لهم ساخراً كعادته :

أى تلاميذ أنتم ؟

التفت إليه أصدقاؤه فى دهشة، ثم نظروا إلى أنفسهم وفيما حولهم ليروا إذا كان هناك تلاميذ حولهم فلم يجدوا، ونظروا إليه مرة أخرى فوجدوه مازال ينظر إليهم ويضحك، وقفوا جميعًا مندهشين وتساءلوا ماذا حدث لزامبى ؟

ظل زامبى فى ضحكاته الساخرة ثم قال لهم :

– هيا يا أصدقاء، فلنذهب، واتبعوه وهم مندهشون، وسألته أم صادق :

– ما الذى جعلك تنادينا بالتلاميذ ؟

نظر إليها زامبى ثم ضحك بصوت مرتفع وقال :

– نعم أسألكم أى تلاميذ أنتم، لأنكم قد نسيتم ما تعلمتموه بمجرد الخروج من الفصل، ألم تسمعوا أن الإنسان لابد أن يحكم بقلبه وليس بعقله ؟ فالحب والكراهية، والحزن والفرح ...الخ، كلها أفكار تنبع من القلب وليس من العقل، كأننى كنت أستمع اليوم لوالدى فى المنزل، فالفم يغنى والأقدام ترقص تلبية لأوامر تصدر من القلب، فأنت يا يقين لا تحب تيريزا بسبب العلم الذى جمعكما أو الفكر الذى اشتركتما فى نشره أثناء الدراسة فى الجامعة، إنما تحبها لأن القلب قد أمرك بذلك!

ساد جو من السرور وضحكوا جميعا مع زامبى، ثم رد يقين على زامبى قائلا :

– لكن القلب لا يحكم بأن شخصاً ما لص.

رد زامبى ضاحكا بسخرية :

– آه ! رجعنا مرة أخرى إلى ما يثير النكد، دعك من هذا الجهل! ألم تر فى يوم ما شخصاً وتقرر أنه كذا وكذا، ثم تكون فراستك فيه صحيحة؟ ألم تشعر ولو مرة واحدة بخوف من شىء ما ثم يحدث! أم أنت من هؤلاء الذين يحاولون قتل أحاسيسهم ؟

شعر يقين بسمة جديدة ظهرت فى سلوك زامبى، أدرك أن ضحكاته الساخرة ما هى إلا تعبير عن أمر هام يريد أن يوضحه، وهذا السر قد كشفه الشيخ ماجيكوندو، فإن زامبى يستفتى قلبه فى كل تصرفاته.

اقتربوا من الطريق وقرروا فى هذه المرة أن يستقلوا الحافلة بدلاً من السير على الأقدام، وفى الطريق وجدوا أمة من الناس تتزاحم كعادة أهل مانسيزى، بالإضافة إلى الحشد الهائل من السيارات المختلفة، بدءاً من عربات اليد والدراجات، والدراجات البخارية وانتهاء بسيارات الأجرة، هذا الزحام ذكرهم بقول معظم السائقين بأن منطقة مانسيزى هى أصعب منطقة لمرور السيارات، ومما يزيد من صعوبة المرور – علاوة على كثافة السيارات – كثرة الحفر فى الشوارع والانتشار المخيف لسيارات نقل الركاب من المدينة إلى الأرياف والعكس، هذه السيارات تسير دائماً فى سباق فيما بينها لجمع أكبر عدد من الركاب من الطريق،

لدرجة أنها تسبب الكثير من الحوادث التى غالبًا ما يكون ضحاياها من الأبرياء ولكن لا حياة لمن تنادى من المسئولين.

لم يكن هذا الحشد من المسافرين فحسب، بل كان منهم الباعة المتجولون فى الأسواق وباعة الأطعمة والمشروبات وغيرها .

وقبل أن يعبر يقين وأصحابه الطريق إلى محطة الحافلات، سمعوا صيحات تحذيرية قادمة من الجانب الآخر من الطريق تحذرهم من عبور الطريق، فنظروا إلى الجهة اليسرى فإذا بهم يرون سيارة ماركة "موريس" صغيرة صفراء اللون قادمة بسرعة كبيرة وكأنها تسير خارج المدينة فى طريق سريع خالٍ من السيارات، علاوة على سرعة هذه السيارة كانت تصدر صوتًا مزعجًا من نفيرها كأنها مسرعة لإنقاذ حياة شخصٍ ما، اقتربت هذه السيارة من يقين وأصحابه، تحقق يقين ممن بداخلها، فصاح على أصدقائه : إن الذين بداخلها هم الضابط جوردن وعثمان تشاوبيلى، عندما تطلع زامبى وأصحابه إلى أعلى لينظروا إليها سمعوا صوت طلقات نارية فطأطئوا رءوسهم بسرعة.

وسمعوا ضوضاء قادمة من جانبهم الأيمن، صاح الناس أن أحد الأشخاص قد توفى، أسكت هذا الصياح بصوت طلقات نارية صادرة من مكان قريب من يقين وأصحابه، وفجأة مرت من أمامهم سيارة أخرى، حمراء اللون ماركة "رانجروفر" يقودها أحد الهنود وبجواره أحد الأوروبيين وقد أخرج رأسه من نافذة السيارة وفى يده بندقية مصوبة للأمام، ظل الناس يصرخون ! أنتم القتلة ! صرخات ذعر و حزن صادرة من هنا وهناك , تفرق الناس بسرعة كالدجاج عندما يرى

النسور، نظر يقين لأصحابه ،حرك زامبى شفتيه يريد أن يقول شيئًا ما لكن صوته لم يُسمع لحدوث صوت صدام هائل بين سيارة وجسم صلب، عندما نظروا إلى مصدر الصوت رأوا عربة محملة بالذرة مقلوبة وجوالات الذرة مبعثرة حولها، وبجوارها رجل مستلق على الأرض، انصرفت السيارة الحمراء في طريقها دون اهتمام بما حدث.

وقف يقين وأصحابه على يمين الطريق حيث كانت هناك صيحات أخرى، كان الناس يعبرون الطريق، ذهب بعضهم ليعرفوا من الذى صدمته السيارة الموريس، والبعض الآخر يبحثون عن أحجار صغيرة أو أية أسلحة يهاجمون بها أصحاب السيارة، تابع يقين وأصحابه اندفاع الناس نحو السيارة، وصلوا إلى مكان الحادث، وجدوا الناس يحملون الأحجار والطوب فى أيديهم، اندهشوا عندما رأوا سيارة الضابط جوردن هى التى صدمت ذلك الرجل، وقد دخلت بعد ذلك فى حفرة كبيرة بجانب الرصيف.

التف الناس حول هذه السيارة، وبدءوا يهاجمون الضابط جوردن بالحجارة والطوب وبكل ما فى أيديهم، صرخ الناس حزنًا، وظلوا يهتفون ببعض الكلمات التى كانت مكتومة في صدورهم منذ زمن طويل فقالوا :

- ألم تكتفوا بما عندكم من أموال، حتى تأتوا وتقتلونا بسياراتكم أيضًا!

كانت هناك سيدة ترتدى خمارًا تقف أمام يقين وأصحابه قد تأثرت بالموقف وحاولت دفع الناس أمامها لتقذف بقطعة كبيرة من الطوب إلى

حيث يقف الضابط، صرخت طالبة من الناس أن يفسحوا لها الطريق كى تصل إليه فلم تستطع، لكنها لم تُمنع من أن تقول ما فى قلبها :

– هذه السيارات التى تقتلوننا بها قد حصلتم عليها بسرقة أموالنا! ولم تكتفوا بذلك ! بل وتأخذون منا الضرائب بحجة استخدامها فى تمهيد الطرق! فأين هذه الطرق الممهدة كما تدعون ؟ هل هناك من يقود السيارات بهذه السرعة فى الأماكن التى تقيمون فيها ؟ حتى أرواح الناس لا تعيرونها اهتمامًا !

ابتلعت ريقها ثم أعطت قطعة الطوب التى بيدها إلى أحد الرجال الواقفين بجوارها بدون سلاح فى يده، وتجمع المئات من الناس ليعبروا عن غضبهم، كان بعضهم مندفعًا للأمام بقوة وغضب كالخرتيت، ابتعد يقين وأصحابه قليلاً تجنبًا لما قد يحدث من هؤلاء المندفعين، لكنهم طُرحوا أرضًا كجوالات الذرة من شدة اندفاع الناس فنهضوا بسرعة وفروا إلى أحد الأرصفة ليقفوا بجانبه حتى لا تدوسهم جماهير الناس الغاضبة.

وسمعوا فجأة أصواتًا كثيرة قادمة من ناحية السيارة التى هاجمها الناس، صاح الناس صيحات ممزوجة بالفرح: الماس ! الماس ! الماس ! النقود ! زاد تدافع الناس بصورة كبيرة، صعد أحد الشباب فوق السيارة ولم يبال بالأحجار التى كانت تُقذف عليها، كان يمسك حقيبة بيده، كانت هذه الحقيبة ممزقة لذلك خرجت منها الأوراق النقدية علاوة على الكثير من قطع الماس، فتح هذا الشاب الحقيبة، وأخذ يبعثر فى هذه الأوراق وقطع الماس ويصرخ قائلاً :

– هل رأيتم، هؤلاء هم اللصوص الحقيقيون ! هم الذين يسرقون ويتهموننا نحن أهل مانسيزى بأننا قطاع طرق ولصوص !

توقف الناس عن قذف الحجارة، وبدءوا يتشاجرون على النقود والماس، قفز هذا الشاب من أعلى السيارة، وجرى بما تبقى معه من نقود وماس وقد تبعه بعض الشباب.

وقف يقين وأصحابه ينظرون بحزن وأسى ،لم يصدقوا ما يحدث أمامهم، سمعوا فجأة صوت سيارة الشرطة قادمة من بعيد، وبدأ الناس يتفرقون هنا وهناك مسرعين بما لديهم قبل وصول الشرطة، وكذلك انصرف يقين وأصحابه، تنحوا جانبًا بجوار أحد المحلات ووقفوا يراقبون الموقف على بعد، نظروا إلى السيارة المرجومة فلم يجدوا أحداً من الناس بجوارها، كانت السيارة قد رُشقت بالحجارة، وعلى بابها يستلقى جسدان لرجلين غارقيْن فى دمائهما، ولا يعلم أحد ما إذا كانا قد فارقا الحياة أو لا، تناثر الماس والنقود التى بقيت حول السيارة المرجومة، لم يستطع يقين وأصحابه النظر مرة أخرى تجاه هذه السيارة، صاح يقين فى أصحابه ليتحركوا ويغادروا المكان، غادر الجميع المكان وكل منهم يحنى رأسه كالكبش المضروب بفأس على رأسه.

قالت أم صادق :

– نحن نعيش حياة الغابة، البقاء فيها للأقوى، لم أر فى حياتى مثل ما رأيت اليوم، لقد سمعت كثيراً أن السائق عندما يدهس شخصاً بسيارته يجرى هرباً ويتجه إلى الشرطة خوفًا من انتقام أهل الضحية، ولم أعتقد أن الأمر يصل لهذا الحد .

رفع زامبى وجهه ونظر إلى أم صادق ثم أحنى رأسه مرة أخرى وقال بصوت منخفض :

– إن أردتِ أن تقتلى شخصًا هنا، نادى فقط وقولى امسك لصًا ! ستوجه له الضربات من كل مكان حتى الموت، فالمجتمع لا يريد بينه لصوصًا من أى نوع، سواء أكانوا كبارًا أم صغارًا، أم من هؤلاء الذين يستخدمون ثروتهم وسيارتهم فى إزهاق أرواح الناس .

تغير صوت زامبى أثناء الحديث ثم استرسل مؤكدًا :

خاصة هؤلاء الذين يقودون سيارات الركاب الصغيرة ويتسابقون فى الطرق للفوز بأكبر عدد من الركاب دون أخذ سلامة أرواح الركاب أو المارة فى الاعتبار .

تردد زامبى فجأة فى سيره ثم نظر إلى أصدقائه وكأنه قد طرأت عليه فكرة ما، فوقف الأصدقاء أيضا ونظروا إليه منتظرين معرفة ما يفكر فيه، نظر زامبِى إلى مكان الحادث فوجده قد امتلأ بسيارات الشرطة ذات الإشارات الضوئية المتحركة، ونظر فى ساعته ثم قال :

– الساعة الآن الرابعة تمامًا وهذا أنسب وقت لزيارة المرضى فى المستشفيات.

نظر يقين إلى زامبى فى ريبة ثم قال :

– ماذا تقصد يا زامبى ؟ لم تخبرنى أن هناك مريضًا فى مستشفى مهومبيلى!

ظهر الضحك فى عينى زامبى كالطفل البرىء، ونظر إلى أصدقائه وتبسم ثم قال :

– هيا نذهب للمستشفى لزيارة ميرتون.

قالت له تيريزا بصوت حاد ملىء بالدهشة : هل جننت يا زامبى ؟

رد عليها زامبى وهو يضحك :

– إنما أنتم المجانين ! من الذى كان يُقذف بالحجارة هناك ؟ من أين جاءت هذه النقود وهذا الماس ؟ أليس الذى ضُرب هو الضابط جوردن ؟ ألم يكن هو وعثمان ؟ ألم تصدقوا أنهما لصان ؟

هذه الأسئلة المتلاحقة جعلت زامبى يشعر بالراحة فامتنع عن الضحك نهائيًا فى ذلك الوقت، ونظر إلى أصدقائه بتدبر ليعرف رد فعلهم ثم استدار إلى يقين وقال :

– يا يقين، أنت قلت إنك تريد معرفة سبب اتهامك أنت خاصة، وما الذى حدث بالتحديد، والحقيقة نائمة مع ميرتون فى المستشفى، وهذا الأوروبى – إن كنتم لم تعرفوه – بالتأكيد هو صديقه ماك برون ومعه جون جريجورى اللذان قد تحدث عنهما ميرتون وعثمان وسمعتهما جلوريا فى فندق كليمنجارو ، هل مازلتم لا تدركون الأمر حتى بعدما رأيتم الماس والنقود .

قبل أن يوافقوا زامبى على رأيه كان زامبى قد استوقف سيارة أجرة ودخل فيها ثم أخرج رأسه من النافذة وقال لهم :

– ألا تركبون ؟!

لم يعارضوا ودخلوا السيارة بهدوء وهم غير راضين عن تصرف زامبى، لم يجدوا مشقة فى الوصول إلى ميرتون بالمستشفى، ساعدتهم الفتاة التى تعمل فى الاستقبال عندما أبلغها زامبى أنه زميل لميرتون فى العمل، استعرضت الفتاة ملفات المرضى بسرعة حتى عرفت الحجرة التى يرقد فيها ميرتون، ثم قالت فى سرور كيف لا أساعد شخصية هامة أخرى مثل ميرتون، تبسمت بتكلف، رد لها زامبى الابتسامة وغمز لها برمشه ثم نظر إلى أصدقائه وغمز لهم أيضا .

كان زامبى هادئًا جداً فى تصرفاته مما يدل على أنه يثق فيما يفعل على الرغم من نظرة الريبة التى تبدو على أصدقائه، تصرف زامبى وكأنه ممثل سينمائى أمريكى، يزداد ثقة فى نفسه كلما أحرز تقدما فيما يريد، انصرف الجميع متجهين إلى حجرة ميرتون، قال زامبى ضاحكًا :

– هل رأيتم ؟ كل من بالمستشفى يعلم أن ميرتون شخصية هامة ! مسكين حقًا من ليس له ظهر! فقد تخيلت الفتاة أنها يمكن أن تُرقى فى يوما ما بمساعدة هذه الشخصية الهامة، حقا إن المناصب لها سحرها !

ضحك زامبى بصوت مرتفع لدرجة أنه قد نسى أنه فى مستشفى، ونهرته أم صادق بشدة قائلة له إنهم فى مستشفى وليسوا فى حانة. هدأ زامبى ونظر حوله فوجد الناس التى تسير بجواره ومن يمر بهم فى طرقات المستشفى ينظرون إليه بدهشة، تساءل هؤلاء الناس عما إذا كان قد جاء هنا لزيارة مريض أو لإزعاج المرضى ؟

تحشم زامبى قليلاً، ودخلوا المبنى الذى وصف لهم، صعدوا إلى الطابق الثالث حيث يُحجز مرضى الدرجة الأولى، تقدم زامبى الأصدقاء وفتح باب الحجرة دون استئذان، ونظر من الباب إلى الداخل فوجد جلوريا فألقى عليها السلام ثم قال :

– كيف حالكِ يا جلوريا ؟ كيف حضرت إلى هنا بهذه السرعة ؟ أعتقد أنه يمكن لنا زيارة المريض بدون شك .

دخل زامبى الحجرة قبل أن يسمع الإجابة، وحث أصدقاءه على الدخول، وصلوا إلى السرير الذى يرقد فيه ميرتون، نظروا إليه، فنظر إليهم وهو غير مصدق ما يراه أمامه، كان ميرتون يربط رأسه ويده اليسرى، وكان وجهه مليئًا بالجروح وكأن نمراً قد هاجمه بمخالبه، وكان زامبى أول من تحدث فقال :

– أخى ميرتون لقد أسفت جدا لما أصابك .

شكره ميرتون وهو ينظر إليه بريبة، دخل يقين وتيريزا ثم أم صادق، وواسوا ميرتون،كما فعل زامبى، قدموا أسفهم لما حدث له، استدار زامبى إلى زوجته قائلاً :

– هذا هو ميرتون الذى كنت تسمعين عنه طوال الوقت.

استدار إلى ميرتون وجلوريا ثم قال لهما :

– هذه أم صادق زوجتى التى لم تروها من قبل.

بعد صمت قصير، نظر زامبى إلى ميرتون بتدبر ثم سأله :

– كيف حدث لك ذلك ومن هؤلاء الذين ضربوك ؟

لم يرد ميرتون بشيء، رفع عينيه ونظر إليهم وهم ملتفون حوله نظرة شك ثم أغمض عينيه، فرح زامبى بنجاح خطته التى لم يدركها أصدقاؤه حتى الآن وأخفى ابتسامته وهو ينتظر الإجابة عن سؤاله، بينما ميرتون مازال صامتًا، استدار زامبى إلى أصدقائه وقال لهم مازحًا :

– هل تتخيلون أننا نتكلم مع شخص ميت ؟ انظروا إلى هذه العيون المغمضة ؟ ليس فيها ما يدل على حياة كما أنها ...

قبل أن يكمل زامبى كلامه نهض ميرتون كالجاموسة المجروحة وجلس على السرير ثم نظر إلى جميع من حوله نظرة غاضبة ربما لو كان فى حالته الطبيعية لكان قد أمسك برقبة زامبى ثم قال غاضبًا :

– أنت من مات حقًا ! انتظر حتى أشفى ! هل تسخر منى ! هل نسيت أنك تتحدث مع أحد كوادر الحزب الهامة ؟ فقد سمعت أنكم تنادون فى هذه الأيام بسياسة تعدد الأحزاب ! ها ها ! أنتم تجاهرون بمعارضتكم للسياسة الحكيمة لحزبنا الوحيد ! إن روح التفرقة التى تنادون بها هى حقًا التى ستقضى على وحدتنا ! سوف أمنحكم فرصة لحين خروجى من المستشفى وسوف أتفرغ لكم لكى تعرفوا من هو ميرتون ! وأننى سوف أخرج من هنا بعد ثلاثة أيام، هذا هو صديقك يقين الذى استأجر المارقين لضربى، ثم تحضرون إلى هنا لتسألونى عما حدث !

سال لعابه على شفتيه، واحمرت عيناه فأصبحت كالفلفل الأحمر، رجع يقين وتيريزا وأم صادق إلى الوراء خوفًا منه بينما ظل زامبى ثابتًا مكانه وهو يبتسم بسخرية، واستدار إلى أصدقائه وقال :

– هل رأيتم ؟ ألم أقل إن هذا الرجل قد مات ؟ انظروا إلى هذا المستلقى على السرير، أليس هو الآن مجرد جثة هامدة !

أراد ميرتون أن يقول شيئًا لكن قاطعه زامبى الذى وضع أصابعه على شفتيه وقال له :

– صه ! نحن فى مستشفى، يجب ألا نعمل ضوضاء لإزعاج المرضى ! لا تقل أية كلمة ! سوف أخبرك بكل شىء، إن أخاك الضابط جوردن حملوه إلى حجرة الإنعاش بالمستشفى وبصحبته عثمان، والصديق جاك برون والسيد جون جريجورى وهذا الهندى قد وقعوا جميعا فى شر أعمالهم وهم الآن فى خطر كبير، وقد واجهوهم بالماس والمال المختلس، هل تريد أن تسمع المزيد أم أنك انتهيت من معارضتك الفارغة !

هدأ زامبى قليلاً ثم نظر إلى ميرتون نظرة ماكرة وانتظره لينطق بكلمة واحدة فلم يفعل، نظر ميرتون لزامبى نظرة كلها خوف وحسرة، ونظر كل منهما للآخر كفحلين يستعرض كل منهما قوته، وباقى الأصدقاء ينظرون إليهما ولا يعرفون ماذا حدث بينهما .

قال ميرتون بصوت ضعيف :

– أنت تكذب !

ولم يستطع مواصلة الجلوس فاستلقى على السرير وهو ينظر إلى زامبى نظرة فاحصة.

قال زامبى بثقة :

– وقد اعترف هذا الهندى بكل شىء خوفا من تورطه معكم، ألم أخبرك أنك أصبحت جثة هامدة بلا حركة، جاء الآن وقت التوبة من كل ما فعلت من ذنوب فى حق الآخرين، لا تندهش عندما ترى الشرطة التى تحتمى بها قادمة الآن للتحقيق معك!

اندهش الحاضرون لما سمعوه من زامبى، نظر يقين لزامبى وسأل نفسه: من أين أتى زامبى بهذا الكلام، واقترب من وجه زامبى فشعر كأنه أمام شرطى يحاول الإيقاع بالمتهم بشتى الطرق، تذكر فى الحال ما فعله معه الضابط جوردن أول أمس، وأن زامبى يستخدم نفس السلوك الذى اتبعه معه هذا الضابط.

استرسل يقين فى تفكيره، نعم لم تكن هناك طريقة غير تلك لمعرفة الحقيقة، قطع ميرتون أفكار يقين بتنهداته ونظراته إلى جلوريا طالبا منها المساعدة، كانت جلوريا تنظر إليه والدموع تذرف من عينيها ولا تدرى ماذا تقول ، واصل زامبى كلامه قائلاً :

– لست بحاجة لمعرفة أمورك يا ميرتون، لأنها تخصك أنت والشرطة وكبار القوم أصحابك، لكن الذى أريد أن أعرفه لماذا اتهمت يقيناً الرجل الضعيف بالنسبة للطبقة العليا التى تتعامل معها ؟ مسكين يا ميرتون ! ذهب كل ما تخطط له سُدى! والآن أصبحت أنت وعضويتك

فى الحزب فى قفص الاتهام، ياه ! الآن قد وضعت ميراثك عن أبيك فى خطر بسبب حفنة من الماس !

صمت زامبى قليلاً ثم استأنف كلامه :

– أسـألك مـرة أخـرى لماذا اتهـمت يقـينًا ؟ أم تريد أن نذهب إلى المحكمة ونشـهد ضدك فى قضية الماس ؟ فـأنت الشخص الذى نعرفه وله علاقة مباشرة بهذه القضية، وستقبل المحكمة شهادتنا لأننا لا نضمر لك شرا ولم تكن علينا أية إدانة قبل ذلك.

هدأ ميرتون وصمت لفترة قصيرة، واستدار ببصره إلى الموجودين حوله ثم تنهد وبحلق فى سقف الحجرة وقال بصوت ضعيف متذللاً :

– هناك بعض الأمـور التى أريد الاعـتـراف بـهـا، أخـى الضـابط جوردن هو الذى أوحى لى باتهام يقين، بعدما رأى أن الأمور قد أفلتت من بين أيدينا ووصلت إلى أيدى الشرطة ولابد من التحقيق فيها لتَتبع الذين قاموا بضربى وأسباب ذلك.

انتبه جميع الحاضرين وأنصتوا، بينما استرسل ميرتون فى كلامه :

– اللذان ضـربانى هـمـا ذلك الأوروبى جـريجـورى والهندى الذى يدعى كنجير، لأن أخى جوردن وعثمان كانا قد أعطيانى حقيبة الماس لتوصيلها إليهما فى الفندق الذى يقيمان فيه على شاطئ المحيط، عندما وصلت إلى هناك قابلت جريجورى هو وكنجير الذى رأيته للمرة الأولى، قدمه لى على أنه صديقه، وأمرنى أن أسلمه الحقيبة فأعطيتها له، اصطحب جريجورى كنجير إلى داخل الحجرة، وعادا بعد فترة قصيرة،

أعطاني جريجوري النقود ثم قال إنه يمكن أن يصطحبني إلى المدينة، انصرفنا ومعنا كنجير، سألني أين أقيم فشرحت له المكان، قال كنجير إنه يعرف ذلك المكان، وصلنا إلى بداية الطريق، فأوقفا السيارة، وكان جريجوري يمسك بندقية، أمرني بالنزول من السيارة، ادعى أن الماس زائف، وكذلك الماس الذى أرسله أخي جوردن مع عثمان وابتاعه ماك برون قبل سفره إلى أوروبا، اعترضت على كلامه لأنني أعلم أنه غير صادق، وضرباني ضرباً مبرحاً ثم أخذاني وطرحاني أرضًا بالقرب من منزلي حيث نُقلت إلى هنا.

صمت ميرتون قليلاً ثم استأنف كلامه :

– لم أستطع الاعتراف على من ضربني خشية إفشاء سر العملية، فأخي هو الذى يبحث دائمًا عن الماس وأشياء أخرى مستغلاً وظيفته في الشرطة، وقال إنه يبحث عن هذا الأوروبي ليسترجع منه الماس والنقود، وربما يكون هذا ما حدث اليوم أمامكم .

استدار إلى زوجته جلوريا وقال :

– يا جلوريا ! كنت تعيشين مع شخص غامض كالخفاش، لقد تمنيت لك حياة كريمة، أسأت للكثيرين من الناس وكنت أقصد كل ما فعلته معهم، تقابلت مع الكثيرين من الأثرياء، بعضهم من أصحاب المناصب السياسية والبعض الآخر من اللصوص وقطاع الطرق، المهم أنني قد سرت في كل طرق الحرام، كنت أحتمي في العمل السياسي لأنني شعرت أن النظام السياسي يحمي العاملين فيه مهما كانوا، لكن عندما عرفني جوردن طريق الماس الذى يعمل فيه مع صديقه عثمان

أغرانى هذا الطريق عندما وجدته أسهل من ادعاء المناصب والكلام فى السياسة وغيرها، ولكننى لم أترك العمل بالسياسة لأنها تمنحنى الجاه والسلطان علاوة على طريق الماس الذى يمنحنى المال والقوة، وبهذا أظهر بشخصية هامة أمام الناس، وكان هذا سبب الخلاف بينى وبين يقين وزامبى لأنهما كانا دائما لا يصدقان الادعاءات التى كنت أمارسها أمام الآخرين، خشيت أن يأتى اليوم الذى يكشفان فيه أسرارى ويفضحان أمرى أمام الناس، لذلك أطلب منك العفو والسماح، فقد وسوس لى أخى أن أتهم يقينًا لأنه دائما يجاهر بمعارضته لأسلوب حياتى كما يعارض السياسة العامة للدولة وينادى بالنظام الديمقراطى وتعدد الأحزاب، وعندما يُتهم يقين بهذه التهمة يسهل تقديمه للمحكمة وتظل أسرارنا بعيدة عن السلطات، وخاصة سر الماس الذى ضربونى من أجله، رفضت اتهام يقين فى بادئ الأمر ولكن جوردن أصر على ذلك وأقنعنى أنه لا مفر من ذلك حتى لا يُكشف سرنا.

هدأ ميرتون ونظر إلى زوجته نظرة ذليلة طالبًا منها العفو والسماح، ثم نظر إلى يقين بنفس النظرة وأغمض عينيه من الإرهاق.

أشار زامبى لأصدقائه لمغادرة المكان، وصل إلى الباب ثم استدار إلى ميرتون وقال له بصوت حاد :

– لم تعرف الإنسانية طريقها إليك ! سوف نخرج من هنا حتى لا تأتى الشرطة وتجدنا هنا بجوارك .

ظل ميرتون ينظر فى اتجاه الباب بعدما تركه زامبى وأصدقاؤه ثم أطال النظر لجلوريا لفترة حتى ذرفت عيناه الدموع :

كانت هذه هى المرة الأولى التى تراه فى هذه الحالة يبكى ندماً على شىء فعله، شعرت جلوريا أنها تقرأ فى وجهه كل المآسى التى يعيشونها، رأت أن تسامحه على الرغم من كل ما حدث منه، فربما يكون ميرتون المرآة التى رأت فيها كل أمراض الأمة، ويمكن أن تعيش معه حياة جديدة، فربما تستطيع أن تغير من حياته وتوقف أنانيته السيئة، فكرت جلوريا فى كل ذلك وهى تنظر إلى ميرتون وهو مستلق على الفراش، وقد سبق أن فكرت فى ذلك خلال الأسابيع التى عاشتها بعيداً عنه بسبب حادثة الفندق التى رأتها بنفسها، قالت فى نفسها ربما يكون من الأفضل أن أسلك هذا الطريق للوصول إلى حقيقة الحياة بشكل عام،ثم لعنت اليوم الذى جعلها ترضى بهذه الحياة التعيسة .

قال ميرتون بصوت منخفض، وهو ينظر إلى سقف الحجرة :

– أريدك أن تنصرفى الآن.

نظرت إليه فشعرت أنه لا يريد بقاءها معه فى ذلك الوقت حتى لا تأتى الشرطة فى وجودها، أخذت حقائبها بهدوء، ونظرت إليه ثم استدارت نحو الباب، تقدمت خطوتين للأمام باتجاه الباب، ثم استدارت ونظرت إليه، كان ميرتون نفسه ينظر إليها نظرة استجداء لعطفها، استأذنت جلوريا وانصرفت على وعد باللقاء مساء الغد .

قال ميرتون بصوت منخفض يشوبه الخوف :

– الشرطة قادمة الآن لتأخذنى، هذه هى الحقيقة، لا أريدك هنا أثناء حضورهم، اسمعى لى جيدا: أنا لم أنجب منك أطفالاً لتعدد

علاقاتى بالنساء، ووصيتى لكِ أن تربى ابنك وكأنه ابنى أنا منكِ، وتأكدى من أنه لن يقتفى أثرى ولن يسير على نهجى، إلى اللقاء .

جلست جلوريا لفـتـرة وبدأت عـيناها هـى الأخـرى تذرف الدمع وبصوت ضعيف ملىء بالشفقة والمرارة قالت :

– لقد تعلمت الكثير، وقد سامحتك من قلبى، ربما لو لم أعش معك ما كنت قد تعلمت شيئًا فى هذه الدنيا .

جففت دموعها وفتحت الباب وخرجت ثم أغلقته بهدوء وانصرفت، استمر ميرتون فى فراشه لفترة قصيرة وعيناه متعلقتان بسقف الحجرة دون أن يراه، ثم نهض وفتح الدولاب وأخذ قلمًا وكراسًا، انتصب وجلس متكئًا على قوائم السرير، أمسك القلم بمهارة ثم بدأ يكتب، انتهى من الكتـابة ثم وضع الكراس تحت الوسـادة ونام مـرة أخـرى، حـاول أن يزحزح نفسه من الفراش حتى نزل من السرير، فتح الدولاب مرة أخرى وأخرج زجاجـة مليئة بأقراص ذات لون أحـمر وأصـفر وأخذ زجاجـة أخرى بها أقـراص بيـضـاء، اتجـه نحـو البـاب، ثم اسـتـدار ونظر إلى الفراش ثم تبسم بحسرة ثم قال هامسًا :

– لقد تأخروا ! نعم لقد تأخروا ! إلى اللقاء، دخل دورة المياه وأغلق الباب على نفسه .

ذهب زامـبى وأصـدقـاؤه إلى نقطة الشـرطـة، أدلـوا بشـهـادتهم رووا مـا شاهدوه فى حـادث مـانسيزى، كما أبلغوا الشرطة بما سمعوه من اعـتـرافـات مـيـرتون على مـن قـامـوا بضـربه وسـبب ذلك الضـرب،

وعندما خرجوا من نقطة الشرطة وجدوا جنود الشرطة قد استعدوا للذهاب إلى المستشفى، وبعضهم اتجهوا إلى الفندق الذى يقيم فيه جريجورى .

خرج زامبى وأصدقاؤه من نقطة الشرطة واستقلوا الحافلة واتجهوا إلى منزل يقين، لم يكن أحد منهم مصدقًا لما شاهده أو سمعه، قالت تيريزا إنه من الواضح أنهم كانوا يحلمون أحلام اليقظة أو كانوا يشاهدون فيلمًا سينمائيًا، قبل أن يدخلوا المنزل قال يقين لزامبى :

– لا ! أعتقد أن لى صديقًا من الجان ! ولابد أن أتقمص دور السيد مسا العراف، فأنت يا زامبى قد أذهلتنى بما فعلت أيها الصديق العفريت !

ضحك الجميع ثم قال زامبى :

– عفريت ! هل لأننى توقعت ما يمكن أن يحدث ؟ حاشا لله ! فأنا لست من توقع ذلك ! لِمَ لا تطلق ذلك على الشيخ ماجيكوندو ؟ ألم تدرك أن هذا الشيخ قد فتح صفحة جديدة فى حياتنا فقد قال إن المجتمع ليس مجرد أفراد فقط بل علاقات تربط بين هؤلاء الأفراد، إن القلوب هى التى تدوم حقًا وليست العقول، والحياة صراع بين الخير والشر، كيف كنا سنضع أيدينا على الحقيقة لولا الذى شاهدناه وتابعناه فى منطقة مانسيزى ؟ حقًا إن الضعيف مهضوم حقه كما قال الأستاذ بهالو، ولكن من يرض بالهزيمة يستحق ما يحدث له، ولن يضيع حق وراءه مطالب، هذا ما أراد أن يقوله لنا الشيخ ماجيكوندو ، هذا الشيخ محارب من نوع خاص، لا يفقد الأمل أبدًا فى الوصول إلى الحق

كما وضح لك عند لقائك به فى أول مرة، هل رأيت يا صديقى جمعية تعذيب المواطنين فى مانسيزى ؟ دخلوا جميعًا وهم يضحكون .

كان رجال الشرطة يصطحبون عمال المستشفى للوصول إلى حجرة ميرتون، دخلوا عليه الحجرة، فوجدوا الفراش خاليًا، خرجوا بسرعة للتفتيش عنه، سألوا العمال إذا كان أحد قد رآه أثناء خروجه، لم يره أحد، بحثوا تحت الأسرة وفى كل مكان دون جدوى، سقطت الكراس - التى كتب فيها ميرتون - على الأرض أثناء التفتيش ولم يهتم بها أحد، فالمهم أن يجدوا ميرتون، اعتقدوا أنه لم يخرج بعيداً عن هذا المكان، لأنه لا يمكن أن يغادر المكان بملابس المستشفى دون أن يراه أحد من عمال المستشفى .

حاول أحد الجنود فتح باب دورة المياه فوجده مغلقًا ، أخذ يحوم حول المكان ثم عاد مرة أخرى فوجد الباب مازال مغلقا، ذهب لإبلاغ زملائه، جاءوا وظلوا يطرقون على الباب بدون فائدة، أمرهم القائد بكسر الباب، اندفعوا عليه مرة واحدة فكسروه، وعندما فتحوا الباب وجدوا جثة كجذع الشجرة ملقاة على أرضية دورة المياه مغمورة فى المياه القذرة، شاهدوا قيئًا مختلطًا بالحبوب التى تناولها، بعدها أيقنوا جميعًا أنه قد مات منتحراً بهذه الأقراص، أمر قائد الشرطة بوضع جثته فى ثلاجة الموتى لحين التحقيق فى الأمر .

رجع قائد الشرطة إلى الحجرة وأخذ الكراس وقرأها بسرعة ثم قال فى نفسه :

- أغلقت القضية .

ثم أمر جنوده بالانصراف من المكان، مر الجنود بالمرضى الذين ظلوا في ذهول مما حدث، مازلت فتاة الاستعلامات في وردية العمل منذ أن استقبلت زامبي وأصدقاءه، وعندما رأت رجال الشرطة يخرجون من المستشفى سألتهم عما حدث للسيد ميرتون، فرد عليها القائد قائلاً :

– وماذا يخصك في ذلك ؟ اهتمي بعملك فقط !

قالت الفتاة :

– ظننت أنكم تتبعون صديقه الذي يعمل معه في المكتب وجاء لزيارته اليوم، فكبار القوم لا يمكن للمرء أن يجهلهم بمجرد رؤيتهم من على الباب .

نظر إليها هذا القائد لفترة ثم قال ساخراً :

– حتى اللصوص بالنسبة لكم من كبار القوم، سوف تخربين مكتب الاستعلامات بغبائك الواضح، لقد وجدنا المحترم الذي تعدينه من علية كبار القوم جثة هامدة ملقاة في دورة المياه كجذع النخل، وقد زال عنه احترامه .

دُهشت الفتاة بعد مغادرة الشرطة للمكان، ونسيت أن هناك شخصيْنِ ينتظران أن تقدم لهما خدماتها .

دراسة أسلوبية تحليلية للمترجم

رواية "الماس الزائف"

(دراسة أسلوبية تحليلية)

لقد قمنا في وقت سابق بعمل دراسة أسلوبية لرواية الحمال (Kuli)، وهي إحدى الروايات السواحيلية للكاتب التنزاني شافعي آدم، بهدف إظهار السمات الأسلوبية لهذا الكاتب في أعماله الروائية، وامتدادا لهذه البداية، نتقدم خطوة نحو إظهار السمات الأسلوبية لكاتب تنزاني آخر وهو (C. S. L. Chachage) تشاتشاجي، من خلال إحدى رواياته "الماس الزائف"، ويحاول الباحث بذلك تأسيس سلسة من الدراسات الأسلوبية للرواية السواحيلية لدى العديد من الكتاب السواحيليين، للخروج منها بسمات عامة للأسلوب الروائي في اللغة السواحيلية : وذلك بسبب خلو المكتبة العربية في مصر – وأظن في الوطن العربي – من هذا النوع من الدراسات المتعلقة باللغات الأفريقية، فما قُدم من الدراسات الأسلوبية للمكتبة العربية إلا القليل.(١)

وقد تبنينا منهجا ثابتا لإجراء هذه الدراسات، هو المنهج اللغوي الإحصائي الذي يقوم على تشخيص وحصر الظواهر الأسلوبية للكاتب

وتحديدها، ومن ثم يقوم البحث على أسس النظرية اللغوية الإحصائية لدراسة الأسلوب التى تهتم بإحصاء الظواهر الأسلوبية البارزة للكاتب فى أعماله الأدبية، ثم مقارنتها بغيرها من الظواهر التى ترد فى العمل الأدبى ورودًا عرضيا أو عشوائيًا : ومن هنا يمكن لنا إبراز السمات الأسلوبية التى يتميز بها الكاتب فى أعماله والتى تميزه عن غيره .[٢]

مادة الدراسة

تتمثل مادة البحث فى رواية Almasi za Bandia بمعنى " الماس الزائف" وهى الرواية الثالثة للكاتب التنزانى C.S.L. Chachage تشاتشاجى و تقع فى ١١٥ صفحة من القطع فوق المتوسط، مقسمة إلى سبعة فصول، قدمها الكاتب باللغة الفصحى فى أسلوب السرد الذى يجرى على لسان الكاتب نفسه وكذلك فى أسلوب الحوار الذى يجريه على لسان أبطاله، إلا بعض المواقف الروائية التى كانت تستدعى اللهجة العامية، وذلك ساعد على إثراء الرواية بالظواهر الأسلوبية .

قامت هذه الرواية على الأسس المعروفة لبناء الرواية وهى الزمن الذى وقعت فيه الأحداث، فترة الستينات، وزمن الكتابة (١٩٨٧)، وتاريخ النشر (١٩٩١)، والمكان الذى وقعت فيه الأحداث، وهو مدينة دار السلام وما يحيط بها من القرى وكذلك مدينة جلاسكو بإنجلترا، والحدث المتمثل فى معاناة أهل تنزانيا من شظف العيش فى حياة غير

مستقرة اقتصاديا، في الوقت الذي يعيش فيه بعض المنافقين للسلطة وأعضاء الحزب الحاكم بل وأعضاء الحكومة نفسها في رغد ووفرة، وكذلك الأعمال المشبوهة كتجارة الماس التي يقوم بها أعضاء من الحكومة، كما تصور الرواية الحياة في بعض مدن أفريقيا بالمقارنة بالحياة في بعض مدن أوربا، وتصور الرواية أيضا مظاهرات الطلاب ضد سلبية الحكومة في معالجة الأمور العامة وخاصة المتعلق منها بالعمال والفلاحين، ثم اللغة التي كُتبت بها الرواية المتمثلة في اللهجة الفصحى في السرد والحوار.

مضمون الدراسة

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة يعرض فيها الباحث نبذة مختصرة عن الرواية في شرق أفريقيا وعن الكاتب، وشخصيات الرواية، وموضوعها، ثم نبذة بسيطة عن لغة الرواية، ثم نأتي إلى صلب الدراسة المتمثل في التحليل الأسلوبي للرواية من خلال : - المفردات - ونتناول فيها المفردات التي تميز بها أسلوب الكاتب كتفضيله كلمة غير شائعة على أخرى شائعة، أو كلمة لها مدلول واسع ويستخدمها في مدلول ضيق ثم استخدام الكلمات الإنجليزية في المتن السواحيلي.

- طريقة الكتابة: وتتضمن كتابة بعض العبارات الاصطلاحية الهامة بالحروف الكبيرة، وابتداء كل فصل ببعض الكلمات المكتوبة بالحروف الكبيرة.

- البناء الصرفى للرواية: ويتمثل فى المتوافقات الصرفية، واستخدام بادئات الفاعل، واستخدام بعض مورفيمات الزمن بشكل خاص، وكيفية استخدامه لبعض حروف المعانى فى السياق.

- البناء النحوى للرواية: ويتمثل فى الجمل البسيطة والمركبة، وعبارات الربط التى استخدمها بتكرار واضح، ثم الأساليب النحوية كأسلوب التعجب .

- الأساليب البلاغية: وتتمثل فى الصور البلاغية كالكناية والاستعارة والتشبيه وكذلك الحكم والأمثال الشعبية، ثم الاستعانة بمعانى بعض الآيات التى وردت فى الكتب المقدسة تفجيراً للدلالات الدينية .

ثم نأتى إلى المبحث الأخير الذى يشمل النتائج التى خرجنا بها فى الدراسة، المتمثلة فى السمات العامة لأسلوب الكاتب، وسوف نستخدم رقمًا مسلسلاً للنماذج التى نمثل بها من الرواية، ثم نُذيل كل نموذج برقم الصفحة الموجود بها داخل الرواية، يتم ذلك من بداية البحث إلى نهايته، ثم نُذيل هذا كله بثبت المراجع والمصادر التى قام عليها البحث.

الرواية السواحلية:

ارتبطت نشأة الرواية السواحلية فى شرق أفريقية بفن الحكاية الشعبية لعدة سنوات، ثم بدأت بعد ذلك تأخذ القالب الروائى الغربى، وقد تأثرت الرواية السواحلية بالتيارات الأدبية المعاصرة، كما تأثرت فى بعض مراحلها الأولى ببعض المؤثرات العربية مثل رواية "ألف ليلة وليلة"، لذلك نجد أن هناك تشابهًا كبيرا فى مفهوم الرواية السواحلية والإنجليزية والعربية. (٣)

وقد بدأت الرواية كفن أدبى يوضع فى الاعتبار فى شرق أفريقيا بعد انتهاء فترة الاستعمار الأوربى للشرق الأفريقى، فقد كُتبت الرواية بعد هذه الفترة باللغة السواحلية خاصة فى تنزانيا، بعدما كان يُكتب معظمها باللغة الإنجليزية، وقد تميزت فترة الستينات والسبعينات وما بعدها بنشاط أدبى ملحوظ شمل معظم فنون الأدب وخاصة الشعر والمسرحية والرواية. (٤)

وعلى الرغم من ذلك فقد نشرت بعض الروايات باللغة السواحلية في فترة العشرينات كرواية الكاتبة مارى سيهوزار: Mary Sehoza

"عام فى الأصفاد" Mwaka katika Minyororo (1921)

ورواية الكاتب كياما: Kayama

ما نراه وما نفعله لإنجلترا

Tulivyoona na Tulivyofanya Uingereza (1921)

كما نُشرت في فترة الثلاثينات رواية الكاتب جيمس مبوتيلا:

Games Mbotela

"تحرير العبيد" Uhuru wa Watumwa (1934)

ونشرت في فترة الخمسينيات روايتان للكاتب الكيني الكبير شعبان روبرت: Shabaan Robert

الأولى: المصداقية Kusadikika (1951)

والثانية: عادل وإخوته Adili na Nduguzi (1951)

ورواية الكاتب الكبير محمد سعيد عبد الله: Abdulla M. Saidi

روح الأسلاف Mzimu wa Watu wa Kale (1958)

وقد شهدت فترة الستينيات نشاطا ملحوظا في نشر الروايات المكتوبة باللغة السواحلية، فقد ظهر الكثيرون من الكُتاب الذين تميزوا بقوة الأسلوب وجدية الفكرة.

فنشرت رواية الكاتب محمد صالح فارسي: Farsy M. Saleh

كروة و دوتو Kurwa na Doto (1960)

ورواية الكاتب فرج كاتالمبولا: Katalambulla F.

هاتف الموت Simu ya Kifo(1965)

ورواية الكاتب محمد سعيد عبد الله

"بئر جينجى" (Kisima cha Giningi)

أما فى فترة السبعينيات فقد زاد النشاط الروائى السواحلى فى كينيا وتنزانيا، فتطورت التقنية الروائية وزاد الاهتمام الشعبى بها، وتعددت أفكارها وموضوعاتها، وكان من أهم هذه الروايات التى بدأت بها تلك الفترة: ثلاث روايات للكاتب التنزانى كيزلهابى : Kezilihabi

الأولى : روزا مستيكا Rosa Mistika (1971)

والثانية: رأس ثملة Kichwa Maji (1974)

والثالثة: العالم ميدان فوضى Dunia Uwanja wa Fujo (1975)

ورواية للكاتبة التنزانية مارتا مفونجى : Marta Mfungi

بغير خطيئة Hana Hatia (1975)

ورواية للكاتب فرج كاتالمبولا

الوداع Buriani (1975)

ورواية للكاتب بلسيديا نديناو: Balisidya Ndyanao

المعاناة Shida (1975)

و نُشرت روايات الكاتب محمد سعيد عبد الله:

الدنيا بها ناس Duniani kuna watu (1974)

امرأة واحدة وثلاثة رجال Mke Mmoja na Watu Watatu (1975)

حلم رحمة Nyota ya Rehema (1976)

وروايتان للكاتب التنزانى شافعى أدم شافعى : Shaf'i Adam Shaf'i

قصر الثرى فؤاد Kasri ya Mwinyi Fuad (1976)

الحمال Kuli (1976)

كما نشر سعيد أحمد محمد خميس ثلاث روايات :

Khamisi Saidi A. M.

العسل المر Asali Chungu (1978)

الانفصال Utengano (1979)

سحابة البداية Wingu la Mwanzo (1979)

أما فى فترة الثمانينيات فقد زاد النشاط الروائى السواحلى وتربع على العرش فى هذه الفترة، فقد بدأت هذه الفترة بروايتى الكاتب محمد سعيد عبد الله:

الدنيا شجرة جافة Dunia Mti Kavu (1980)

فليُربى ابن يونجى Mwana wa Yungi Hulewa

ورواية الكاتبة أنسيت كتريزا: Ansit Katriza

السيد ميومبيكيرى والسيدة بجونوكا

Bwana Myombekere na Bibi Bugonoka (1980)

ورواية الكاتب مبوندى مسوكيلى : Msokile, Mbunde

سآتى متخفيا Nitakuja kwa Siri (1981)

وروايتى الكاتب التنزانى تشاتشاجى:

حظ يوحنا Sudi ya Yohana (1981)

الظل Kivuli (1982)

وروايتى الكاتب محمد سعيد عبد الله:

خطأ السيد مسا Kosa la Bwana Msa (1984)

ظلام فى النور Kiza katika Nuru (1988)

ورواية الكاتبة زينب عبد الوهاب : Zainab Abdulwahab

ما تأكله Kikulacho (1985)

ورواية الكاتب حسان مبيجا: Hassan Mbiga

الوصايا الحسنة Wasia Bora (1986)

ورواية الكاتبة زينب برهان: Zainab Burhaan

نهاية الخطأ Mwisho wa Kosa (1987)

ورواية الكاتب ميشيل نجوجي: Michele Ngugi

٥٢ عام سجنا Jela Miaka 52 (1989)

أما فترة التسعينات فقد كان الحظ الأوفر فيها للرواية السواحلية:
فمن أهم ما نشر فى هذه الفترة رواية كيزيلهابى :

أنام Nagona (1990)

ورواية الكاتب مبوندى مسوكيلى:

عندما ينجلى الليل Usiku Utakapokwisha (1990)

ورواية الكاتب التنزانى تشاتشاجى :

الماس الزائف Almasi za Bandia (1991)

وهذه الرواية هى موضوع البحث الذى تحت أيدينا.

ورواية :

الطيبون لم يولدوا بعد Wema Hawajazaliwa (1991)

للكاتب اَى كوى أرمه:Ayi Kwei Aramah الذى كتبها باللغة الإنجليزية

The Beautiful Ones are not yet Born

وترجمها إلى اللغة السواحلية عبد اللطيف عبد الله .

ورواية الكاتب روتشا: C. M. Rotcha

المرارة فى الكبد	Nyongo Mkalia Ini (1995)
ورواية الكاتب كين وليبورا:	Kin Walibura
يوم سعيد	Siku Njema (1991)

هذا النشاط الروائى الوفير فى شرق أفريقيا وباللغة السواحلية على وجه الخصوص يتعارض مع ما ذهب إليه الدكتور على شلش فى كتابه "الأدب الأفريقى" عندما قال:" ثمة تطورات فى الرواية نشطت فى غرب أفريقيا وشرقها، ففى الغرب نشطت محاولات تأليف الرواية بلغات اليوروبا والهوسا والأيبو، وكلها فى نيجيريا، كما نشطت محاولات أخرى فى الشرق باللغة السواحلية فى تنزانيا والكيكويو فى كينيا والأنشولية فى أوغندا، ولكن هذه المحاولات لم تخرج بعد عن دائرة المغامرات الفردية" (٥)

فهل يعتبر د. شلش الإنتاج الروائى الراسخ والوفير باللغة السواحلية لكُتاب الرواية السواحليين مثل كيزلهابى، ومحمد سعيد عبدالله، وشافعى آدم، وتشا تشاجى، وغيرهم ممن سبق تقديم أعمالهم الروائية مجرد مغامرات فردية؟ أم لم تنشر كل هذه الأعمال الروائية قبل صدور كتابه عام ١٩٩٣م ؟ وهل هذه الروايات المتكاملة أدبيًا وأسلوبيًا ظلت مجرد مغامرات – من وجهة نظره – منذ فترة العشرينات حتى بداية التسعينات قبل صدور كتابه "الأدب الأفريقى"؟ وذلك على الرغم من تقديمه الطيب لخواص الرواية الأفريقية بقوله فى الكتاب نفسه

(ص ٢٠١) : إن من أهم خواص الرواية الأفريقية التراث الشعبى الذى يضفى على الإبداع المزيد من عناصر الشخصية القومية، فهو هنا أحد مظاهر الشخصية الأفريقية مثله فى ذلك مثل الأسماء والأماكن وطرق التفكير والتعبير والإنتاج والقيم وغيرها من عناصر الثقافة الأفريقية، وإذا أخذناه بهذا المعنى يصبح من أهم خواص الرواية الأفريقية وتصبح الثقافة الوطنية أهم خصائصها بكل ما فيها من بساطة وتلقائية وصراع بين القديم والجديد، ثم يستأنف كلامه فى الخاتمة (ص ٢٤٩) عن تميز الأدب الأفريقى جنوب الصحراء بعدد من الخصائص هى :

- الارتباط العميق الوثيق بقضايا القارة واستنكار السيطرة الاستعمارية.
- الوضوح الذى يصل إلى حد الشفافية فى الأسلوب.
- التلقائية فى التعبير.
- تنوع الرؤى والآراء والأساليب.
- تغليب الذات على الموضوع.

فإذا كانت تلك هى خصائص الأدب الأفريقى من وجهة نظره، فالرواية بشكل عام - وفى شرق أفريقيا بشكل خاص - ما هى إلا جزء من هذا الأدب، وقد وجدنا بها معظم هذه الخصائص الذى تميز بها ذلك الأدب.

ومن هنا تُعتبر الرواية من الفنون الأدبية الرئيسية فى شرق أفريقيا بالمقارنة بالفنون الأدبية الأخرى، نظراً لتناولها حياة العامة من الناس فى الوقت الذى لا تهمل فيه البطولات ودور الأبطال القوميين، وتتميز عن القصة القصيرة بتعدد شخصياتها وكثرة أحداثها وعدد صفحاتها ولغتها المتنوعة من الفصحى إلى العامية، من الحوار إلى السرد، فالرواية : "حديث محكى تحت شكل أدبى يرتدى أروبة لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات والزمان والمكان والحدث، يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع".(٦)

وتنقسم الرواية إلى : تاريخية – وهى التى تعالج الأحداث التاريخية الاجتماعية بشكل فنى بارع، فهى تتناول وتدرج شخصيات جديرة بتمثيل الوطن وروح العصر والقيم الشعبية والطبقات الاجتماعية لذلك العصر، والرواية الاجتماعية – التى تعكس الواقع الاجتماعى لمجتمع ما وتهتم بتثقيف القارئ فى حقول المعرفة الإنسانية فهى صورة خلفية أو أمامية للمجتمع. (٧)

تشا تشاجى وأعماله الأدبية

تشا تشاجى كاتب تنزانى ولد عام ١٩٥٥ فى مقاطعة نجومى (٨) ، عمل محرراً فى دار تنزانيا للنشر، حصل على الدكتوراه فى الدراسات

الاجتماعية من جامعة جلاسكو بإنجلترا، يعمل محاضراً فى قسم الاجتماع بجامعة دار السلام بتنزانيا. نُشرت له ثلاث روايات :

حظ يوحنا	Sudi ya Yohana
الظل	Kivuli
الماس الزائف	Almasi za Bandia

شخصيات الرواية

تمثل الشخصيات أحد الأركان التى تقوم عليها الرواية بالإضافة إلى الزمان والمكان والحدث، أما من ناحية الشخصيات فقد بنى الكاتب روايته على شخصيته المركزية التى قامت ببطولة العمل فاختار لها اسماً موفقا يدل على دور البطل فى الرواية، فقد أطلق اسم يقين على البطل الرئيسى فى روايته لما له من دور هام فى البحث والتحرى والتيقن من كل ما يسمعه أو يواجهه من مواقف.

وقد تعددت الشخصيات فى الرواية حتى وصل عددها إلى أكثر من عشرين شخصية، منها الشخصيات المحورية مثل دان زامبى وزوجته أم صادق وتيريزا زوجة يقين وشخصية ميرتون مبويتو، فشخصية دان زامبى هى الشخصية الإيجابية التى تقف مع البطل فى السراء والضراء وهى شخصية معقدة لا تستقر على حال، ولا تهدأ لها

نار، ولا يستطيع المتلقى أن يعرف مسبقًا ماذا سيئول إليه أمرها، لأنها متغيرة الأحوال، من السخرية إلى الجد، من الحانة إلى الوعظ، إنها الشخصية الشجاعة المغامرة، ولكن كل هذا مسخر لصالح الشخصية المركزية شخصية يقين، أما شخصية ميرتون مبويتو فتتوفر فيها نفس السمات السابقة ولكنها مسخرة للوقوف ضد الشخصية المركزية وإيذائها بكل وسيلة وفى كل موقف، فهى الشخصية المناهضة للبطل.

أما شخصية الحاج ماجيكوبندو الشيخ العجوز المجرب الناصح للشباب والمؤيد لهم، تمثل الشخصية الأفريقية الأصيلة التى تنتمى إلى هذه الأرض الطيبة التى خاضت الحروب بجانب المستعمر لحصول البلاد على الاستقلال منه بعد الحرب، وهو الشيخ الذى عانى من شظف العيش مع العمال والفلاحين وتعرض للظلم السياسى والسجن والتنكيل، وتشاركه فى ذلك شخصية فراج تشمجاموبو كبير موظفى شركة تنمية المشروعات الزراعية التى يعمل بها يقين البطل، وجون سفارى الذى أبعدته السلطات الإنجليزية قبل أن يتم دراسته لتأخره أسبوعًا واحدًا فى تجديد إقامته بالبلاد، ثم جلوريا الفتاة الأفريقية التى صدمت فى أخلاق زوجها ميرتون وتعرضت لظلمه مما جعلها تتعاطف مع يقين ضد زوجها، وشخصية الفتاة البرازيلية بتريسيا المغلوبة على أمرها، التى اغتصبها ميرتون الشخصية الشريرة فى الرواية، أما شخصية عثمان تشاوبيلى والضابط جورديون فهما من نوعية ميرتون ويمثلان الشخصية الأفريقية المستغلة للمنصب والوظيفة فى تحقيق المآرب الشخصية

وهما عضوان في عصابة دولية لتهريب الماس من البلاد عن طريق استغلال المنصب الحكومي.

أما الشخصيات الثانوية في الرواية فقد تعددت من أحمد كياتو إلى أيوكيا الشاب الأوغندي المطرود من بلاده، وكلهم كانوا زملاء في الدراسة بمدينة جلاسكو، ثم أندريا وكمباتشوما (مبعوثان حكوميان إلى جلاسكو وهما يعملان في وزارة المالية في تنزانيا) إلى كوبلو بمبى وبرايفت حسان (مخبران سريان من شرطة دار السلام) وجون جريجورى الإنجليزى، وكانجير الهندى (وهما ممثلان لعصابة تهريب الماس) .

وقد وزع الكاتب هذه الشخصيات على فصول الرواية، حسب بداية ظهورها في تسلسل أحداث الرواية، وأهمية الأدوار التي تقدمها هذه الشخصيات، فاختار شخصية أو أكثر كعنوان لكل فصل من فصول الرواية، فاختار شخصية يقين بطل الرواية وعثمان تشاوبيلى كعنوان للفصل الأول، وماجيكوندو وتيريزا للفصل الثاني، ودان زامبى للفصل الثالث، وجون سنفارى للفصل الرابع، وبتريسنيا توزيز للفصل الخامس، والضابط جوردون وجلوريا للفصل السادس، وأخيراً شخصيات جون جريجورى وكانجير وميرتون للفصل السابع والأخير، وقد ذكر شخصية ميرتون في عنوان الفصل الأخير على الرغم من أن هذه الشخصية من الشخصيات المحورية التي تمثل الشر في هذه الرواية في معظم المواقف والفصول إلا أن الكاتب ركز بهذا على نهايته وانتحاره في الفصل الأخير .

مضمون الرواية:

بدأ الكاتب الفصل الأول بذكرى غير سارة حدثت عندما كان يقين (البطل) فى أوربا، هذه الذكرى هى عملية اغتصاب ميرتون الفتاة البرازيلية بتريسيا، ثم استأنف الكاتب حديثه عن رحلة يقين من تنزانيا إلى أمستردام ثم لندن وجلاسكو بصحبة عثمان تشاوبيلى.

رجع بنا الكاتب فى الفصل الثانى إلى تنزانيا، واستعرض لنا الحى الذى يعيش فيه يقين فى دار السلام، وعمله فى شركة تنمية المشروعات الزراعية، واستدعاء يقين إلى قسم الشرطة، وقد وجهت له تهمة التآمر على ضرب ميرتون مبويتو، والتحقيق معه، ثم الإفراج عنه بضمان مالى ووضعه تحت المراقبة.

أما فى الفصل الثالث فيرجعنا الكاتب إلى ما قبل ذلك، وهو كيفية لقاء يقين بزوجته تيريزا التى كانت تشاركه فى المظاهرات الطلابية فى الجامعة، وقد أنقذها من تحت أقدام المتظاهرين وجرى بها إلى أن التقيا بالشيخ ماجيكوندو (الرجل الخبير المتمرس الذى كان ثائراً فى شبابه، الملُم بأحوال البلد والمظاهرات وأهدافها ونتائجها)، وقد استضافهما فى منزله إلى أن انفضت المظاهرات وتحركات الشرطة، ثم واصل الكاتب سرده عن الشركة التى يعمل بها يقين، وعلاقته بفراج مراقب عام الشركة، وعتاب فراج له لعدم إبلاغ يقين له

بما حدث فى قسم الشرطة ووقوف فراج بجانب يقين وزوجته قبل وبعد العمل في الشركة.

ثم انتقل بنا الكاتب مرة ثانية إلى مدينة جلاسكو بإنجلترا، حيث روى لنا على لسان البطل ما حدث أثناء إقامته فى هذه المدينة، وتحدث عن نمط الحياة فيها المبنى على الثمالة والعربدة، والتفرقة العنصرية التى يلاقيها أصحاب البشرة السوداء في هذا البلد، والأحياء الفقيرة القذرة التى يقطن بها غير الأوربيين.

واستهل الكاتب الفصل الرابع بما حدث بين جون سفارى وميرتون، حينما أبعدت السلطات الإنجليزية سفارى إلى تنزانيا لمجرد أنه نسى تجديد إقامته بعدما انتهت بأسبوع واحد، فرحلوه مباشرة من مكتب الهجرة فى أول طائرة عائدة إلى بلاده، وكان معه فى ذلك الوقت زميله ميرتون الذى تعهد أن يرسل له كل أمتعته ومستحقاته المادية، ولم يف ميرتون بوعده، بل جمع نقودا أخرى من باقى الأصدقاء بحجة تكاليف الشحن، ثم استولى على جميع النقود وباع أمتعة صاحبه فى سوق براس، واسترسل الكاتب في استعراض التصرفات السيئة التى يقوم بها ميرتون مع أصدقائه الأفارقة، وبداية اختلافه مع يقين ودان زامبى لوقوفهما ضده فى هذه التصرفات السيئة.

رجع بنا الكاتب فى الفصل الخامس إلى دار السلام، وفى منزل زامبى، اجتمع يقين وزوجته تيريزا مع دان زامبى وزوجته أم صادق،

أخذوا يفكرون فى مخرج من تهمة ضرب ميرتون التى وجهت إلى يقينٍ وربما تُوجه إلى زامبى أيضا، بدءوا يفكرون فى الأسباب التى جعلت ميرتون يتهم يقينًا، روى لهم يقين واقعة اغتصاب ميرتون للفتاة البرازيلية بتريسيا على الرغم من وجود زوجته جلوريا معه فى جلاسكو، الواقعة التى بدأ بها الكاتب فصله الأول، كما تكلم عن الخلافات التى وقعت فى مدينة جلاسكو، بين يقين وزامبى من جهة وميرتون من جهة أخرى، وحاولوا ربط الأحداث للخروج من هذا المأزق، وانتهى الفصل باستدعاء يقين مرة أخرى إلى قسم الشرطة لإعادة التحقيق معه على يد الضابط جورديون ابن عم ميرتون مبويتو.

بدأ الكاتب الفصل السادس بما حدث ليقين فى قسم الشرطة، على يد الضابط جورديون، حاول الضابط نزع الاعترافات من يقين بما لم يفعله، استخدم فى ذلك كل وسائل التهديد، والتعذيب والضرب المبرح، لكنه لم يستطع أن يجبر يقينًا على تغيير أقواله التى أدلى بها فى تحقيق المرة الأولى، أفرج عنه على وعد بلقاء آخر مهددا بالويل والثبور وعظائم الأمور.

بعد ذلك التقى يقين وزامبى مع سفارى الذى روى لهما موجزا عن حياة جلوريا التى تعمل معه فى شركة الأحذية، كيفية لقائها مع ميرتون وزواجهما، وتظاهر ميرتون بالعفة والطهارة، واعتبار نفسه من عِلية القوم فى الدولة، واتصالاته ومعارفه بأعضاء الحزب والحكومة، ثم اكتشفت بعد ذلك أفعاله القذرة، وخيانته لها مع الأخريات، والتجارة المحرمة التى يقوم بها مع ابن عمه الضابط جوردون وعثمان.

جاءت النهاية فى الفصل السابع، وانكشف المستور، بدأ الفصل بزيارة قام بها يقين وزوجته مع زامبى وزوجته إلى الشيخ ماجيكوندو فى منزله، وعندما علم منهم بما حدث ليقين، قال لهم إن ميرتون وابن عمه من أكبر اللصوص، والأيام سوف تثبت لكم ذلك، انتهت زيارتهم، فخرجوا مترجلين فى الطريق، قرروا السير للنزهة، وأثناء سيرهم شاهدوا حادثة سيارة، اقتربوا مع المارة ناحية السيارة فوجدوا شخصا مدهوسا وقد فارق الحياة، ونظروا إلى السيارة فوجدوها سيارة الضابط جوردون ومعه عثمان تشاوبيلى وقد تعرضا للضرب المبرح من المارة، ووجدوا معهما الماس الذى يقوم بتهريبه هذا الضابط بالاتفاق مع الإنجليزى جون جرونجورى والهندى كانجير، ولما اختلفا قام الإنجليزى والهندى بضرب ميرتون الذى اتُّهم فيه يقين، شاهد الأصدقاء ما حدث، فأسرعوا إلى المستشفى حيث يرقد ميرتون، وواجهوه بما شاهدوا، خر ميرتون معترفا بما حدث، وكانت نهايته أن انتحر فى المستشفى، وقد تم القبض على الضابط جوردون وعصابته، وسقطت التهمة عن يقين .

اللغة والرواية :

إن اللغة هى العمود الفقرى لبنية الرواية، حيث لا يمكن لأى عنصر من عناصرها - كالزمن والشخصيات والأحداث - أن يكون إلا بوجود اللغة ونشاطها، فهى الانسجام والتناغم والنظام الداخلى لبنية الرواية،

ولا يكون الأديب أديبا إلا إذا تلطف بلغته وجعلها مستوى فنيًا موحداً يبتعد بها عن اللغة المعقدة غير المفهومة، كما يبتعد عن الانزلاق فى العامية السوقية بحجة اختلاف المستوى الثقافى للمتلقى.

فاستخدام غير الفصحى اليسيرة فى الرواية ما هو إلا تكريسٌ لنشر العامية والسوقية على حساب الفصحى الحقيقية المفهومة لدى القاعدة العريضة من القراء، فالمفروض فى قارئ الرواية ألا يكون جاهلا بأصول اللغة التى يقرأ بها رواياته المفضلة.

فاللغة إذن هى أداة الأدب القصصى الروائى، ولها دور أساسى فى حكى القصة وتوصيل المحتوى الفكرى والوجدانى لرواية من الروايات، وهناك فروق لغوية دقيقة بالغة التنوع والمغايرة من عمل إلى عمل بل فى داخل العمل الواحد، منها ما نراه فى التنوع الدلالى : فهناك المعنى الصريح المباشر أو الإشارى التقريرى وهناك المعنى الضمنى البعيد، حيث نجد فكرة معينة تبدو واردة تستدعيها لفظة أو تقترن بتلك اللفظة فضلا عن معناها المباشر، كما تظهر هذه الفروق فى مستويات الخطاب اللغوى وإيقاع الجمل وأصوات اللاشعور، وضروب المغايرة فى التركيب النحوى وبناء الجمل، فالرواية - باعتبارها شكلا أدبيا متميزا - تبدو فى الأغلب الأعم أميل إلى تفضيل اللغة القادرة على النهوض بمهمة التوصيل لغة التواصل التلقائى حيث تكون مهمة الكلمات أن تنهض - إلى حد كبير - بدور أداة نقل التجارب والأفكار إلى القارئ خلال العلم القصصى.(٩)

إن المرء يستطيع أن يلمس – داخل معظم الأعمال الروائية الجيدة – بناءً داخليا يتشكل من خلال اللغة فحسب، قد يتمثل أحيانا فى مجموعة من الصور المتوافقة فيما بينها، وفى أحيان أخرى يتمثل فى تكرار كلمات بعينها تشير إلى نوع بذاته من التقييم الدلالى، مثال ذلك: التمييز بالبشرة السوداء أو البيضاء لوصف إحدى الطرق المتطرفة نوعا ما فى التفكير، وفى أحيان ثانية يتمثل فى ذلك البناء الداخلى فى نمط من الأبنية النحوية التى تعاود الظهور مرة بعد أخرى فى مواقف خاصة، مثال ذلك تدافع الجمل البسيطة لاهثة من أجل الإمساك بعدد معين من أحداث الماضى أو غيره، فالبناء المتناظر للرواية يتمثل فى شبكة مندرجة من الكلمات والخصائص الأسلوبية التى يمكن أن تكون استعارة دفينة أو جوانب من التأكيد على القيمة، نحو استخدام كلمات تعود إشاراتها الدلالية المطمورة إلى الاقتصاد والشئون المالية والإدارية نحو (ائتمان، وديعة، قيمة، عائد، تكلفة، وهكذا.[١٠]

وتهتم نظرية الرواية – علاوة على أركان الرواية الأخرى – باللغة التى تُقدم بها الرواية وتحاول أن تجيب على جل هذه الأسئلة، بأية لغة يكتب الراوى روايته؟ أيكتبها بالفصحى أم يكتبها باللغة السوقية المتدنية، بل العامية الساقطة؟ أم يكتبها بلغة تقع بين كل ذلك وسطا؟ أم أنه يتخذ له مستويات مختلفة عبر النص الروائى الواحد بحيث لا يجعل لغة العالم هى نفسها التى يتحدث بها الفلاح والتاجر والعامل؟

ثم هل يجب أن تكون لغة السرد أو الحكى، هى نفسها لغة الحوار، أم تكون كل لغة من اللغتين فى مستوى يبعد عن مستوى اللغة الأخرى؟ (١١)

ويمكن أن نجيب على بعض هذه الأسئلة من واقع دراستنا للرواية السواحلية (الحمال) لشافعى أدم : فقد قدم لنا روايته بمستويين لغويين: مستوى السرد بلغته الفصحى السليمة نحويا بل الراقية تقنيا، ومستوى الحوار بلغته العامية المتدنية التى تخطت معظم قواعد اللغة السواحلية، ويرجع السبب فى ذلك إلى تقديم للغة السرد بقلمه ولغته الأدبية الفصحى، أما لغة الحوار فكان يجريها على لسان شخصياته التى تمثل عمال الميناء والأجانب الذين اكتسبوا اللغة السواحلية بالممارسة والسماع وليس بالدراسة، لذلك جاءت لغتهم فى الحوار عامية سوقية متخطية معظم القواعد النحوية والصرفية للغة السواحلية. (١٢)

والحقيقة - كما يقول الدكتور عبد الملك مرتاض - أن مسألة المستويات اللغوية داخل العمل السردى تعنى - فى المذهب النقدى المتسامح - أن الكاتب الروائى عليه أن يستعمل جملة من المستويات اللغوية التى تناسب أوضاع الشخصيات الثقافية والاجتماعية والفكرية، بحيث إذا كان فى الرواية شخصيات: عالم لغوى، وصوفى، وملحد، وفيلسوف، وفلاح، ومهندس، وطبيب وأستاذ جامعى - فإن على الكاتب أن يستعمل اللغة التى تليق بكل هذه الشخصيات.

ويميل الدكتور مرتاض - ونحن معه - إلى أن اللغة فى الرواية لا تكون لغة عامية ملحونة أو سوقية هزيلة، أو متدنية رتيبة، ولكننا نميل

إلى تبنى لغة شعرية ما أمكن، موحية ما أمكن، تصطنع الجمل القصار ما أمكن، وتكون مفهومة لجميع طبقات القراء المحترفين، ومثل هذا سيبطل مسألة مراعاة مستويات المتلقين؛ لأن الكاتب لا يستطيع أن يعرف المستويات الثقافية لكل متلقيه، فيكتب لكل منهم باللغة التى تلائم مستواه فى نسيج عمله بالتزام الوسط وعد الذهاب فى ذلك مذهب الشطط، وقراؤه بالتأكيد لا يكوبون إلا فى الشاذ الذى لا يقاس عليه: عمالا ولا فلاحين ولا طبقة من الأميين.(١٣)

ونحن نؤيد ما ذهب إليه الدكتور مرتاض فى تحديده لما تجب عليه لغة الرواية : لما لمسناه من إمكانية وجود تلك اللغة فى الرواية التى نحن بصددها فى هذه الدراسة، حيث وجدنا الكاتب متمسكا باللغة الفصحى السهلة، المفهومة فى جميع مستويات الحكى - السرد والحوار والمناجاة - التى قدمها فى الرواية.

ففى لغة السرد التى استخدمها فى تقديم الشخصيات ووصف المناظر والأماكن والعواطف، قدم لنا سرده بلغة فصحى واضحة، صحيحة نحويا وصرفيا، مفهومة لقرائه مثال ذلك فى:

1 - Yakini Masizi hakuamini kabisa kile alichokisikia pale. Alimtazama Patricia, msichana wa asili ya Wahindi wa Kiamrekani kutoka Brazil, mwembamba kwa umbo na mwenye nywele ndefu zilizoanguka mabegani kama za Bikira Maria, kwa mashaka na mafadhaiko. Baada ya ukimya wa kumpisha shetani, Yakini alichukua glasi ya bia na kugugumia pombe kama mtu aliyepata kiu kali ya ghfula. Kisha, kwa sauti ya kutetemeka na kukwaruza alimwuliza Patricia kwa kurudia maneno aliyoyasikia awali: 'Umesema Merton Mpwitu alikukamata kwa nguvu na kukunajisi?) 'Uk.3

لم يصدق يقين ماسيزى ما سمعه هناك، نظر إلى بتريسيا، الفتاة ذات الأصل الهند - أمريكى القادمة من البرازيل، نحيفة الجسم التى تشبه العذراء مريم فى وجهها وشعرها المسترسل على كتفيها، نظر إليها بدهشة ويؤس، وبعد فترة صمت قاوم فيها الشيطان، تناول يقين كأس البيرة ورشفها رشفة واحدة كالذى تملكه الظمأ المفاجئ، ثم طلب من بتريسيا - بصوت قوى حاد - أن تعيد على مسامعه الكلمات التى قالتها من قبل فقال" هل قلتِ إن ميرتون مبويتو قد تعرض لكِ واغتصبك بالقوة؟

هذه هى اللغة الفصحى البسيطة التى بدأ وانتهى بها الكاتب فى الكثير من مواضع السرد فى الرواية، لغة واضحة، جمل مترابطة لتؤدى الفكرة بوضوح.

وكذلك لغة الحوار التى استخدمها الكاتب على لسان شخصياته لم تكن لغة عامية ساقطة، بل كانت لغة أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية؛ لأن معظم شخصياته تمثل المثقفين بثقافات عالية متنوعة، فأبطاله يدرسون دراسات عليا فى أوربا، وزوجاتهم من ذوات المؤهلات العليا، حتى الشخصيات غير المحورية كان لكل منه قسطٌ من التعليم. يمكنه من استخدام لغة صحيحة سهلة واضحة نحو:

2 -"Tulikwenda kuishi katika nchi ya ajabu! " Chaupele aliyapindua mazungumzo ghafla. "Huko mahali si shawri hata kidogo. Mwaka jana nilipokuwa huko, kuliwahi kutokea mapambano makali kati ya watu weusi na polisi wa Kizungu jijini London. Nimewahi kufi-

ka sehemu yalikotokea mababambano hayo, sehemu ya Mashiriki ya London. Ukipata bahati fika huko. Nakwambia kunanuka umaskini mtupu. Watu wengi wanoishi huko ni watu weusi, na wengi wao hawana kazi za ujira. (Uk.6) .

غير تشاوبيلي مجرى المحادثة فجأة وقال: " نحن ذاهبون للحياة في بلد عجيب! لن تجد هناك مكانا هادئا على الإطلاق، فعندما كنت هناك في العام الماضي، وقعت مصادمات بين السود والشرطة الأوروبية في مدينة لندن، كنت في شرق لندن حيث وقعت المصادمات، لو حالفك الحظ صل إلى هناك، فإنني أقول لك أن المكان يفوح بالفقر المدقع، فمعظم الذين يقطنون هناك من أصحاب البشرة السوداء، ممن ليس لهم أعمالٌ دائمة".

هذه هي لغة الحوار التي استخدمها الكاتب على لسان أحد الشخصيات، تتميز بالوضوح حيث الجمل القصيرة، ولولا تخطي بعض القواعد الصرفية في بعض الكلمات لصارت لغة فصحى كلغة السرد تماما.

فالتركيب الفعلي **wanoishi** يكتب باللغة الفصحى **wanaoishi**، فيما دون ذلك فلغة الحوار لغة فصحي صحيحة نحويا وصرفيا.

أما لغة المناجاة – حديث النفس ونجواها – لغة صريحة واضحة يتحدث بها الشخص مع نفس، فهي تعود إلى صاحبها ومستوى ثقافته وعلمه، فالحديث هنا يكون على مستوى الشخصية العلمي والثقافي، ولا تختلف كثيرا عن لغة الحوار لأنها في الأصل لغة حوار النفس

ومنجاتها، والفرق يقع فى كونها لغة غير مسموعة بخلاف لغة الحوار،[١٤] ومن لغة المناجاة التى كانت ترد فى الرواية نسوق الآتى:

3 - Bila kusita, Yakini alijibu, "Nakubali." Aliwaza moyoni, ya nini kujali tena? Sina uchaguzi wowote, hata sijui pa kwenda. Potelea mbali, liwalo na liwe! Sijawahi kuwa na siku ndefu kama hii! Ah, nyota yangu itaniongoza, na mizimu ya mababu kama wapo kunimuliki njia. Heri hili shetani nililolifahamu leo kuliko hizo njia wala watu nisiowafahamu. (Uk.9).

وافق يقين بدون تردد وأخذ يناجى نفسه:ماذا يمكن أن أفعل؟ ليس لدى أية خيارات، حتى إننى لا أعرف إلى أين أذهب! ماذا يفعل شخص تائه مثلى! فلم أمر فى حياتى بأطول من هذا اليوم ! آ ه، قدرى يقودنى، وكأن أرواح الأجداد تعترض طريقى، خيرٌ على كل حال، فإن الشيطان الذى عرفته اليوم أفضل من هذه الطرق وهؤلاء الأشخاص الذين لا أعرفهم.

هكذا يناجى البطل نفسه بلغة راقية تخلو من الأخطاء النحوية والصرفية، وذلك يرجع للثقافة والمستوى العلمى الذى يتميز به بطل الرواية وفصاحته وتمكنه من لغته.

وبعد العرض الموجز للغة الرواية، نأتى إلى عرض التحليل الأسلوبى للرواية موضوع الدراسة.

التحليل الأسلوبى

الأسلوب هو ما يسمح بالتعرف على الكاتب وتمييزه عن غيره، ويقوم على مبدأ الاختيار من إمكانيات لغوية مختلفة تتمثل فى الألفاظ والتراكيب النحوية، التى تصل أحيانا إلى درجة من الدقة بحيث نستطيع التعبير عنها بالأرقام، فنقرر مثلا قوة بعضها ونتتبع تطورها، والأسلوب لا يقوم بالطريقة التى نختار بها الألفاظ فى الجملة فحسب، بل بالطريقة التى تتناسق بها الجمل والمقاطع والفصول، وعلى جميع مستويات هذا البناء الضخم الذى هو الرواية يمكن وجود أسلوب، أى شكل خارجى وتفكير فى الشكل وبالتالى إيقاعه، وهذا ما يسمونه بالتقنية فى الرواية المعاصرة، فمفهوم الأسلوب فى الرواية إذن يرتبط بجملة الخصائص التقنية لها مقتربا من مفهوم النمط السردى ومبتعدا عن السطح اللغوى المباشر للنص، فاللغة فى الرواية وسيط يقوم بتثبيت مفردات الدلالة وبناء هيكل المعنى الكلى وتنظيم عمليات التصوير والرمز. (١٥)

ويُعتبر التحليل الأسلوبى – فى هذا المجال – من أحدث مستويات التحليل اللغوى فى نطاق علم اللغة العام فقد نشأ بعد ما استقرت مستويات التحليل الصوتى والصرفى والنحوى والمعجمى، وقد قام التحليل الأسلوبى على كل هذه المستويات، فهو يتناول اللغة

فى مستوياتها المختلفة لنخرج بتوصيف دقيق شامل لجوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ويمكن الاقتصار على بعض هذه المستويات طبقًا لهدف الدراسة الأسلوبية نفسها، والتحليل الأسلوبى للعمل الأدبى يتناول جوانب المفردات والتوافقات الصرفية والعلاقات النحوية، وكذلك الصور البلاغية : وذلك حتى يمكن الخروج بسمات أسلوبية عامة للعمل الأدبى ومن ثم السمات الأسلوبية لصاحب هذا العمل الأدبى .

وقد تمت كل الإحصائيات التى احتاجتها الدراسة فى جميع صفحات الرواية (١١٥) صفحة.

ومن هذا المنطلق نبدأ فى عرض التحليل الأسلوبى لرواية "الماس الزائف" موضوع الدراسة من خلال المستويات اللغوية المختلفة.

أولا : مستوى المفردات

تتميز الأعمال الروائية فى الأدب السواحلى – وغيره من الآداب الأخرى – عن الأعمال القصصية بتعدد الأحداث فى داخل الرواية الواحدة، وزيادة عدد صفحات الرواية وبالتالى زيادة عدد المفردات فى الرواية عنها فى القصة، فمتوسط مفردات الرواية يبدأ من خمسين ألف مفردة إلى أكثر من مائتى ألف مفردة [١٦]، ومفردات رواية (الماس الزائف) التى نحن بصددها تصل إلى خمسين ألف مفردة، بمتوسط أربعمائة وثلاثين مفردة فى الصفحة الواحدة، وكان عدد صفحات الرواية مائة وخمس عشرة صفحة.

وعبر الرحلة المجتهدة للتحليل وتسجيل الملاحظات يحرص الناقد على عدم إفلات الكلمات أو التعبيرات ذات الطابع الخاص التى يمكن اتخاذها مؤثرات للتفسير، فعلى سبيل المثال حين يصف الراوى مشهد بطل الرواية وهو يردد " أريد أريد" يطرح الناقد احتمالات كونه لم يحقق بعد ما يطمح إلى تحقيقه أو كونه - ثانيا - بالغ الحب لذاته، أو ربما يشير ذلك إلى مدى النقص وفرط الملل فى حياته، إن السؤال عما يريده تحديدا يطرح نفسه أهو المزيد من الحب، الثروةالسعادة احترام الذات ؟ (١٧)

هذه الاحتمالات وغيرها لابد أن يستحضرها ناقد الرواية أثناء قراءته لها، كى يضع يده على بغيته، كأن تكون مفردة كثيرة الدوران فى الرواية، أو استخدام مفردة فى غير معناها المعهود لدى المتلقى، أو ترديده تركيباً له مدلول معين ويريد الوصول به إلى ترسيخ فكرة ما : على سبيل المثال استخدام الكاتب للون الأبيض أو الأسود لترسيخ فكرة العنصرية فى مذهب جماعة معينة، كل هذه الاستخدامات تعتبر مفاتيح للدخول فى أغوار الكاتب واستخراج ما فى جعبته الخفية عن المتلقى، أو الوصول إلى ما بين السطور الذى يريد أن يشير إليه الكاتب بدون تصريح واضح، باستخدام هذه المفاتيح أو بمعنى أدق : الشفرات اللغوية التى وردت فى الرواية موضوع الدراسة نستطيع الإبحار فى أمواجها المتلاطمة لنرى مدى تنوع مفردات الرواية كالآتى :

١ - الاستخدام المتكرر للمفردات الدالة على السخرية والمزاح نحو: الكلمة Masihara التى تعنى (سخرية أو مزاح) وقد وردت (٢١) مرة،

ومادة Kucheka بمعنى (الضحك) قد وردت (١٢٠) مرة بما فيها الاسم kicheko بمعنى (ضحكة) المشتق منها، والكلمة Mzaha بمعنى (مزاح) وقد وردت (٢٢) مرة، وكان هذا في جميع صفحات الرواية، ذلك يوحى بأن المناخ العام للرواية هو السخرية والمزاح الذى تتعامل به الشخصيات فيما بينها، كما أنه يدل على العلاقات الحميمة التى تربط أبطال الرواية مما يجعلهم فى تفاعل مستمر مع بعضهم. ومن خلال الرواية، وجدنا أن الكثير من مواقع السرد والحوار لا تخلو من هذه الكلمات الدالة على المزاح، ومنها نذكر الآتى:

4 - "Hebu wacha huo upuuzi wako wa Ulaya kwanza kisha tuongee yaliyotuleta hapa, "Yakini alidakia ghafla. "Hilo! Hiloo! "Zambe alizomea kwa mzaha. "Huachi tu bwana! Yaani umekuja kuniletea shida ndani ya nyumba yangu? Kama ni fedha, unapoteza muda wako bure. Hata benki tu siku hizi hazina hela, sembuse akina Zambe hapa? "Yakini alicheka, akasema, "Wacha masihara bwana Zambe. Kuna jambo zito sana ninalokusudia kukwambia"(Uk.44).

قاطعه يقين فجأة "فلتدع لغوك (الذى ألفته فى أوروبا) أولا ثم نتحدث فيما حضرنا من أجله"، صاح زامبى مازحا: "مرحى مرحى دعك أنت يا سيدى! هل حضرت لجلب الشدائد لمنزلى؟ فإذا كنت تريد مالا فأنت تضيع وقتك سدى، حتى البنوك تخلو من الأموال هذه الأيام، فهل تدع أهل زامبى فيما هم فيه؟ ضحك يقين وقال: دعك من المزاح يا سيد زامبى، هناك أمر هام أريد إبلاغك إياه.

الحوار دليل على العلاقة الحميمة التى تربط بطلى الرواية يقيناً وزامبيًا ويحمل الكثير من المفردات الدالة على هذه العلاقة من ضحك ومزاح وربما سخرية من الأمور التى تدور حولهما.

٢ – الاستخدام المتكرر والملحوظ لكلمة Kweli أو ukweli التى تعنى (حقيقة) إنما يدل على أن الكاتب يسعى دائما إلى الحقيقة ويتحراها فى سرده وحواره، ليقدمها لنا مجردة، وربما يبرهن على ذلك اختياره لاسم شخصية البطل المركزية (يقين) بما توحى به من تيقن وتحقق فى الأمور التى يريد أن يعرضها لنا الكاتب، والسمات العامة لشخصية البطل التى لا تقبل غير الحقيقة، وبذلك يريد الكاتب أن يقول لنا إنه لا يصح غير الصحيح، وهذا ما انتهت إليه أحداث الرواية فى النهاية، التى أظهرت حقيقة الشخصيات العامة التى كانت تتوارى فى ثوب الملائكة على الرغم من حقيقتهم القريبة جدا من الشياطين، وقد وردت هذه الكلمة (١١٥) مرة بواقع مرة فى كل صفحة، ومن السياقات التى وردت فيها نسوق الآتى:

5 - Lakini awali ya yote, ni lazima nikiri kwamba kwa kweli mimi sujui kama nyie ni watu wa namna gani. (Uk.4)

لكن قبل كل شىء، لابد أن أعترف بحقيقة أننى لا أدرى من أى صنف من البشر أنتم؟

6 - Kosa lake Yakini, na kile kilichomwadhibu sana ni kujifanya mkweli, akasahau kwamba ukweli unauma, na msema ukweli hu-onekana mbaya daima. (Uk.12).

إن خطأ يقين، والشىء الذى يعذبه أنه يتعامل بصدق، وقد نسى أن الحقيقة مؤلمة، وقول الحقيقة يبدو مؤلمًا دائمًا .

يظهر فى المثال الخامس: حرص الكاتب على الحقيقة فى أكثر من كلمة علاوة على كلمة (حقيقة)، فنجد كلمة Lazima بمعنى (لابد)،

وكلمة Nikiri (أقر أو أعترف)، وكلها من قبيل تأكيد الكاتب على الحقيقة التى يريد أن يقدمها لنا دائما لدرجة أن البطل يعترف بعدم معرفة نوعية الأشخاص الذين يتعامل معهم، كما يظهر تكرار مادة (الحق) فى ثلاثة مواضع بالمثال السادس.

٣ - اللون الأسود الذى كان الكاتب يردده فى وصفه للأفارقة Weusi وكذلك الهنود فى أوربا - عند الحديث عن الأفارقة فى مقابل الأوروبيين الذين كان يصفهم بأصحاب البشرة البيضاء Weupe - إنما يدل على الصراع النفسى الذى كان يعانى منه البطل، الناتج عن التفرقة العنصرية التى يمارسه الأوروبيون ضد أصحاب البشرة السوداء، لدرجة أنهم فى كثير من الأحيان يدافعون عن الحيوانات وخاصة الكلاب أكثر من دفاعهم عن الإنسان الأسود، وكانت فكرة العنصرية هى التى ركز عليها الكاتب فى تناوله للعلاقة بين الأفارقة والأوروبيين، فقد وردت كلمة weusi ومفردها mweusi بمعنى (أسود) عشرين مرة، بينما وردت كلمة weupe بمعنى (أبيض) خمس مرات، علاوة على الكلمة Waafrika (الأفارقة) التى وردت (٤٥) مرة، والكلمة Wazungu(الأوروبيون) قد وردت (٦٥) مرة، بالإضافة إلى التركيب Ubaguzi wa Rangi الذى يعنى (التفرقة العنصرية) وقد ورد (١٥) مرة، ومما ورد من هذه السياقات نسوق الآتى:

7 - Basi, wote waliochukuliwa hapa ni Waafrika watupu. Kwa kawaida wanawashuku watu weusi kuwa ndio wauza bangi ma-dawa ya kulevya. Hakuna hata Mzungu mmoja waliyemchukua. (UK.8).

"هكذا، كل الذين يقبض عليهم (يؤخذون) هنا من الأفارقة فقط، فمن طبيعتهم أن يرتابوا في أصحاب البشرة السوداء، على أنهم يبيعون البانجو والمواد المخدرة، ولا يُقبض على أى أوروبى مطلقا"

8 - Lakini kilichomshitua kuliko vyote ni Ubaguzi wa Rangi ulioku-wa bado upo, na hali iliendelea kama zamani.(18)

لكن الشيء الذى أزعجه أكثر هو التفرقة العنصرية التى ظلت باقية، واستمر الحال كما كان فى الماضى.

يريد الكاتب أن يقول لنا فى المثال السابع - بالمقام الذى ورد فيه - أن التفرقة العنصرية التى يمارسها الأوروبيون تجعلهم يتهمون كل شخص أسود حتى ولو كان بريئًا، ويغضون الطرف عن أى أوروبى ولو كان مدانا.

وفى المثال الثامن يبرز الكاتب الصدمة التى عانى منها الحاج ماجيكوندو بعدما رجع من الحرب بجوار الإنجليز ووجد التفرقة العنصرية مازالت موجودة، ولم يتغير الحال عما كان عليه بعد الحرب كما وعدوهم قبل انضمام الأفارقة مع الإنجليز فى حربهم .

ونستطيع القول بأن الكاتب قد حاول أن يبعد شبهة العنصرية عن أصحاب البشرة البيضاء غير الأوروبيين من خلال عدد تكرار الكلمة wzungu الدالة صراحة على الأوروبيين، والتى وردت (٥٦) مرة، كما يدل على ذلك قلة تكرار الكلمة weupe بمعنى (أبيض) التى وردت خمس مرات فقط دليلا على عدم تعميم العنصرية من كل أصحاب البشرة البيضاء، و نسبها إلى فئة واحدة منهم وهم الأوروبيون.

٤ – استخدام المفردة hela التى تعنى (نقود) وهى غير المشهورة بدلا من المفردة pesa التى تعنى (نقود) أيضا ولكنها هى المشهورة والمتداول استخدامها على نطاق واسع فى لغة الحياة اليومية، هذا الاستخدام يعتبر من قبيل السمات الأسلوبية التى يتميز بها الكاتب فى استخدام بعض المفردات داخل الرواية، فقد وردت الكلمة الأولى (١٥) مرة، بينما وردت الثانية خمس مرات وهى الأكثر استعمالا فى الحياة اليومية، ومما ورد لها من سياقات نسوق الآتى:

9 - Kwa bahati mbaya hakumwona, kwani Siti Binti Saad alikufa kabla hela hazijatimia. Kwa masikitiko, alizichukua hizo hela za kwenda kuishi Dar-Es-Salaam, nazo akizitia katika biashara ndo-gondogo za mitaani. (Uk.92)

ولسوء الحظ فإنه لم يرها، لأن ستى بنت سعد قد توفيت قبل أن تكتمل النقود، وبكل أسف أخذ هذه النقود وذهب للحياة فى دار السلام، و بالنقود عمل بتجارة التجزئة متجولا فى الأحياء.

وقد استخدمت الكلمة hela لتتوازى مع ندرة النقود الموجودة مع الأفارقة، لأن هذه الكلمة تعبر – كما وردت فى الرواية – عن المبالغ البسيطة التى فى حوزتهم، ومن هنا كان استخدام الكاتب لها استخداما موفقا لوصف الحالة المادية التى كان يعيش فيها الأفارقة.

٥ – استطراد الكاتب فى ترديد مفردات دالة على المشروبات الروحية مثل : bia بمعنى (بيرة) التى وردت (٣٨) مرة، و pombe بمعنى (جعة) وقد وردت (١٥) مرة، وكلمة wiski بمعنى (ويسكى) وردت سبع

مرات، علاوة على ترديد كلمة baa بمعنى (حانة) التى وردت (٢٠) مرة، وقد وردت هذه المفردات فى سياقات كثيرة، نسوق منها الآتى:

10 - Baa ilikuwa imejaa wanyewaji tele; ilikuwa kama vile kuna sherehe. Baada ya kutafutiwa meza na msichana aliyehudumia pale, waliketi na kuagiza bia mbili. "Shilingi mia mbili, "yule msichana aliwaambia. "Tena kama mnatarajia kunywa zaidi ya hapo, bora muagiza sasa hivi kwa maana hili tatizo la upungufu wa bia halijaisha. Leo tumepata masanduku machache sana. Kiwanda cha Bia wanadai kwamba hakuna vizibo kutokana na ukosefu wa mali ghafi.("Uk.27)

امتلأت الحانة بالكثير من الرواد، وكأن هناك حفلاً بها، بعدما بحثت لهما فتاة الحانة عن مائدة جلسا وطلبا كأسين من الجعة، طلبت منهما الفتاة مائتى شلن، ثم قالت لهما : إذا كنتما تريدان المزيد من الجعة فاطلباه الآن، لأن هناك نقصا فيما ورد إلينا منها اليوم، وما ورد منها غير صناديق قلائل، فمصنع الجعة يتذرع بعدم وجود سدادات لنقص فى المواد الخام.

بدأ السياق بكلمة baa (حانة)، وجل الحديث عنها وما بها من رواد وازدحام الناس بداخلها، كما ترددت الكلمة bia (جعة، بيرة) ثلاث مرات علاوة على ما دل عليها بضمير الغائب، وذلك يوضح المناخ العام فى الرواية والفكرة التى يريد أن ينقلها الكاتب عن هذه المجتمعات، المتعلقة بالمناخ العام فى البلاد الأوروبية وبعض المدن الأفريقية، حيث الثمالة والعربدة التى يعيش فيها أهل هذه المجتمعات، كما يدلل على أهمية هذه المشروبات فى حياتهم أكثر من الحصول على القوت الضرورى الذى نادرا ما يتوفر للكثيرين فى هذه المجتمعات.

٧ – ترديد ملحوظ للمفردات الإنجليزية فى السياق السواحلى مما يعد دليلاً على تأثر الكاتب باللغة الإنجليزية التى يجيدها بجانب لغته الأولى "اللغة السواحلية"، فقد ردد الكاتب كلمات مثل: friend (صديق)، على الرغم من وجود المرادف السواحلى لها (rafiki) و كلمة soldier (جندى) ومرادفها السواحلى (askari، و كلمة out (خارج) ومرادفها السواحلى ((nje، و كلمة African (أفريقى) ومرادفها السواحلى ((mwafrika، و كلمة European(أوروبى) ومرادفها السواحلى ((mzungu، و كلمة labor (العمل) ومرادفها السواحلى ((kazi، وغيرها من المفردات الإنجليزية التى تكررت فى السياق السواحلى على الرغم من وجود المرادف السواحلى لها، ومن سياقات هذه المفردات نسوق التالى:

11 - "Vipi leo mmekuja kunipeleka out na mama watoto wangu?" Zambe aliendelea na mizaha yake. "Wacha bwana! Kuna out gani miaka ya leo. Labda kama umekusudia watoto walale na njaa. "Yakini alijibu huku akicheka. (Uk.43).

استمر زامبى فى مزاحه قائلا: هل آتيتم لترسلونى للخارج مع أم أطفالى؟ رد يقين ضاحكا: دعك من هذا يا سيدى! أى خارج فى هذه الأيام، ربما تقصد أن تقول إن الأطفال ينامون جوعا.

هذا الاستخدام المتكرر للمفردات الإنجليزية يعتبر سمة سلبية فى أسلوب الكاتب بخروجه عن النظام اللغوى العام الذى تُكتب به الرواية، فعندما يواجه الكاتب القراء بمستوى لغوى يخالف المستوى اللغوى الذى يكتب به، ويذكر بعض الكلمات الأجنبية فى السياق – قلت هذا الكلمات

أو كثرت - فإنه بذلك يسبب حيرة للقارئ في فهم هذه الكلمات والبحث عن معانيها مما يأخذ القارئ بعيدا عن الفكرة التي يتابعها، وقد استخدم الكاتب أكثر من عشرين كلمة إنجليزية في السياق السواحلي، منها ما تكرر وروده أكثر من مرة.

هكذا استخدم الكاتب المفردات الإنجليزية في السياق السواحلي، وقد كتبها في السياق بحرف مائل، وهذا ما سنتناوله في الفكرة التالية.

ثانيا: طريقة الكتابة في الرواية

تتمثل طريقة الكتابة في أسلوب الكاتب عندما يصب فكرته في الوعاء اللغوي، المكون من الحروف والمقاطع والكلمات، وقد اشتركت معظم اللغات المستخدمة في العالم في سلوك كتابي منتظم، من حيث أشكال الحروف في كل لغة وطريقة كتابة هذه الحروف، وكان لعلماء اللغة باعٌ طويلٌ في مثل هذه الأمور، فنجدهم قد وضعوا القواعد الثابتة للكتابة والإملاء في كل لغة، هذه القواعد لها دلالاتها الوظيفية التي تؤديها، تظهر هذه القواعد في استخدام حروف اللغة بشكلين أساسيين: الحروف الكبيرة والحروف الصغيرة، ثم نقطة بداية الجمل وفواصلها علاوة على الأقواس وعلامات التنصيص وغيرها من الإشارات الدلالية في اللغة، وقد حدد العلماء وظائف ثابتة لكل هذه الإشارات، ومن ذلك تحديدهم لدلالات الحروف الكبيرة التي تستخدم في تحديد بدايات الجمل، وأسماء الأعلام والمدن غير ذلك.

تلك هى القواعد الثابتة التى استخدمها اللغويون وغيرهم من مستخدمى اللغات، وعندما نأتى لعمل ما من الأعمال اللغوية أو الأدبية ونقابل بعض السياقات اللغوية التى تجاوزت هذه القواعد، فلابد أن ندرك أن هناك علة ما وراء هذا التجاوز، ربما تكون هذه التجاوزات مقصودة من الكاتب أو المؤلف، ويريد عن طريقها التركيز على فكرة ما يريد أن يقدمها لنا فيما بين السطور، هذه الفكرة ربما يكون من غير المطلوب التلميح بها صراحة، على سبيل المثال: عندما يأتى كاتب الرواية (موضوع الدراسة) ويكتب الحرف الأول فى كلمة Chama (حزب) فى المواقع المختلفة بمعظم سياقات الرواية بالشكل الكبير، فإنما يريد أن يقول لنا إن الحزب الوحيد فى بلاده هو المسيطر على كل أمور البلاد، وربما يريد أن يقول لنا إن كل ما تعانى منه بلاده فى هذه الفترة سببه الحزب، لأنه المسيطر على الدولة، هذه الفكرة لا يستطيع الكاتب أن يبوح بها صراحة، فلجأ إلى إخفائها فيما بين السطور، وكل لبيب بالإشارة يفهم.

بناء على ذلك – وخلال رحلة الاستقراء الشامل والمفصل للرواية موضوع الدراسة – أدركنا بعض الظواهر الأسلوبية على مستوى الكتابة أتى بها كاتبنا، هذه الظواهر يمكن إجمالها فى الآتى:

١ – بدأ الكاتب كل فصل من فصول الرواية بثلاث كلمات مكتوبة جميع حروفها بالحروف الكبيرة، وهذه سمة يمكن أن يتسم بها أسلوب كاتبنا، ولكل كاتب فى هذه الظاهرة سلوك معين، فمنهم من يبدأ فصول رواياته بكلمة واحدة مكتوبة بالحروف الكبيرة كالروائى شافعى آدم فى

رواية Kuli "الحمال" ورواية Kasri ya Mwinyi Fuad "قصر السيد فؤاد"، وكذلك الكاتب شعبان روبرت فى رواية Kusadikika "الصدق"، ومنهم من يبدأ فصول روايته بكلمتين مكتوبتين بالحروف الكبيرة كالروائية زينب عبد الوهاب فى رواية Kikulacho (ما يأكلك)، (١٨)

ولكاتبنا نذكر ما ذهب إليه فى بدايات فصوله كالتالى:

12 - MASIZI HAKUAMINI kabisa kile alichokisikia. (Uk.3).

– YAKINI ALIKUWA NDIYO kwanza arudi toka kazini.(Uk.10).

– ASUBUHI JUMATANO ILE, siku tatu tangu Yakini(Uk.25).

– NDIYO ILIMBIDI YAKINI afanye hima akaonane na (Uk.43).

– NADHANI TULIFANYA KOSA kutokumweleze Patricia.(UK.60).

– YAKINI NA WENZAKE walirudi kutoka kituo cha polisi. (Uk.83).

– INGAWA ILIKUWA JUA kali sana hiyo Jumamosi, (Uk.102).

تلك هى بدايات فصول الرواية السبعة، كتب الكاتب ثلاث كلمات الأولى فيها بالحروف الكبيرة، وقد أراد الكاتب بهذه الطريقة أن يخالف الرواة المعاصرين، متخذا له أسلوبا يميزه فى روايته التى بين أيدينا.

٢ – اتخذ الكاتب سلوكا مميزا فى كتابة المفردات التى يريد أن يقدم لنا فكره الخفى من خلالها، فنجده يبدأ هذه الكلمات بالحرف الكبير أينما وقعت، إيحاءً خفيا منه لما يريد قوله من خلال هذه الكلمات، فكما ركز على كلمة Chama – كما ذكرنا سابقا – نراه يركز على كلمة Ujamaa بمعنى (الاشتراكية) التى ينادى بها فى روايته عن طريق العمال والفلاحين ومظاهرات الطلاب، كما ركز على كلمة Uhuru

(الحرية) التى يتمناها كل مواطن ليعبر عن رأيه، وكلمة Chuo Kikuu (الجامعة) التى يأمل فى طلابها أن يكونوا حراسا للوطن من المسيطرين عليه من الداخل والخارج، كما ركز على الكلمتين Mwafrika أو Waafrika (الأفريقى أو الأفارقة)، و Mzungu أو Wazungu (الأوروبى أو الأوروبيون) وذلك فى جميع المواقف الذى يحاول أن يظهر فيها بغضه ومحاربته للتفرقة العنصرية التى يسلكها الأوروبيون مع الأفارقة، ذلك علاوة على الكلمات الاصطلاحية التى جاءت فى سياقات السرد والحوار داخل الرواية، لتعبر عن القطاعات العمالية فى البلاد والشركات الصناعية والزراعية، من هذه السياقات نسوق الآتى:

13 - Mzee Mpwetu alikuwa mashuhuri sana, kwa maana alipewa uBwana Leba baada ya Uhuru, wakati wafanyakazi wa Mkonge, Reli, Posta na kwingineko wakifanya migomo ya kudai mishahara zaidi na kufanya upinzani wa mambo yaliyohitaji umoja ili tuendelee. (Uk.49).

كان الشيخ مبويتو مشهورا؛ فقد مُنح لقب السيادة بعد الاستقلال، فى الوقت الذى أضرب فيه عمال قطاعات الكتان، والسكة الحديد، والبريد وغيرهم مطالبين بزيادة الأجور، فقد عارض هو ذلك فى الوقت الذى كنا نريد التضامن فيه لكى نستمر.

فى هذا المثال ركز الكاتب على بعض الكلمات التى تحمل فكرتين متناقضتين يريد أن يقدمهما لنا: الأولى الغرض منها السخرية من السيد مبويتو الذى وقف ضد تضامن العمال المطالبين بزيادة رواتبهم، ولذلك منحته السلطات لقب "سيد" Bwana تقديرا لجهوده المضادة للعمال، أما الفكرة الثانية فهى على النقيض تماما: فقد ركز على

القطاعات العمالية التى شاركت فى الإضراب العام مطالبين بحقوقهم، مفتخرا بهم وبما قدموه للوطن، كما ركز على فكرة الحرية والاستقلال الذى ينشده كل أبناء الوطن من خلال تركيزه على كلمة **Uhuru** (الحرية أو الاستقلال).

٣ – استخدم الكاتب الحرف الصغير المائل فى كتابة الكلمات الإنجليزية التى وردت فى السياق السواحلى، فكل الكلمات الإنجليزية التى ذكرها الكاتب فى السياق السواحلى جاءت بالحرف الصغير المائل، وربما يكون ذلك من قبيل تركيزه على الفكرة السلبية التى تؤديها هذه الكلمات، ومن هذه السياقات نسوق الآتى:

14 - Naona Mzee Merton ameshapata leo. Huko ndiyo kuwa sharp. Siku ya kwanza tu ugeneni na kuopoa! (Uk.36).

أرى الشيخ ميرتون حصل على بغيته اليوم، فهو صارم (حريص على مصلحته) فمن اليوم الأول فى الغربة و اندمج (معهن)

الكلمة الإنجليزية **sharp** (صارم أو حريص على مصلحته أو حاد) سمة من سمات السيد ميرتون (الشخصية الشريرة فى الرواية) وقد ذكرها الكاتب سخرية من تصرفات هذا الشخص، وقد كتبها بالحروف المائلة، وكذلك نجد الكلمة الإنجليزية فى السياق التالى:

15 - Njiani walipishana na Wazungu waliolewa hoi, wengine wakitapika, wengine wakiimba na wengine wakila ships. (Uk.37).

وبالطريق مروا بالأوروبيين السكارى، بعضهم يتقيأ، وبعضهم يغنى والبعض الآخر يأكل البطاطس المقلية.

لاحظ فى المثال السابق كتابة الكلمة الإنجليزية **ships** بالحروف الصغيرة المائلة ، وكأن الكاتب يريد أن يقول لنا إن البطاطس المقلية هى غذاؤهم الرئيسى على الرغم من قلة قيمتها الغذائية ، ولكنهم يركزون على المشروبات الروحية التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، كما نلاحظ هنا تركيزه على كلمة **Wazungu** (الأوروبيون) وكتابة الحرف الأول منها بالشكل الكبير، وكأنه يريد أن يقول لنا هنا أن الأوروبيين هم الذين يتسكعون سكارى وليس غيرهم من أصحاب البشرة السوداء.

ثالثاً : البناء الصرفى للرواية

عندما استخدم الكاتب ثلاثة مستويات لغوية فى التعبير عن فكرته، ظهر بعض التباين الصرفى، و تمثل فى الفروق اللغوية التى تميز لغة الحوار عن لغة السرد، وعلى الرغم من فصاحة لغة الرواية بشكل عام إلا أن هناك بعض الفروق اللغوية الدقيقة التى ميزت بين لغة الحوار والسرد والمناجاة، هذه الفروق تمثلت فى استخدام ضمير فاعل فى مجال أكثر من الآخر، أو استخدام أداة صرفية بطريقة خاصة غير استخدامها المعهود فى النظام العام للغة السواحلية. ويمكن أن نجمل هذه الظواهر الصرفية فيما يلى:

١ - استخدام ضمير الفاعل الغائب:

يلجأ الكاتب – فى الغالب – إلى ضمير الغائب فى أسلوب السرد ليتوارى من خلفه ليقدم ما يشاء من أفكار وتعليمات وتوجيهات وآراء، فيجريها على لسان شخصياته دون أن يتدخل بنفسه ليبتعد عن الذاتية واتهامه بالكذب : فيجعل نفسه مجرد راوٍ للأحداث لا مؤلفٍ لها، وما هو إلا وسيطٌ ينقل الأحداث كما وقعت ليبتعد بذلك عن أسلوب السيرة الذاتية ويقترب من أسلوب الرواية، وعدم التصاق الأحداث بالكاتب واستبعاد الذاتية يوحى إلى القارئ بأن الأحداث حقيقية وقعت بالفعل، واستخدام ضمير الغائب من شأنه أن يفصل بين زمن وقوع الأحداث وزمن روايتها.(١٩)

ولذلك نجد الكاتب واعيًا لمثل هذه الأمور فى استخدام ضمير الغائب فى كل سياقات السرد فى الرواية حتى يتمكن من وصف الأماكن والأشخاص والأحداث وصفًا دقيقًا باعتباره شاهدا عليها، ومن سياقات السرد التى استخدمت ضمير الغائب نسوق الآتى:

16 - Alikimbia shoti, akisukumwa kwa nguvu za ajabu huku akimvuta yule msichana nyuma yake. Walipotelea katika vichorochoro vya majumba, na kushitukia wamesimama nyuma ya choo cha kuta za magunia kinachonuka harafu mbaya, huku wakihema na pua zao zikipanuka *na kujifinya kufuatilia* pumzi *zao. Walizuia* pumzi zao kwa pamoja kama vile walikuwa wamepewa ishara na kusikiliza kama kuna mtu aliyekuwa akiwafuatia. (Uk.14-15).

جرى مسرعا، كان مندفعا بقوة عجيبة جاذبا الفتاة خلفه، اختفيا فى الأزقة بين المنازل، وقفا فجأة خلف جدار مرحاض من

الأقمشة الصوفية يفوح رائحة سيئة، وقفا يتنهدان ويتمدد أنفاهما وتضيقان تبعا لتنفسهما، كتما أنفاسهما معا وكأنهما قد سمعا حركة لشخص ما يتبعهما.

نرى الكاتب وقد توارى خلف ضمير الغائب مفردا وجمعا ليحكم السيطرة على تحركات أبطاله، ويشعرنا بأن الأحداث التى يرويها لنا أحداثُ حقيقة، فقد استخدم ضمير المفرد الغائب (a) ثلاث مرات، وضمير الغائب الجمع (wa) سبع مرات بخلاف ما عبر به الكاتب من صفات الملكية الدالة على الغائب أيضاً، كما يريد أن يشعرنا هنا بأهمية الموضوع الذى يقدمه أكثر من أهمية الشخصيات التى تؤديه.

٢ - استخدام ضمير المتكلم:

ركز الكاتب على ضمير المتكلم فى أسلوب المناجاة، كما ركز على ضمير الغائب فى السرد، فعندما يناجى البطل نفسه ويحدثها ليعترف بنقاط ضعفه أو قوته يستخدم ضمير المتكلم الدال على الذاتية. وقد استخدم الكاتب هذا الضمير ليدخل به فى أعماق الشخصية فيعبر عنها بصدق ويكشف عن نواياها ويقدمها إلى القارئ كما هى لا كما يجب أن تكون، وبذلك يذيب النص فى الشخصية مما يجعل القارئ ينسى الكاتب ويعيش مع شخصياته عن كثب. (٢٠)

يظهر ضمير المتكلم كلما اختلى البطل بنفسه أو قدم نفسه وآراءه للآخرين، وكذلك يظهر فى المناجاة التى تجرى داخل كل الشخصيات

المحورية التى تحيط بالبطل، ومن السياقات التى وردت لهذا الضمير نسوق الآتى:

16 -Tunaishi katika enzi za kibaradhuli! Waama sikutegemea kama nitasikia ulaghai kama huo! Watu wote waliotuona na yale mabango wanajua ukweli uko wapi. Lo! Maskini mama yangu! Si ajabu roho yake sasa hivi inanituta kwa wasiwasi. Mimi ndiye niliyekuwa tegemeo lake la pekee, na sasa ndiyo haya tena yaliyonipata. Labda atanielewa kama nikimweleza ukweli. (Uk.17).

نحن نعيش فى عصور الهمجية! بالرغم من ذلك لم أتوقع أن أسمع مثل هذا الهراء! فكل الناس الذين رأونا حاملين اللافتات يدركون أين تكمن الحقيقة، ياه ! مسكينة أمى! ليس عجبا أن تظن بى الظنون، فقد كنت أنا سندها الوحيد، ولن أكون هكذا بسبب ما حدث لى، ربما تفهمنى عندما أقول لها الحقيقة.

استخدم الكاتب فى المثال السابق عشرة ضمائر تعبر عن المتكلم، اثنين منهم فى صيغة الجمع (tu)، وثمانية فى المفرد (ni)، منها ضمير واحد فى حالة النفى(si)، وضمير ظاهر (mimi)، هذا السياق ورد على لسان تريزا إحدى الشخصيات المحورية وهى تحدث نفسها بصوت مرتفع لأنها كانت فى حضرة آخرين وتكلمت بعد فترة صمت طويلة كانت تفكر فيما حدث لها من الشرطة بعد المظاهرات.

٣ - استخدام ضمير المخاطب:

استخدم الكاتب ضمير المخاطب فى الحوار الذى يجريه بين أبطاله أو بين شخصيات الرواية الآخرين، واستخدام هذا الضمير يعد دليلا على مصاحبة الأحداث لزمن الحكى، ليعبر عن الحوار المباشر بين الشخصيات دون فاصل زمنى أو مكانى، كما يعبر هذا الضمير عن الاقتراب النفسى والوجدانى بين الشخصيات المتحاورة فيشير إلى المصاحبة والملازمة، و يستخدم لتوجيه النصيحة المباشرة أو النقد المباشر من شخصية لأخرى فى سياق الحوار بينهما، كما يجعل السارد مرتبطا بالشخصية ارتباطا شديدا ملازما لها ملتصقا بها، وقد وردت سياقات حوارية كثيرة مركزا فيها على هذا الضمير نسوق منها:

18 - Ah, kwani wewe hujui? Rahisi kabisa, bali wewe hupenda kujitia unachunguza undani wa hata mambo ambayo hayastahili umuhimu uyapayo. Kwani tulipokuwa Ulaya kila siku alikuwa anasemaje? Hukumbuki? Kwamba unamwonea wivu, na tena unamchafulia jina lake ambalo ni maarufu sana kwa viongozi wote wa ngazi za juu Hukumbuki? (Uk.29)

آه، فلماذا لا تعرف أنت؟ هذا أمر سهل للغاية، بل أنت تحب أن تضع نفسك فى موضع الباحث المتعمق فى أمور لا تستحق اهتمامك بها، فعندما كنا فى أوروبا ماذا كان يقول؟ ألا تتذكر؟ ألم يقل إنك كنت تؤذيه، كنت تشوه سمعته وأسمه المعروف لدى القيادات العليا، ألا تتذكر؟

استخدم الكاتب فى المثال السابق عشرة ضمائر للمخاطب: اثنين منها بالضمير الظاهر (wewe)، وثلاثة ضمائر منها مع الزمن المضارع

المنفى (hu i. l)، وضميراً واحداً مقترنًا بالزمن المضارع العادى (hu)، وثلاثة ضمائر (u) مع الزمن المضارع المستمر، وضميراً واحداً مع اسم المفعول المركب من بادئة الفاعل والموصول(uyapayo) بالإضافة إلى بادئة المفعول (ya)، وقد ورد الكثير من هذه السياقات فى مواضع الحوار فى الرواية.

٤ – حذف ضمير الفاعل مع الزمن الماضى القصصى(ka) :

استخدم الكاتب الزمن الماضى القصصى (ka) بأسلوبين مختلفين: الأول – عندما يروى لنا قصة حدث ما بلسانه هو شخصيا، فى هذه الحالة يستخدم الزمن (Ka) بالشكل القياسى له حيث وجود بادئة الفاعل التى تسبقه دائما فى التركيب الفعلى، والثانى – عندما يروى هذه القصص على لسان شخصياته، فغالبا يستخدم علامة الزمن الماضى القصصى (ka) بدون ذكر بادئة الفاعل التى تسبقها فى التركيب الفعلى، وقد تكرر ذلك على مدار الرواية، ومن هذه السياقات نسوق الآتى:

19 - Basi nitaanza tena. Sasa msinikatishe tena. Sawa? Basi hizi zama zetu, katokea bwana mifugo. Kasoma mabuku, tena huku *huku* Ulaya. Basi anajua ng'ombe, mbuzi, kuku, nakwambia *kila* mnyama! Aliendelea, "Basi kasoma, kasoma, Mabuku yote kayam-aliza, au tuseme hivi: kayapita mabuku mengi sana. (Uk.54)

إذن سوف أبدأ مرة أخرى، ولا تقاطعونى الآن، متفقون ؟ خرج فى أيامنا هذه سيد للمراعى، قرأ كتبا كثيرة، وذهب إلى أوروبا، تعرف

على كل الحيوانات : الأبقار، الماعز، الدجاج! استمرت فى الحديث " قرأ وقرأ، أتم قراءة جميع الكتب، أو يمكن أن نقول إنه تصفح كتبا كثيرة جدا"

نجد الكاتب قد استخدم فى هذا المثال علامة الزمن الماضى القصصى ka بدون بادئة الفاعل - a التى تعبر عن المفرد الغائب لفصيلة الأشخاص وذلك عندما روى لنا قصة قصيرة على لسان أحد الشخصيات المحورية فى الرواية، بينما يستخدم نفس هذه الأداة مسبوقة ببادئة الفاعل فى سرده لأية قصة على لسانه هو شخصيا.

٥ - استخدام حرفين متتابعين من حروف المعانى فى سياق واحد:

خلال رحلة القراءة للرواية لفت نظرنا استخدام الكاتب لحرفين متتاليين من حروف المعانى، هذان الحرفان المتتاليان ربما يحملان معنى واحداً، وفى هذه الحالة يمكن لأحدهما القيام بالمعنى المطلوب، فمثلا : نجده قد استخدم الحرفين المتتاليين hadi kwa بمعنى (إلى) على الرغم من أن كلاً منهما يمكن أن يحمل هذا المعنى بمفرده، كما نجده قد استخدم حرفين متتاليين رغم اختلافهما فى المعنى ربما لغرض التأكيد مثل استخدامه للحرفين kisha hata (ثم حتى)، أو الحرفين المتتاليين halafu baada (ثم بعد) ومن هذه السياقات ورد الكثير نسوق منها:

20 - Yakini alimpiga simu Tereza na kumweleza kwamba angemsubiri nyumbani kisha waende wote hadi kwa Zambe. (Uk.43).

اتصل يقين هاتفيا بتريزا وأبلغها أن تنتظره بالمنزل ليذهبا معا إلى زامبى.

– **Safari hakupata shahada yake. Kisha hata hivyo vitu vichache alivyojinunulia vikapotea. (Uk.44).**

لم يحصل سفارى على شهادته، ثم حتى (وحتى) الأشياء القليلة التى اشتراها لنفسه فقدها.

– **Hivyo ndivyo tunavyoita nyie Uganda. Nyie nakuja kule, namfukusa Amini, halafu kisha munakomboa mali. (Uk.39)**

هكذا نناديكم فى أوغندا، فأنتم حضرتم إلى هناك وقد طردتم أمينًا، ثم حررتمونا بالمال .

– **Wanafunzi walikutana, wakaamua kwamba wangeandama hadi katika Ofisi ya Magazeti ya Serikali. (Uk.13).**

تقابل الطلاب، قرروا أن يتظاهروا حتى فى (إلى) مقر صحف الحكومة.

– **Akayadharau maisha ya kusubiri mvua zinyshe, mazao yapandwe, yapaliliwe, na baada ya muda mrefu yavunwe; halafu baada ya hapo, kusubiri tena kwa kipindi kirefuí. (Uk.92).**

لقد مل حياة الانتظار لنزول الأمطار، وزرع المحاصيل، وعزق الحشائش، وبعد فترة طويلة تُجمع المحاصيل، ثم بعد ذلك، الانتظار مرة أخرى لفترة طويلة...

استخدم الكاتب **hadi kwa** بمعنى (حتى إلى) فى السياق الأول فى المثال بينما يمكن أن تقوم إحداهما بنفس المعنى، كما استخدم **kisha hata** بمعنى (ثم حتى) بينما يمكن أن تقوم **hata** (حتى) بالمعنى بمفردها بدون ذكر **kisha** (ثم) وذلك فى السياق الثانى من المثال،

واستخدم halafu kisha (ثم / بعد ذلك) بينما يمكن أن تقوم إحداهما بنفس المعنى وذلك فى السياق الثالث من المثال، أما فى السياق الرابع فى المثال فقد استخدم hadi katika (حتى / فى) بينما يمكن أن تقوم hadiبالمعنى بمفردها (حتى)، وكذلك فى السياق الخامس استخدم -hala fu baada بمعنى (ثم / بعد) على الرغم من إمكانية قيام إحداهما بالمعنى المقصود، وقد تكررت مثل هذه الاستخدامات بصورة ملحوظة خلال الرواية بشكل عام للدرجة التى يمكن أن نعتبرها سمة أسلوبية للكاتب.

٦ - تخطى بعض القواعد الصرفية:

ظهر تخطٍ واضح لمعظم القواعد الصرفية فى كل سياقات الحوار التى كانت تدور على لسان الشخصيات الثانوية غير المحورية عندما كانت تشترك أحيانا فى الحوار مع الشخصيات المحورية، كانت هذه الشخصيات إما أن تتحدث بلغة عامية أو بلهجة محلية، مثلما كان يتحدث أيوكا باللهجة الأوغندية، من هذه السياقات نسوق الآتى:

21 - Hivyo ndivyo tunavyoita nyie Uganda. Nyie nakuja kule, namfukusa Amini, halafu kisha munakomboa mali, mabenzi, maredio, matelevisheni, na hata dada setu! Sisi nafulahi sana kwamba nyie nasaidia kutoa ile ndule uaji kubwa Amini. Lakini pia naleta matatiso makubwa ndani ya Uganda. Siku hisi kama mutu naongeya Kiswahili ndani ya nchi yetu ama iko soldier au Mkombosi. Na yote hapana pendwa na sisi. (Uk.39) .

هكذا نناديكم فى أوغندا، فـأنتم حضرتم إلى هناك، وقد طردتم أمينًا، ثم حررتمونا بالمال، والأحباب، والمذياع، والتلفزيونات، وحتى

بأخواتنا، فأنتم ساعدتمونا فى طرد هذا السفاح الكبير القاسى أمين، ولكن قد جلبتم لنا مشاكل كبيرة داخل أوغندا، كان إذا وجد شخص ما يتحدث السواحلية فى بلدنا حينئذ، فإما أن يكون جنديا وإما أن يكون مرشدا، وهؤلاء جميعا لا نحبهم.

اللهجة الأوغندية	اللغة الفصحى	اللهجة الأوغندية	اللغة الفصحى
Namfukusa	Namfukuza	Nafulahi	Nafurahi
Mabenzi	Mapenzi	Matatiso	Matatizo
Setu	Zetu	Hisi	Hizi
Mutu	Mtu	Naongeya	Naongea

هذا ما ورد فى المثال من فروق بين اللغة الفصحى ولهجة أوغندا وتتمثل هذه الفروق فى نطق المجهور (فى الفصحى) مهموسا فى اللهجة الأوغندية وزيادة الحرف اللين y بين المتحركين ea، أما ما ورد من تخطٍ للقواعد الصرفية فى نفس المثال فنجمله فى الآتى:

التركيب	التصويب	التركيب	التصويب
Nyie	Nyinyi	Nasaidia	Mnasaidia
Nakuja	Mnakuja	Ile	Yule
Namfukuza	Mnamfukza	Kubwa	Mkubwa
Nafurahi	Tunafurahi	Naleta	Mnaleta
Naongea	Anaongea	Iko	Yuko
Yote	Wote	Hapana pendwa	Hawapendwi

ظهرت الفروق بين الفصحى والعامية هنا فى إسقاط بادئات الفاعل قبل الزمن المضارع na والنحت فى ضمير المخاطب الجمع nyinyi والاستخدام غير الصحيح للإشارة ile، iko والصفة yote وكذلك نفى المضارع بالكلمة hapana .

استخدمت فى هذا المثال اللهجة الأوغندية، التى ظهرت بها بعض الفروق الصوتية فى الكتابة نجملها فى الآتى:

ومن الحوارات التى كانت تجرى على لسان الأجانب ورد هذا السياق:

22 - " Ndiyo kijana, iko tambua nyinyi ishi hali gumu. Lakini kili mutu nalipwa kwa jusi yake. Fanyakaji mingi African hapana soma na iko vivu. Hapana kuwa kama European." (Uk.19).

نعم أيها الشاب، من الواضح أنكم تعيشون حياة صعبة، لكن كل شخص يُمنح على قدر خبرته، فعمال أفارقة كثيرون لا يجيدون القراءة وهم كسالى، وليسوا كالأوروبيين.

الأخطاء	التصويبات	الأخطاء	التصويبات
Iko tambua	Intambuliwa	Fanayakaji	Wafanyakazi
Ish	Mnaishi	Mingi	Wengi
Hali gumu	Hali ngumu	Hapana soma	Hawasomi
Kili mutu	Kila mtu	Iko	Wako
Nalipwa	Analipwa	Vivu	Wevu
Jusi yake	Ujuzi wake	Hapana kuwa	Hao si kama

هذا المثال بما ورد فيه من تخطٍ للقواعد الصرفية أقرب ما يكون إلى مستوى لغوى يطلق عليه اللغة المولدة (الكريول Creole) وهى لغة بسيطة للاستعمال اليومى وخاصة لغير أبناء اللغة أو غير الناطقين بها.

قد حدث تخطٍ لمعظم القواعد الصرفية فى المثال السابق نجمله فى الآتى:

هكذا ورد الكثير من الحوارات التى كانت تدور بين الشخصيات الأجنبية أو غير المحورية فى الرواية، وقد ندر ذلك فى الحوارات التى كانت تتم بين الشخصيات المحورية؛ وذلك يرجع إلى ثقافتهم العالية وتمكنهم من لغتهم السواحلية.

رابعا : البناء النحوى للرواية

بعدما تعرضنا للبناء الصرفى لرواية (الماس الزائف) موضوع الدراسة، جاء دور البناء النحوى المتمثل فى نوعية الجمل التى يستخدمها الكاتب في روايته، وقد جاءت الجمل متنوعة: فمنها الجمل البسيطة والمركبة، الاستفهامية والخبرية، وجمل التعجب وغيرها من الجمل التي تعبر عن الأساليب النحوية الأخرى كالتعجب وغيره، ونبدأ التحليل الأسلوبى الخاص بالبناء النحوى للرواية على مستوى الجمل كالآتى :

١ - الجمل البسيطة والجمل المركبة :

قصيرة الطول، ومتماسكة فيما بينها، فقد اتسمت الجمل بالبساطة والقصر مما أضفى عليها نوعا من الوضوح الذى يشعر به القارئ عندما يتعمق فى قراءة الرواية، وقد ابتعد الكاتب – إلى حد كبير – عن الجمل الطويلة المثيرة للضجر المكونة من التعبيرات المتداخلة التى تجرنا إلى اللغة العاطفية أكثر من التقريرية .

والتماسك الذى ظهر بين الجمل خلال الرواية بشكل عام قد ركز عليه علماء اللغة المهتمون بالنص : فهم يولون النص عناية كبرى ويركزون على العوامل التى تزيد من تماسكه ووضوح فكرته، ويذكرون أن النص: " خاصية دلالية للخطاب: تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص فى علاقاتها بما يهم من الجمل الأخرى" ويشرحون العوامل التى يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحى للنص، مما يتمثل فى مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف والفصل والوصل والترقيم وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة وأبنية الحال والزمان وأسماء المكان، وغير ذلك من العناصر الرابطة التى يعنى علم اللغة بتحديدها، وتقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص فى مستواه المباشر للقول . (٢١)

وبناءً على ما تقدم نجد كاتبنا قد وظف معظم هذه العناصر (كالروابط وعلامات الترقيم وغيرها) توظيفا جيدا مما أدى إلى وضوح جمله القصيرة فى غالبيتها والمترابطة فى مجملها، واضحة المعنى، معبرة عن الفكرة بصورة واضحة، فهى تقريرية بعيدة عن الغموض .

وقد قمنا بحصر جميع الجمل التى وردت فى الرواية، وقد حصلنا على مجموعة كبيرة من الجمل موزعة كالآتى:

- الفصل الأول : كان عدد الجمل فيه ٢٢٠ جملة، منها ١٣٣ جملة بسيطة و ٨٧ جملة مركبة.

- الفصل الثانى : كان عدد الجمل فيه ٣٧٦ جملة، منها ٢١٥ جملة بسيطة و ١٦١ جملة مركبة.

- الفصل الثالث : كان عدد الجمل فيه ٥٦٩ جملة، منها ٣٢٢ جملة بسيطة و ٢٤٧ جملة مركبة.

- الفصل الرابع : كان عدد الجمل فيه ٦١٠ جملة، منها ٣٦٠ جملة بسيطة و ٢٥٠ جملة مركبة.

- الفصل الخامس : كان عدد الجمل فيه ٦٦٦ جملة، منها ٣٧٥ جملة بسيطة و ٢٩١ جملة مركبة.

- الفصل السادس : كان عدد الجمل فيه ٥٩٥ جملة، منها ٣٥٤ جملة بسيطة و ٢٤١ جملة مركبة.

- الفصل السابع : كان عدد الجمل فيه ٤٨٠ جملة، منها ٢٨١ جملة بسيطة و ١٩٩ جملة مركبة.

حصلنا من الرواية على ٣٥١٦ جملة، كان عدد الجمل البسيطة منها ٢٠٤٠، بنسبة ٥٨٪ من مجموع الجمل فى الرواية، والجمل المركبة ١٤٧٦ جملة بنسبة ٤٢٪ من المجموع الكلى لجمل الرواية، بواقع ٤، ١ : ١ : أى أن كل جملة مركبة يقابلها ٤، ١ من الجمل البسيطة.

والجملة البسيطة - من وجهة نظرنا والآخرين - ما تكونت من مبتدأ واحد وخبر واحد، أما المركبة فهي ما تكونت من أكثر من مبتدأ وخبر.(٢٢)

وتعتبر هذه الإحصائية دليلاً على تفوق الجمل البسيطة على الجمل المركبة، وهذا ينم على وضوح أسلوب الكاتب وسهولته ، ويساعد على الفهم الجيد للفكرة التي يريد أن يقدمها لنا الكاتب ، من خلال الجمل التقريرية البسيطة التي تعبر عن الفكرة بأقصر الطرق، وقد تركزت الجمل البسيطة في الحوار الذي يدور بين الشخصيات بينما تركزت الجمل المركبة في السرد الذي يقدمه الكاتب بقلمه، وحتى هذه الجمل المركبة لم تكن طويلة معقدة : فأغلبها ورد مركبا من جملتين بسيطتين.

ومن السياقات الحوارية المتضمنة على الجمل البسيطة نسوق الآتي:

23 - Merton alitaka kusema kitu, lakini alikatishwa na Zambe aliyekiweka kidole midomoni pake na kusema, "Shiiii! Tuko hospitali hapa, tusiwapige kelele wangonjwa! Usisemi neno. Mimi nitakwambia kila kitu. Kaka yako Inspekta Gordon ataletwa karibuni kwenye chumba cha maiti, pamoja na Athumani. Yule rafiki yake MacBrown, Bwana John Gregory, na yule Mhindi wamewaponza. Tena wamekutwa na almasi na fedha chekwachekwa. Utakoma ubishi mwaka huu! (Uk.110).

أراد ميرتون أن يقول شيئا، لكن قاطعه زامبي الذي وضع إصبعه على شفتيه ثم قال: اصمت! نحن في مستشفى ، لا تجعلنا نقلق المرضى، لا تقل كلمة واحدة، أنا سأخبرك بكل شيء ، أخوك الضابط

جوردون ومعه عثمان سيُحضران حالا إلى المشرحة، وصديقه ماك براون، والسيد جون جريجوري ، وذلك الهندى قد وقعوا فى شر أعمالهم، وسوف تنتهى من طيشك هذا العام!

تضمن هذا السياق تسع جمل : الأولى منها جملة سردية مركبة، وكذلك الجملة الثانية فى الحوار جاءت مركبة من جملتين بسيطتين، أما باقى جمل الحوار السبع فقد جاءت جملاً بسيطة مركبة من مبتدأ واحد وخبر واحد.

ومن السياقات السردية التى وردت فيها الجمل المركبة نسوق الآتى:

24 - Walionipiga ni yule Mzungu Gregory na yule Mhindi ambaye anaitwa Kanjir. Kaka Gordon na Athumani walikuwa wamenipa almasi za kumpelekea yule Gregory hotelini kwake, ufukoni mwa bahari. Nilipofika huko niliwakuta wako pamoja na Kanjir, ambaye ilikuwa mara yangu ya kwanza kumwona. Gregory alinitambulisha kwamba yule ni rafiki yake, akataka nimpe huo mzigo niliouleta. Nilimpa, na Gregory alimkabidhi Kanjir ambaye aliingia nazo chumbani. Baada ya muda mfupi, Gregory alirudi. Alinipa fedha, kisha akasema anaweza akanikuta huku mjini. (Uk.111)

اللذان ضربانى هما الأوروبى جريجورى والهندى الذى يدعى كانجير، أخى جوردن وعثمان كانا يعطيانى الماس لتوصيله إلى جريجورى بفندقه الواقع على شاطئ البحر، وعندما وصلت هناك قابلته هو وكانجير، الذى كنت أراه للمرة الأولى، عرفنى به جريجورى وقدمه لى على أنه صديقه، وأراد جريجورى أن أعطيه ما أحضرته معى،

أعطيته له، سلمه لكانجير الذى دخل معه الحجرة، بعد فترة قصيرة، عاد جريجورى، أعطانى النقود، ثم قال إنه يمكن أن يقابلنى هناك فى المدينة.

تكون السياق السردى السابق من سبع جمل: منهم جملة واحدة بسيطة وباقى الجمل مركبة سواء أكانت جملاً معطوفة مكونة من جملتين بسيطتين أم غير ذلك.

٢ – استخدام الروابط النحوية:

اختلفت الجمل فى الرواية من القصر إلى الطول، ومن البساطة إلى التركيب، ولكنها وردت متناسقة ومترابطة فيما بينها متواصلة المعانى بفضل التوظيف الجيد للروابط النحوية بين الجمل، وعلى الرغم من أن الكاتب قد وظف جُل هذه الروابط توظيفا جيدا إلا أنه قد ركز على استخدام مجموعة منها ، تكررت هذه المجموعة بشكل واضح فى الرواية، هذه الروابط هى :

بعد صمت قصير .... Baada ya ukimya mfupií –

فترة قصيرة قبل أن .... Muda mfupi tu kabla yaí –

بعد فترة قصيرة .... Baada ya muda mfupií .. –

و كالعادة .... Kama kawaida yaí.. –

حقا، علاوة على أن .... Kweli, licha ya kwambaí –

لكن الأكثر من ذلك .... Lakini zaidi ya hayoí –

لقد ركز الكاتب بشكل خاص وواضح على الروابط الثلاث الأولى لما لها من دلالات يقصدها، فقد وردت هذه الروابط (٥٠) مرة، وإذا بحثنا في دلالة هذه الروابط نجدها تتعلق بقصر الزمن والانتظار بترقب، وكل هذا ينم على التفاعل الحركي بين الشخصيات، فشخصية تتكلم والأخرى تنتظر بترقب لتتحين فرصة الرد على ما يقال بمجرد الانتهاء ولا تستغرق فترة طويلة للرد ، وذلك ويوحي بتلاحق الأحداث وتتابعها في فترة زمنية قصيرة، وهذا ما يصوره لنا الكاتب في سرده لما يدور بين شخصياته، وعلى الرغم من استخدامه لكل الروابط السابقة إلا إننا نجده يركز على الروابط الثلاثة الأولى مما يجعلها سمة أسلوبية للكاتب في هذه الرواية، ومن السياقات التي وردت لهذه الروابط نسوق الآتي:

25 - Hakumtazama Yakini usoni, na baada ya ukimya mfupi, Faraji aliongea kwa sauti ya huruma iliyojaa masikitikoí (Uk.25).

لم ينظر إلى وجه يقين، وبعد صمت قصير، تحدث فراج بصوت مليء بالعطف والأسف.

– Kweli, licha ya kwamba Faraji alikuwa ni mkubwa wake wa kazi, uhusiano wao ulikuwa ni wa kindugu zaidi. (Uk.25).

حقيقة، علاوة على أن فراجًا رئيسه في العمل، إلا أن العلاقة الأخوية بينهما أكثر قوة.

– Baada ya ukimya mfupi, Faraji alisema, ˚Hapa kuna barua inayoeleza kwamba uko chini ya dhamanaí) ˚Uk.26)

بعد صمت قصير، قال فراجٌ: هناك رسالة توضح أنك موضوع تحت المراقبة ...

–Tereza alitoa sauti ya kuhema iliyoashiria kutoridhika. Baada ya ukimya mfupi, alisema, "Hayo tutayaongea jioni. "(Uk.27)

تنهدت تيريزا بصوت يشير إلى عدم الرضا، وقالت: " سنتحدث فى هذه الأمور مساءً.

–Alilalamika kuwa alikuwa anaingiliwa. Baada ya muda mfupi, ule ugomvi ulikuwa umeshaamuliwa. (Uk.28).

قد لامه على التدخل، وبعد فترة قصيرة، كانت المشاجرة قد حُسمت.

نلاحظ أن السياقات التى وردت فى المثال السابق وتضمنت عبارات الربط المشار إليها بخطوط أسفلها: قد جاءت فى صفحات متتالية، صفحة ٥٢ وقد أخذنا منها سياقين : فى كل منهما عبارة ربط مختلة، وجاءت السياقات الأخرى من الصفحات التالية لها : ٦٢ ، ٧٢ ، ٨٢ ، وهذا دليل واضح لتكرار هذه الروابط فى الرواية.

٣ – أسلوب التعجب:

التعجب أسلوب من الأساليب النحوية، يستخدم للتعبير عن الدهشة من شيء ما أو استعظام صفة معينة فيه، كما يستخدم للسخرية والاستنكار والتحسر والتضجر ، والتأوه والرفض والتحذير، ولهذا الأسلوب أدواته الدالة عليه ، وهى عبارة عن صور صوتية مكونة من متحرك متكرر أو ساكن ومتحرك وغير ذلك ، ودائما تنتهى جملة

التـعجب بالعـلامـة (!) وقد وردت هـذه الصـور فى سـياقات كـثـيـرة جدا ومتنوعة فى الرواية موضـوع البحث لدرجـة تجعلها سمة أسلوبيـة للكاتب فى روايتـه، فقد ورد فى الرواية (٢٢٨) جملة تعجب من مجمـوع جمل الرواية البالغ (٣٥١٦) بنسبة ٥ ، ٦ ٪ من المجموع الكلى للجمل ، وقد وردت صور التعجب كالآتى :

التصويبات	الأخطاء	التصويبات	الأخطاء
Hiloo!	للاستنكار	Aah!	للسخرية
Hilooo!	للاستنكار	Ah!	للتأوه
Khe!	للاستنكار	Aha!	للسخرية
La!	للرفض	Ala!	للدهشة
Lahaula!	للتحسر	Alaaa!	للدهشة
Lo!	للتعجب	Ama!	للتعجب
Loo!	للتعجب	FFU! FFU!	للتضجر
Ohoo!	للتحذير	Ha! Ha! Ha!	للسخرية
Ohoo!	للتعجب	Ha!	للسخرية
Shiiii!	للسخرية	Hasha!	للاستنكار

تكررت هذه الصور التعجبية كثيرا وفى سياقات مختلفة، علاوة على جمـل التـعـجب التى وردت بدون أدوات التـعـجب، فقلمـا نجد حـوارا بين الشخصيات يخلو من واحدة أو أكثر من هذه الأدوات، ومن السياقات التى وردت لصيغ التعجب نسوق الآتى:

26 - Ah! Wewe unadhani baadhi yetu hapa tunaishaji? (Uk.6).

ياه! أتتخيل كيف يعيش بعضنا هنا؟

– Lo! Maajabu ya Mungu! (Uk.9).

لَه! عجائب ربنا!

– **Lahàula! Mji mzima ulikuwa katika mgomo. (Uk.21).**

لا حول ولا قوة إلا بالله! المدينة بأكملها شملها الإضراب .

– **Ohoo! Shauri yako! Mimi nakuambia ukweli. (Uk.35)**

أُهوو! المشورة لك! لقد أخبرتك بالحقيقة.

– **Ama! Watu wa mjini leo wamekumbuka shamba! (Uk.43).**

أما! هل تذكر أهل المدينة الحقل اليوم!

– **Ala! Kumbe wewe huna habari? (Uk.43).**

الله! كأنك لا تعلم؟

– **Ohoo! Umeanza tena! Kalaga bahalo na ubwege wako! (Uk.105).**

أُهوو! بدأت مرة أخرى! فلتذهب أنت وغباؤك إلى الجحيم!

واستخدام الكاتب لأسلوب التعجب هنا لنعلم أنه يتعجب من سير الأوضاع في بلاده : ومدى الضيق النفسي الذي يعاني منه أبطال الرواية من تصرفات علية القوم وظهورهم بمظهر يخالف حقيقتهم المؤلمة، وتراكم المصائب على الأفارقة ، والشدة والضيق وشظف العيش الذي يعانون منه على الرغم من امتلاكهم كل وسائل الراحة في أرضهم ، والتعجب من المعاملة السيئة التي يتعاملون بها في أوروبا على الرغم من حُسن معاملة الأوروبيين في أفريقيا .

وبذلك نأتي إلى الجانب الأخير في البحث ، وهو الجانب البلاغي الذي يتمثل في الصور البلاغية التي وردت في الرواية : كالكناية والاستعارة والتشبيه والحكم والأمثال الشعبية والأشعار الغنائية والاستعانة بما ورد في الكتب المقدسة، ونعرضها في الآتي :

خامسا : الأساليب البلاغية في الرواية:

تمثلت الأساليب البلاغية في الرواية في أربعة صور بلاغية هي الاستعارة، و الكناية ، والتشبيه، والأمثال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة ، علاوة على استعانة الكاتب بما ورد في الكتب المقدسة للوصول إلى الحقيقة والعمل بها، وقد وردت هذه الصور البلاغية في أسلوب السرد محاولة من الكاتب في تزيين الكلام وإثبات مقدرته على الإبداع لجذب المتلقي و دفعه للقراءة بدون ملل حتى نهاية الرواية، كما ورد بعضها في الحوار بين الشخصيات ، ويمكن عرض الصور البلاغية التي وردت في الرواية كالآتي:

١ – أسلوب الاستعارة:

استخدم الكاتب أسلوب الاستعارة بصورة واسعة في السرد الذي قدمه لنا متضمنا وصف الأماكن والشخصيات والمواقف المختلفة ، وقد أراد الكاتب من استخدام الاستعارة أن يجدد بها الصور البيانية ، وكذلك التعبير بقليل اللفظ عن كثير المعنى ، فيقدم لنا الجماد ناطقا

والمعاني الخفية واضحة جلية ، وكل هذا من براعة التصوير، وعن طريق هذا التصوير أراد الكاتب أن يجعل القارئ يتخيل الأفكار التى يقدمها فى أبهى صورة ، ومما ورد فى الرواية من أسلوب الاستعارة نسوق الآتى :

27 - Kila mahali alipopita kulikuwa kumejaa Wazungu watupu, nao wakimtazama kama kidude cha ajabu. (Uk.31).

كلما مر بمكان وجده مملوءاً بالأوروبيين فقط، وهم ينظرون إليه وكأنه مخلوق عجيب.

السياق به استعارة تصريحية، شبه فيها البطل بالمخلوق العجيب من وجهة نظر الأوروبيين الذين ينظرون إليه كأنه مخلوق عجيب غير مألوف وليس إنساناً مثلهم، ووجه الشبه غرابة شكل الأفريقى بالنسبة لنظرة الأوروبيين إليه، والسياق كله كناية عن احتقار الأوروبيين للأفارقة.

– Ule urafiki wake na Merton ulishakufa siku nyingi! Wamekuwa ni paka na panya. (Uk.44).

صداقته مع ميرتون قد ماتت منذ زمن، وأصبحا كالقط والفأر.

السياق به استعارتان : الأولى – استعارة مكنية ، حيث شبه فيها الصداقة بين ميرتون وسفارى بالكائن الحى الذى مات وحذف المشبه وجاء بشيء من صفاته وهى الموت، ووجه الشبه هو الموت للكائن الحى والصداقة.

والثانية – استعارة تصريحية، شبه فيها ميرتون وسفارى بالقط والفار ووجه الشبه العداء الشديد بينهما لما اقترفه ميرتون فى حق سفارى.

– Merton alikuwa sasa amesogea pale alipokaa Patricia meno yake kayakenua kwa tabasamu la fisi aliyeona mfupa. (Uk.70).

ظل ميرتون يتقدم إلى حيث تجلس بتريسيا وقد بدت أسنانه، مبتسما ابتسامة الضبع الذى رأى فريسته.

السياق به استعارة تصريحية ، شبه فيها ابتسامة ميرتون الصفراء وهو يقترب من بتريسيا لاغتصابها كالابتسامة الخبيثة للضبع الذى وجد عظمة (فريسة) ويريد افتراسها، ووجه الشبه هنا الخبث الذى يوصف به ميرتون والضبع.

– Alinyanyua pua zake na kuvuta hewa kama mbwa anusaye harafu kitu fulani. (Uk.84).

رفع أنفه واستنشق الهواء كالكلب الذى يشم رائحة شىء ما .

السياق به استعارة تمثيلية، شبه فيه الضابط جورديون وهو يتنفس بعمق وباستمرار بالكلب الذى يشم رائحة شىء ما ، ووجه الشبه التكرار السريع للتنفس.

– Baada ya kusafisha koo alitamka kwa sauti ya utulivu wa maji mtunguni. (Uk.102).

بعدما نظف جوفه تكلم بصوت صاف صفاء الماء فى القدر.

السياق به استعارة تصريحية، شبه فيها صوت الحاج ماجيكوندو الهادئ بهدوء الماء في القدر، ووجه الشبه هنا الهدوء والصفاء والنقاء.

– Watu walikuwa wanatawanyika kama vifaranga vya kuku viliv-yoona mwewe. (Uk.106).

كان الناس يتفرقون كما تتفرق فراخ الدجاج عندما ترى الصقر.

السياق به استعارة تمثيلية ، شبه فيها الناس في تفرقهم عندما رأوا الشرطة بالكتاكيت الصغيرة في تفرقها عندما ترى الصقر، ووجه الشبه هنا الخوف والذعر.

من الملاحظ أن أكثر الاستعارات التي وردت جاءت تصريحية، وما هذا إلا دليلٌ على وضوح فكرة الكاتب وصراحته في تقديم فكرته وكل هذا يخدم الوصول إلى الحقيقة التي يصبو إليها الكاتب ويريد أن يقدمها لنا، وقد ورد الكثير من هذه الاستعارات خلال الرواية ويصعب علينا ذكرها جميعها، والتشبيه بالحيوانات في بعض الاستعارات إنما يدل على احتقار الكاتب للشخصيات المشبهة بالكلاب والضباع.

٢ – أسلوب الكناية :

استخدم الكاتب أسلوب الكناية بشكل واضح في الرواية ، فمعظم تلميحاته لها مدلولها الخاص الذي يكنى عنه ، وقد وردت الكناية في سياقات كثيرة نسوق منها الآتي :

28 - Yakini alighafilika, hata asijue la kufanya (Uk.5).

غفل يقين لدرجة أنه لم يدر ماذا يفعل.

السياق به كناية عن شدة الصدمة ليقين والدهشة والذهول مما لاقاه من معاملة سيئة من العاملين فى مطار دار السلام الدولى عند مغادرته إلى أوروبا .

–Tunaishi katika dunia ya kinyama. (Uk.7).

نحن نعيش فى عالم حيوانى، (نحن نعيش فى غابة)

السياق به كناية عن قسوة الحياة التى يعيشونها فالبقاء فيها للأقوى كحياة الحيوانات فى الغابات القوى منها يأكل الضعيف، علاوة على المعاملة القاسية التى يتعامل بها الأفارقة من الأوروبيين والتفرقة العنصرية التى يعانون منها .

– La muhimu kwetu ni kwamba bora angalau mkono unafika kinywani. (Uk.7).

والشىء الهام بالنسبة لنا هو أن تصل الأيدى إلى الفم (بالطعام)

السياق به كناية عن شظف العيش والجوع المستمر الذى يعانى منه العمال والفلاحون على حد سواء لدرجة أنهم يتمنون أن تصل أيديهم بالطعام إلى أفواههم، وذلك من ندرة الطعام وانعدام وجوده.

–Yule Mzungu alibadilika rangi usoni na kuwa mweupe kama karatasi huku mishipa ya damu imemtoka. (Uk.19).

تغير لون وجه هذا الأوروبى، وابيض كالقرطاس، وكادت الدماء تنفجر من شرايينه.

السياق به كناية عن شدة الغضب التى ظهرت على وجه ذلك الأوروبى ، عندما واجهه الحاج ماجيكوندو بحقيقة تفضيل الأوروبى على

الأفـريقى فى الأجـور والمكافـآت على الرغم من الأعـمـال الشـاقـة التى يؤديها الأفارقة، فتغير لون الأوروبى وغلى الدم فى شرايينه حتى كادت تنفجر غيظا.

– Maisha yaliendelea. Nyota za Yakini na Zambe zilizidi kukaribiana siku hadi siku. (Uk.37).

استمرت الحياة، وقد زاد اقتراب نجمى يقين وزامبى يوما بعد يوم.

السياق به كناية عن قوة العلاقة التى تربط يقين وزامبى وتطورها إلى الأفضل كل يوم وارتباط مصيرهما معا.

– Alisikia kitu fulani kikimkata kifuani na kuleta hali mgeni ya chuki moyoni. (Uk.70).

شعر بشىء ما يمزق صدره وشعور غريب من البغض يملأ قلبه.

السياق به كناية عن شدة الضيق والغضب لدرجة شعوره بتمزق في صـدره وكذلك الحـقـد العـميق الذى يكمن فى قلبـه من زامـبى الذى ذكرته بتريسيا فى سياق الكلام.

وقد استـخـدم الكاتب أسلوب الكناية ليضع لنا المعانى فى صـور المحسنات، ويقول بالكناية ما لا يستطيع قـوله بالتـصريح ، فـهـو يقف من خلف المعـانى التى يريـدها ليـتـمـكن مـن قـول مـا يـريد، وكلهـا كنايات تشير إلى مناخ الصراع النفسى والمعاناة التى يلاقيـها البطل وأعوانه ، مـن الشـخـصـيـة المحـورية المضـادة له ومـا تمـثله مـن واقــع مؤلم فى حياتهم .

٣ - أسلوب التشبيه:

إن الغرض من استخدام الكاتب لأسلوب التشبيه هو الإيضاح والتبيان وتقريب الشيء البعيد ، فهو ينقل الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله، وقد ورد التشبيه في سياقات كثيرة ، ومعظم السياقات التي ورد فيها التشبيه جاءت بأداة التشبيه kama (كما / مثل) المأخوذة من اللغة العربية بنفس المعنى والمبنى، ومن هذه السياقات نسوق الآتي:

29 - Msichana mwembamba kwa umbo na mwenye nyewele ndefu zilizoanguka mabegani kama Birika Maria. (Uk.1).

فتاة نحيفة الجسد ذات شعر مسترسل على كتفيها كالعذراء مريم،

السياق به تشبيه، شبه الفتاة البرازيلية بتريسيا ذات الشعر المسترسل على كتفيها بالعذراء مريم في جمالها وشعرها الطويل المسترسل على كتفيها، ووجه الشبه طول الشعر.

– Mzee mwenye masharabu kama kambari. (Uk.7).

شيخ ذو شوارب كالقرموط.

السياق به تشبيه ، شبه شارب موظف المطار الذي أساء استخدام سلطته في التعامل مع يقين بشارب القرموط ، ووجه الشبه هنا طول الشوارب .

– Sasa Yakini alikuwa kama panya aliyenaswa mtegoni. (Uk.9).

والآن أصبح يقين كالفأر في المصيدة.

السياق به تشبيه، شبه يقين بالفأر الذى وقع فى المصيدة، ووجه الشبه هنا الحيرة والضيق الذى وقع فيه يقين فى مطار هيثرو الدولى.

–Yule mwanamke mnene aliyejaa kifua tele kwa matiti yaliyojitokeza kama vibofu ya mkojo vya ng'ombe. (Uk.37).

تلك السيدة البدينة الممتلئة الصدر بثديين كضرع البقرة الحلوب.

السياق به تشبيه، شبه ثديى تلك السيدة البدينة بضرع البقرة الحلوب ، ووجه الشبه هنا الضخامة والامتلاء.

– Lakini alikuwa kama ndege aliyenaswa tunduni asiyejui la kufanya. (Uk.85).

لكنه أصبح كالطير الذى وقع فى الفخ ولا يعرف ماذا يفعل.

السياق به تشبيه، شبه يقيناً – عندما عرف أن الضابط المحقق هو ابن عم ميرتون المجنى عليه – بالطائر الذى وقع فى الفخ ولا يدرى كيف يتصرف لينقذ نفسه، ووجه الشبه هنا الحيرة وهول المفاجأة.

جاءت التشبيهات معبرة عن الواقع ، واستخدمت كلمات نابعة من البيئة الأفريقية التى يقدمها لنا الكاتب فى روايته.

ولذلك نجد أن الصور البلاغية التى أوردها الكاتب تعبر عن الصراع النفسى الذى يعانى منه البطل وكثرة الأزمات التى يلاقيها يوميا، ويحاول التغلب عليها، فالصور البلاغية التى وردت فى الرواية بشكل عام تصور الصراع بين البطل الذى يمثل وجهة الخير فى الرواية وميرتون وأمثاله الذين يمثلون جانب الشر فيها، وهذا يتماشى مع المناخ العام للرواية وهو الصراع بين الخير والشر.

وعلاوة على هذه الصور البلاغية لم يترك الكاتب أن يمد روايته بالحكم والأمثال الشعبية كالآتي :

٤ - الحِكم والأمثال الشعبية :

وردت الأمثال الشعبية والحكم في سياقات متنوعة لتدل على فطنة الكاتب وتمكنه من لغته وثقافته الأفريقية الأصيلة، محاولا تقريب فكرته إلى القارئ حتى تصل إلى عقله مهما كان مستوى ثقافته وفكره ، ومن السياقات التي وردت فيها الأمثال الشعبية والحِكم نسوق الآتي :

30 - Naona heri kinga kuliko tiba. (Uk.30).

أرى أن الوقاية خير من العلاج، (حِكمة).

– Ama, ng'ombe wa maskini hazai. (Uk.44).

بقرة الفقير لا تلد. (عديم الحظ يجد العظم في الكرش) (مثل شعبي).

– Maji yakimwagika hayazoeleki. (Uk.75).

إن الماء المسكوب لا يمكن استرجاعه، (حِكمة).

مناسبة الحِكمة عندما نسي البطل وأفشى سرا ثم تذكر ما قاله فندم على ذلك ثم قال ما معناه إن الكلمة التي تخرج من اللسان لا يمكن الرجوع فيها.

– Ama duniani kuna watu! (Uk.77).

إن الدنيا مملوءة بالعجائب. (يا ما فى الجراب يا حاوى) (مثل).

–Mwenzako akinyolewa wewe tia nyewele zako majini. (Uk.88).

إذا حُلق لصاحبك، فضع شعرك فى الماء (استعدادا للحلاقة)، (مثل).

المثل يقول: ما أصابنى اليوم سوف يصيبك غدا، اليوم عندى وغدا عندك.

– Mvumilivu hula mbivu. (Uk.95).

الصابر يأكل الناضج، (بالصبر تبلغ ما تريد) (مثل).

– Kumbe bado kungalipo kondoo wachache katika msitu huu wa mabweha, mafisi na tai. (Uk.99).

مازال هناك بعض الخراف فى الغابة المليئة بالثعالب والضباع والنسور، (حِكمة).

الكلام يعنى أنه مازال بالدنيا خير، ومهما انتشر الشر فلابد من وجود الخير.

–Mwili mwenye kichwa kisichokuwa na moyo ni mzogo unaostahili kuliwa na fisi na tai. (Uk.104).

جسد برأس دون قلب ما إلا جثة تستحق أن تأكلها الضباع والنسور، (حِكمة).

والحِكمة معناها هنا أن رجلا بلا قلب ، جثة بلا رأس.

– Akili hutetereka, lakini upendo kwa watu haufi. (Uk.104).

العقل يتوه وحب الناس لا يموت، (حِكمة).

والحكمة معناها هنا أن كل شيء زائل إلا العمل الصالح.

– **Kweli maskini hana miiko. (Uk.109).**

حقا فإن المسكين ليس له شوك (يخشى منه) (حِكمة).

والحِكمة هنا معناها أن المسكين ليس له ظهر يحميه، وهى تماثل المثل الشعبى القائل: من له ظهر لا يُضرب على بطنه.

هذه الحِكم والأمثال التى استخدمها الكاتب من خلال الرواية إنما تدل على قوة إيمان شخصياته ، وسعيهم إلى المُثل العُليا والأعمال الصالحة، وهذا يتماشى مع المناخ العام فى الرواية فى البحث عن الحقيقة والعمل بها، كما أن الكاتب استمد معظم حِكمه وأمثاله من البيئة الأفريقية التى تمثل ثقافة قوية متأصلة فى أفكار الأفارقة، كما تدل على تمسك الكاتب بعاداته وتقاليده الموروثة جيلاً بعد جيل.

٥ – الاستعانة بما ورد فى الكتب السماوية:

إن التمثيل بما ورد فى الكتب السماوية واستخدام كلمات منها، تُعتبر وسيلة قوية يستخدمها الكاتب لتفجير الدلالات الدينية التى تُعد بذاتها قرينة دلالية على الأوقات العصيبة والمحن التى تمر بها الشخصيات، ولما كانت شخصية البطل شخصية مسلمة (يقين) كما يدل عليها اسمها، فنجده يلجأ إلى تذكر المحن والصعوبات التى مر بها أنبياء الله – مع أقوامهم – ووردت فى الكتب السماوية ليواسى بها

نفسه ، وتمكنه من التغلب على المحنة التى يواجهها، وقد وردت سياقات واضحة فى مواقع مختلفة من الرواية نسوق منها الآتى:

31 - Aliona ajabu jinsi gani watu hawa walikuwa hawakumbuki kwamba Mwenyezi Mungu aliwahi kingilia baadhi ya mambo kale, kama vile alivyoleta gharika katika enzi za Nuhu, na alivyoitia kibereti miji ya Sodomu na Ghamora, au hata yaliyompata Yona alipojitia kumkimbia Mungu, kisha akaishia kumezwa na hatimaye kutapikwa na nyangumi. (Uk.13) .

إنه استعجب من نوعية هؤلاء الناس الذين لا يتذكرون ما فعله الله سبحانه وتعالى بمن سبقونا من الطغاة، كالطوفان الذى حدث فى عصر النبى نوح (عليه السلام)، أو ما حدث لقوم لوط (عليه السلام) فى قرية سدوم، أو ما حدث ليونس (عليه السلام) عندما ذهب مغاضبا فابتلعه الحوت و (برحمة من الله) أُخرج من بطنه مرة أخرى.

تذكر البطل هذه الأحداث التى وردت فى القرآن الكريم عندما رأى أفعال بعض الناس فى بلده، وفسادهم فى الأرض، وبعدهم عن الله، هنا نظر إليهم وأخذ يحدث نفسه، ويتذكر ما حدث فى العصور البائدة لأمثالهم، وإن دل هذا الفكر فإنما يدل على قوة إيمانه، ورجوعه إلى الله فى الأوقات الصعبة.

32 - Mfalme Daudi alibakia kipenzi cha Mwenyezi Mungu japokuwa alikuwa na madhambi mengi, pamoja na ile ya kumpeleka mtu akafe vitani ili yeye amchukue mke wake. Hata Petro alitumba katika imani yake hadi hatimaye alimkana Yesu mara tatu; na bado alibakia miongoni mitume. Hakuna binadamu ambaye ni mtimilifu. (Uk.61-62).

ظل الملك داود (عليه السلام) حبيبا لله على الرغم من ذنوبه التى أذنبها عندما أرسل أحد الرجال إلى الحرب ليُقتل ثم يتزوج امرأته، ويطرس الذى ارتد عن إيمانه لدرجة أنه قد أنكر عيسى (عليه السلام) ثلاث مرات ولكنه ظل باقيا بين الأنبياء، ليس هناك إنسان كامل.

هذا الحديث ورد على لسان زامبى البطل الثانى فى الرواية، خلال حديثه عن الذنوب وغفرانها والتوبة وقبولها، وقد استمد هذا السياق مما ورد من التوراة والإنجيل.

ومن سياقات الرواية تبين لنا أن زامبى يؤدى شخصية رجل مسيحى، من هنا استمد حديثه من التوراة والإنجيل، وقد أوردنا ذلك كما جاء فى النص مع تحفظنا عما ورد فيه من فكر، فنحن المسلمين ننزه كل أنبياء الله ورسله عن خطايا كالمذكورة فى مثل هذه السياقات، سواء أكانت فى التوراة أم فى الإنجيل.

وقد وردت أكثر من خمسة مواقع فى الرواية تتضمن أفكارا دينية ، وبعضاً من أقوال الدعاة فى الإسلام والمسيحية على حد سواء، وهذا يُعد دليلاً على إيمان أبطال الرواية بما ورد فى الكتب السماوية، واللجوء إلى الله فى الأوقات العصيبة.

السمات الأسلوبية للكتاب

ظهر من واقع عرضنا للظواهر الأسلوبية التى وردت فى الرواية أن أسلوب الكاتب يتميز بعدة سمات، ظهرت هذه السمات فى مستويات لغوية مختلفة من خلال استقراء الرواية، هذه السمات قد ظهرت فى المستويات اللغوية التالية:

أولا: السمات الأسلوبية على مستوى المفردات

١ - التركيز على المفردات الدالة على السخرية والمزاح مثل: ku-cheka (ضحك) ، mzaha (مزاح) ، و masihara (مسخرة).

٢ - الاستخدام التكرر لكلمة kweli (حقيقة)، دليلا على البحث عن الحقيقة والعمل بها.

٣ - ترديد كلمة mweusi (أسود) وصفا للأفريقى، وكلمة mweupe (أبيض) وصفا للأوربى لإبراز فكرة التفرقة العنصرية التى يمارسها الأوربيون مع الأفارقة.

٤ - استخدام الكلمة hela (نقود) قليلة الانتشار بدلا من الكلمة pesa (نقود) واسعة الانتشار كدليل على ندرة النقود لدى أبناء بلده وتعبيرا عن شدة الفقر الذى يعانون منه.

٥ - ترديد الكلمات: bia (بيرة) ، و pombe (جعة)، و wiski (ويسكى) ، و baa (حانة) كدليل على حياة السكر والمجون التى تعيشها المجتمعات الأوربية وبعض المجتمعات الأفريقية.

٦ - ترديد بعض الكلمات الإنجليزية فى السياق السواحلى ، مخالفا بذلك النظام اللغوى الذى يكتب به، وتعتبر هذه الظاهرة سمة سلبية فى أسلوب الكاتب.

ثانيا: السمات الأسلوبية على مستوى الكتابة

١ - يبدأ الكاتب كل فصل من فصول الرواية بثلاث كلمات مكتوبة - فى جميع حروفها - بالحروف الكبيرة.

٢ - التركيز على بعض الكلمات التى يريد الكاتب أن يقدم لنا فكرة خاصة من خلالها وكتابة الحرف الأول منها بالشكل الكبير أينما وقعت هذه الكلمات : Ujamaa (الاشتراكية) ، و Chama (حزب) ، و Uhuru (حرية) ، و Wazungu (أوربيون) أو Waafrika (أفارقة).

٣ - كتابة الكلمات الإنجليزية الواردة فى السياق السواحلى بحرف صغير مائل مخالفا نظام كتابة السياق السواحيلى.

ثالثا: السمات الأسلوبية على مستوى البناء الصرفى

١ - التركيز على استخدام ضمير الغائب فى أسلوب السرد.

٢ - التركيز على استخدام ضمير المتكلم فى أسلوب المناجاة.

٣ - التركيز على استخدام ضمير المخاطب فى أسلوب الحوار.

٤ - حذف ضمير الفاعل مع أداة الزمن الماضى ka فى معظم السياقات القصصية التى ترد على لسان شخصياته، بينما يذكر الكاتب ضمير الفاعل الغائب مع هذه الأداة إذا سرد لنا قصة على لسانه.

٥ - استخدام حرفيين متتاليين من حروف المعانى فى السياق الواحد.

٦ – تخطى بعض القواعد الصرفية فى لغة الحوار التى يجريها على لسان شخصياته الثانوية أو الأجنبية.

رابعا: السمات الأسلوبية على مستوى البناء النحوى

١ – تفوق الجمل البسيطة (٥٨٪) على الجمل المركبة (٤٢٪) مما يدل على سهولة الأسلوب ووضوحه.

٢ – استخدام روابط نحوية تدل على الترقب وتوالى الأحداث فى فترة قصيرة مثل:

بعد صمت قصير	– Baada ya ukimya mfupií
بعد فترة قصيرة	– Baada ya muda mfupií

٣ – استخدام واسع لجملة التعجب.

خامسا: السمات الأسلوبية على مستوى الصور البلاغية

١ – الاستخدام الواسع لأسلوب الاستعارة.

٢ – الاستخدام الواسع لأسلوب الكناية.

٣ – الاستخدام الواضح لأسلوب التشبيه.

٤ – ترديد الحِكم والأمثال الشعبية.

٥ – الاستعانة بما ورد فى الكتب المقدسة تفجيرا للدلالات الدينية فى الأوقات العصيبة.

المراجع

١ – مجدى محمد بيومى (١٩٩٢) : "القصة عند شعبان روبرت – دراسة أسلوبية" بحث منشور بكلية الألسن ، جامعة عين شمس ، القاهرة.

أيمن الأعصر (١٩٩٣) : "القضايا الاجتماعية للأسرة التنزانية فى مسرح إبراهيم حسين" رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر، القاهرة.

عبد الحى سالم (١٩٩٤) : "الشيخ عبد الله صالح فارسى وأسلوبه فى السير الذاتية" رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، القاهرة.

عبد الحى سالم (١٩٩٩) : "رواية الحمال لشافعى آدم دراسة أسلوبية تحليلية" ، بحث منشور بمجلة كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، العدد ٣٠ ، القاهرة.

٢ – سعد مصلوح (١٩٩١) : الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، عالم الكتب ، القاهرة .

و مازن الوعر (١٩٨٩) : "دراسات لسانية تطبيقية" دمشق ، سوريا ، ص ١٧٨، ١٨٨

٣ – خالد بكرى (٢٠٠٠) : "الرواية السواحلية المعاصرة فى تنزانيا" ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، القاهرة.

٤ – "Arne Zettersten (1983) ; East African Literature an Anthology",Longman, New York. (The Introduction)

٥ – على شلش (١٩٩٣) : "الأدب الأفريقى" ، عالم المعرفة، العدد ١٧١ ، الكويت، ١٤٧

٦ – عبد الملك مرتاض (١٩٩٨) : "فى نظرية الرواية – بحث فى تقنيات السرد" عالم المعرفة ، العدد ٢٤٠ ، الكويت ، ص ٢٦

٧ – نفس المرجع السابق : ص ٣٠ : ٣٨

٨ – خالد بكرى ، نفس المرجع السابق.

٩ – روجر هينكل (١٩٧٧) : قراءة الرواية ، مدخل إلى تقنيات التفسير" ترجمة وتعليق دكتور صلاح رزق ، دار الآداب، القاهرة (١٩٩٥)، ص ٢٩٩

١٠ – نفس المرجع السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣

١١ – عبد الملك مرتاض ، نفس المرجع السابق، ص ١١٨

١٢ – عبد الحى سالم (١٩٩٩) نفس المرجع السابق،

١٣ – عبد الملك مرتاض ، نفس المرجع السابق، ص ١٢٠ ، ١٢٦

١٤ – نفس المرجع السابق، ص ١٨٧

١٥ – صلاح فضل (١٩٩٢) : بلاغة الخطاب وعلم النص" عالم المعرفة ، العدد ١٦٤ ، الكويت، ص ٢٩٣

١٦ – Mlach S.A.K; Na Madumulla J.S. (1995) ; "Riwaya ya Kiswahili",Dar-Es-Salaam University Press, Tanzania.

١٧ – روجر هينكل ، نفس المرجع السابق، ص ٢٠ ، ٢١

١٨ – Shafi Adam Shafi (1978) :" Kasri ya Mwinyi Fuad", Tanzania Publishing House, Dar-Es-Salaam, Tanzania.

(1978) Kuli "Tanzania Publishing House, Dar-Es-Salaam, Tanzania.

– Shabaan Robert :(1981) "Kusadikika", Nelson East Africa, Nairobi, Kenya.

– Zainab Abdulwahab :(1985)"Kikulacho", Kenya Literature, Nairobi, Kenya.

١٩ – عبد الملك مرتاض ، نفس المرجع السابق، ص ١٧٧

٢٠ – نفس المرجع السابق، ص ١٨٧

٢١ – صلاح فضل ، نفس المرجع السابق، ص ٢٦٣

٢٢– Mfaume G. E. (1984) : "Misingi ya Isimu ya Lugha ya Kiswahili" Utamaduni Publisher House, Dar-Es-Salaam, Tanzania.

– Nkwera F. M. (1979);" Sarufi na Fasihi", Tanzania Publishing House, Dar-Es-Salaam, Tanzania.

المؤلف فى سطور :

تشا تشاجى

كاتب تنزانى ولد عام ١٩٥٥ فى مقاطعة نجومى بتنزانيا ، عمل محرراً فى دار تنزانيا للطباعة والنشر، حصل على الدكتوراه فى الدراسات الاجتماعية من جامعة جلاسكو بإنجلترا، ويعمل محاضراً فى قسم الاجتماع بجامعة دار السلام بتنزانيا، نُشرت له ثلاث روايات : «حظ يوحنا » Sudi ya Yohana (1981) و «الظل» Kivuli (1982) و «الماس الزائف» Almasi Za Bandia (1991)

المترجم فى سطور :

عبد الحى أحمد محمد سالم

من مواليد أسيوط عام ١٩٥٩ م ، ليسانس اللغات الأفريقية ، لغة سواحيلية من كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر عام ١٩٨٢ م ، دبلوم الدراسات الأفريقية من معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، ماجستير فى اللغة السواحيلية عن نفس المعهد ، دكتوراه الفلسفة فى اللغة السواحيلية من كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر بمصر . عُين معيداً بقسم اللغات الأفريقية بكلية اللغات والترجمة عام ١٩٨٤ ، ثم مدرسًا عام ١٩٨٩ م ، ثم مدرسًا عام ١٩٩٤ ، وأستاذًا مساعدًا من أكتوبر ١٩٩٩ حتى الآن . يعمل الآن أستاذًا مشاركًا للغة السواحيلية بكلية الآداب جامعة سبها بالجماهيرية العربية الليبية . له العديد من الأبحاث والدراسات التى قدمها للمؤتمرات والندوات المحلية والدولية .

المراجع فى سطور :

عبد الهادى حامد مرزوق

حاصل على ليسانس اللغات الأفريقية – لغة سواحيلية من كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر عام ١٩٩٧ ، ودبلوم الدراسات الأفريقية من معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة عام ١٩٨٠ ، وماچستير فى اللغة السواحيلية من نفس المعهد عام ١٩٨٤ ، ثم الدكتوراه من جامعة لندن وجامعة القاهرة عام ١٩٨٨ نظام الإشراف المشترك . عُين معيداً بقسم اللغات الأفريقية بكلية اللغات والترجمة عام ١٩٧٧ ، ثم مدرسًا مساعداً عام ١٩٨٤ ، ثم مدرسًا عام ١٩٨٩ ، ثم أستاذاً مساعداً عام ١٩٩٥ ، وأستاذاً عام ٢٠٠١ . عمل أستاذاً للغة العربية والسواحيلية بجامعة نيروبى بكينيا أعوام ١٩٩٤ – ١٩٩٩ .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للتـرجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضري
٥-	ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكي
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودي	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوي
١٨-	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولي و بدوي عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ماجدة العناني
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد علي الناصري
٢٣-	تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشري الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة في التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣-	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

٣٨- نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩- الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستي	محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس. روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسي سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	علي يوسف علي
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبري محمد عبد الغني
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعي .
٦٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض .
٦٥- في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢- السياسي العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلي
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومي
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دي ثربانتس	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نخبة	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبـة	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف
١١٣-	راية التمرد	سادي پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان

١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل ألكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب	جون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أتيال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الإيديولوچية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب
١٨٩-	العمى والبصيرة	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
١٩٣-	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

-١٩٤	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
-١٩٥	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
-١٩٦	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	أشرف الصباغ
-١٩٧	الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوى
-١٩٨	الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
-١٩٩	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
-٢٠٠	ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
-٢٠١	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
-٢٠٢	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٢٠٣	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
-٢٠٤	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدى
-٢٠٥	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
-٢٠٦	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
-٢٠٧	ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
-٢٠٨	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
-٢٠٩	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
-٢١٠	مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
-٢١١	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
-٢١٢	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
-٢١٣	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
-٢١٤	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محمود محى الدين
-٢١٥	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
-٢١٦	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
-٢١٧	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوى
-٢١٨	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	على إبراهيم منوفى
-٢١٩	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
-٢٢٠	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
-٢٢١	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
-٢٢٢	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
-٢٢٣	العلم فى مجتمع حر	بول فيرابند	السيد محمد نفادى
-٢٢٤	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
-٢٢٥	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
-٢٢٦	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربرت لورانس	طاهر محمد على البربرى
-٢٢٧	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
-٢٢٨	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
-٢٢٩	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
-٢٣٠	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
-٢٣١	الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
-٢٣٢	ما بعد المعلومات	توم ستيتر	مصطفى إبراهيم فهمى

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
-٢٣٣	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	طلعت الشايب
-٢٣٤	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
-٢٣٥	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٣٦	الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
-٢٣٧	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
-٢٣٨	العولمة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
-٢٣٩	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
-٢٤٠	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
-٢٤١	فى انتظار البرابرة	ج م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
-٢٤٢	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن عبدالنبى
-٢٤٣	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	على عبدالرؤوف البمبى
-٢٤٤	الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
-٢٤٥	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	توفيق على منصور
-٢٤٦	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	على إبراهيم منوفى
-٢٤٧	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوى
-٢٤٨	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
-٢٤٩	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
-٢٥٠	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ماجدة محسن أباظة
-٢٥١	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
-٢٥٢	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
-٢٥٣	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
-٢٥٤	الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٥٥	أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٥٦	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٥٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
-٢٥٨	الفجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
-٢٥٩	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
-٢٦٠	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
-٢٦١	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
-٢٦٢	مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
-٢٦٣	الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	على يوسف على
-٢٦٤	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض
-٢٦٥	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	لويس عوض
-٢٦٦	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
-٢٦٧	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
-٢٦٨	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦٩	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
-٢٧٠	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
-٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	شوقى جلال

٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
٢٧٣-	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
٢٨١-	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	نخبة من المترجمين
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦-	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣-	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
٣٠٨-	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩-	الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى	جمال الجزيرى
٣١٠-	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٢١١-	مقال في المنهج الفلسفي	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية	خايير بيان	عبدالله الجعيدى
٢١٤-	الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٢١٦-	محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧-	بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٢٢٢-	وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليينباور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هاشم سليمان
٢٢٤-	اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٢٢٥-	عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامى صلاح
٢٣١-	عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢-	القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣-	الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	مصطفى فهمى
٢٣٥-	عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨-	نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٢٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٢٤١-	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢-	سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمن	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصاري
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	علي إبراهيم منوفي
٢٥٤- الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	علي إبراهيم منوفي
٢٥٥- التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوي
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعي
٢٥٧- متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٥٩- محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشاروني
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربيني
٢٦١- التصحر. التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبري محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرئ	نخبة	البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨- المصطلح السردي	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	فوزية العشماوي
٢٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	علي إبراهيم منوفي
٢٧٤- اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ٤)	علي أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
٢٧٩- ملك في الحديقة	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٢٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٢٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادي
٢٨٣- هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٢٨٥- مشترى العشق	محمد علي بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧- أغنيات وسوناتات	جون دن	بهاء جاهين
٢٨٨- مواعظ سعدي الشيرازي	سعدي الشيرازي	محمد علاء الدين منصور

٢٨٩-	من الأدب الباكستاني المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٢٩١-	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	منى الدروبى
٢٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٢٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٢٩٥-	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٢٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود سلامة علاوى
٢٩٧-	نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨-	سارتر	فيليب تودى	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩-	كامى	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	هوكنج	ج. ب ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوير	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	نخبة
٤١٣-	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	مصطفى بدوى
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة	روى متحدة	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود سلامة علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ثريا شلبى

٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافى
٤٢٩-	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة	أروندانى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية القلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧-	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً	هُسرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوانو بانولى	نخبة
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريويذر	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	هدى الصدة	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦-	ربما كان قديساً	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رديفز	نادية رفعت
٥٢٦-	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صموئيل هنتنجتون	شوقى جلال
٥٣٧-	الحب والحرية	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	ميلانى كلاين	نخبة	حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف اليمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوقرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٥٤/ ٢٠٠٣







رواية

إن هذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر الازدواجية والنفاق وحتى الزندقة. وقد أصبح المكر والخداع من الفنون التى تجد من يتخصص فيها، وسيطر حب السلطة والثراء - من ورائها - على المثل العليا وموروثات الشعوب. وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك رجالاً يحاولون التصدى لهذه الأعمال مهما تعرضوا - فى سبيل ذلك - لأحداث قد تقضى عليهم.

والماس الزائف يرمز إلى من نسميهم أهل الثقة، ثم يظهر مدى زيفهم واستغلالهم لمناصبهم فى التربح غير المشروع، كما تسلط الرواية الضوء على الحياة فى بلادنا الأفريقية، والحياة فى البلاد الأوروبية. والنظرة الدونية التى ينظر بها الأوروبيون للأفارقة فى الدول الأوروبية، والجانب الشرير الشاب ميرتون وابن عمه الضابط، والجانب الخير يمثله ال
يقين وصديقه زامبى.

التصميم : عمرو الكفراوى